ردمد ١١١٠ - ٢٢٠٩
I.S.S.N 1110 - 2209

مجلة
معهد المخطوطات العربية

مجلة
معهد المخطوطات العربية

علمية، نصف سنوية، محكّمة، تُعْنَىٰ بالتعريف بالمخطوطات العربية، وفهرستها، ونشر النصوص المحققة، والدراسات القائمة عليها، والمتابعات النقدية الموضوعية لها.

* الأفكار الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي المنظمة والمعهد، وترتيب البحوث يخضع لاعتبارات فنية، ولا علاقة له بمكانة الكاتب.

* يسمح بالنقل عن المجلة بشرط الإشارة.
وقواعد النشر وثمن النسخة في آخر المجلة

المجلد ٤٠ - الجزء الأول - المحرم ١٤١٧هـ / مايو ١٩٩٦م

معهد المخطوطات العربية

القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة معهد المخطوطات العربية/ معهد المخطوطات العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) - مج ٤٠ ، الجزء الأول ، المحرم ١٤١٧هـ/ مايو ١٩٩٦م . ص ٢٥٢
ط/ ١٩٩٦/ ٠٠٧/٠٩

الفهرس

ضــوء

خمسون عامًا مضت على إنشاء معهد المخطوطات العـربية . نصف قرن من العمل التراثي العربي المشترك ، في إطار الجامعة العربية أولاً ، ثم في إطار المنظمة العربية للتـربية والثقافة والعلوم آخرًا . وكان لابـد من وقفة ، نطرح فيها أكثر من سؤال ، نختزلها في سؤالين :

- ماذا فعلنـا ؟
- ماذا سنفعل ؟

ولـلإجـابة على هـذين ، كـانت النـدوة التي نظمهـا المعهد ، وحشـد لهـا مجموعة من كبـار المعنيين بالتراث الفكري العربي ، ووضع أمـامهم الوقائع .. وقـائع المــاضي ، وطلب منهم الـرؤى .. رؤى المستقبل ، تلـك التي تضع في حسبانها خبرة الماضي وتجـاربه ، وظـروف الحاضر ومقتضياته ، وطموحات الآتي المتسارع ، في العالم اللاهث الذي نعيشه .

وفي خَلَل ذلك ، كان لابـد من أن نواجه التحدي ، وننكأ الجـرح لنطهِّره ، ونضع لــه البلسم . الكل يعـرف ويعتــرف بأن العمل العـربي المشتــرك على مختلف الأصعـدة في أزمة .. حـادَّة ، والعمل الثقافي في صعيـد هام وخطيـر ، وفيه تعيـش أزمة العمل التـراثي .. وإن كانت لهـا ملامحهـا المختلفة وأبعـادها الخاصة .

ولكل أزمة جـذور . وهنا يبرز التـاريخ ، وضرورة درسـه ، وتَـتَـبُّــع مسار حركته ، ورصد عثـراته . وفي الوقت نفسه ألقيت الأضواء قويـة كاشفة للواقع ، بملامحه وأبعاده ، والمسؤوليات التي ينبغي أن ينهد المعهد لها .

ولم يغب عن البـال ، ونحن نحضّـر لهـذه النـدوة ، أن نجمـع الأجيـال المختلفـة: المخضـرمين والمحـدثين ، أصحـاب المناهج التقليـديـة ، ودعـاة

الحداثة والمعلوماتية والتكنولوجيا ؛ التي ينبغي أن تُسَخَّر لخدمة التراث والمخطوطات ، حاملي راية الذاكرة البشرية والأخذ على المشايخ والمشافهة ، والمتحمِّسين للذاكرة الأخرى .. ذاكرة الكمبيوتر وقواعد البيانات وشبكات المعلومات .

ومن هؤلاء وأولئك ، ومن « تزاوج » النظرتين ، تحقَّق الهدف ، وأينعت الثمرة ، فاتضحت الرؤيا ، وارتسم الطريق بَيِّناً ، لا عِوَج فيه ، ولا أمت .

وخرجت الندوة بخطوط عريضة واضحة :

- جهود نصف القرن الراحل ثرية . ولا ينفي ذلك وجود بعض القصور هنا وهناك .

- لابد من الخروج من نفق الأزمة التي يعاني منها العمل التراثي ، وذلك بمساندة دور المعهد ، وتأييده ، والتعاون معه ، سواء من قبل الجهات الرسمية ، أو مؤسسات التراث العربية ، أو العلماء والمتخصصين .

- لم يعد من المقبول الركون إلى الأساليب البدائية في عمل المعهد ، ولم يعد اعتماد الكمبيوتر ودخول عصر المعلومات ترفًا . بل أصبح ضرورة لازبة .

- التعاون مع مؤسسات التراث العربية ، والتنسيق بينها مهمة أساسية للمعهد ، وشبكة علاقاته ينبغي أن تتسع وتَغْنى ، حتى لا يظل العاملون في حقل التراث حاطبي ليل ، وحتى لا نترك تراثنا ميدانًا للمبادرات الفردية ، والاجتهادات الذاتية ، والأعمال الارتجالية .

هذا هو ملف ندوة المعهد في عيده الذهبي كاملاً ، ببحوثه ومداخلاته وتعقيباته .. وهو يكشف بأمانة عن دور هذه المؤسسة الحَيَّة وخطرها في ترسيخ وقيادة العمل الثقافي ، على أساس أن تراث أية أمة ، هو القاعدة لقيام ثقافة حاضر فاعلة ، تشارك بقوة في صنع مستقبل العالم .

رئيس التحرير

توطئـــة

في احتفالٍ جادّ نَظّم معهـد المخطوطات العربية بالقاهـرة ، التابع للمنظمة العربية للتربيـة والثقافة والعلوم (جامعة الـدول العربية) ، في يومي ٢١ و ٢٢ من شهر إبريـل (نيسان) الماضي ، ١٩٩٦ ، ندوةً علمية ، افتُتحـت بكلمة المشرف على المعهد ، وأُلقيت كلمة الأمين العـام لجامعة الدول العربيـة ، وذلك بمناسبة مرور خمسين عامًا على إنشائه .

وقـد حشد المعهـد لهذه المنـاسبة عـددًا من كبار العلمـاء المتخصصين ، وأساتـذة الجامعات ، وأعضـاء مجمع اللغة العربيـة . كما دعا عـددًا من السفراء العرب والمستشارين الثقافيين في السفـارات العربية . وألقى في الافتتاح سعادة سفير سلطنة عُمَان كلمة بهذه المناسبة .

عُقِدت الندوة في مقر الأمانة العامة لجـامعة الدول العربية بالقاهرة ، بعنوان « معهد المخطوطات العربيـة : وقائع الماضي ، ورؤى المستقبل » . ونوقشت عبر أربع جلسـات ، على مـدى اليومين ، قضـايـا العمل التراثـي العربي المشتـرك ، والمعوقات التي تعترض طريقه ، والآفـاق المستقبلية التي ينبغي أن يرتادها ، وهو على أبواب القرن الحادي والعشرين . واستُعـرضت الجهود التي بذلها المعهد – بوصفه الآلية الوحيدة للعمل التراثي المشترك – على مدى خمسين عامًا مضت ، وقُوِّمت إنجـازاته ، ونُوِّه بمـا أسفر عنه مـن خدمات هـامة لتراث الأمـة الفكري ، وأُشير إلى أوجه القصور والتقصير .

وتحدث في الجلسـة الأولى ، التي رأسها الـدكتور محمـود فهمي حجازي رئيس مجلس إدارة الهيئـة العـامة لدار الكتب والـوثائق القومية ، الأستـاذ فيصـل

عبد السلام الحفيان ، عن الإنجازات التي حققها المعهد خلال نصف القرن الماضي ، وعرَض لقضايا التراث الأساسية التي خدمها .

كما تحدث الدكتور محمود محمد الطناحي عن جهود المعهد في إنقاذ المخطوطات ، وبعثات الاختيار والتصوير التي أرسلها إلى مختلف البلاد ، داخل الوطن العربي وخارجه .

وكان المعقبان عليهما الدكتور عبد السَّتَّار الحلوجي ، وكيل كلية الآداب بجامعة القاهرة ، والدكتور عبد اللطيف عبد الحليم ، الأستاذ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

وتحدَّث في الجلسة الثانية ، التي رأسها الأستاذ إبراهيم الترزي الأمين العام لمجمع اللغة العربية ، الأستاذ عصام محمد الشنطي عن جهود المعهد في إصدار الفهارس والتقارير التي تكشف عن أوضاع المخطوطات العربية في العالم . وأبرزَ من خلال بحثه إشكالات المخطوطات العربية في هذا المجال ، وتلمّس الحلول لها .

وثنَّى بالحديث الدكتور رمضان عبد التواب عن منهج المعهد في نشر التراث ودوره في إحياء المخطوطات .

وعقّب عليهما الأستاذ نصر الله مُبَشِّر الطِّرازي خبير المخطوطات الإسلامية بدار الكتب المصرية (سابقًا) ، والدكتور أحمد مختار عمر وكيل كلية دار العلوم بجامعة القاهرة .

وفي الجلسة الثالثة ، التي رأسها الدكتور محمود علي مكي ، عضو مجمع اللغة العربية ، عرض الدكتور أحمد درويش رؤيته التاريخية لأزمة العمل التراثي في ضوء مفهوم الثقافة .

في حين تحدَّث الدكتور الطاهر أحمد مكي عن ملامح وأبعاد أخرى لأزمة العمل التراثي ، ومسؤولية المعهد وغيره من الجهات المعنية تجاه ذلك .

وكان معقّب هـذه الجلسة الدكتور حسين نَصَّـار مدير معهد المخطـوطات العربية سابقًا .

وناقشت الجلسة الـرابعة ، التي رأسها الدكتـور حسن حبشي أستاذ التاريخ المعروف ، الآفاق المستقبلية للعمل التراثي العربي المشترك ، والخطوط الجديدة التي ينبغي أن يسلكها من خلال بحث تقدَّم به الدكتور يوسف زيدان .

كمـا ناقشت الجلسـة علاقـات المعهد مع مـراكز التـراث العربيـة ، ودوائر الاستشراق ، على مدى نصف القرن الماضي ، والطموحات التي ينبغي أن تتحقَّق في هذا المجال ، من خلال بحث ألقاه الدكتور أيمن فؤاد سيد .

وعقّب على هذه الجلسة الدكتور محمـود محمد الطناحي ، والدكتور عادل سليمان جمال الأستاذ بجامعة أريزونا في الولايات المتحدة الأمريكية .

* * *

المشاركون في النـدوة(*)

التخطيط والتنظيم :

د. أحمد يوسف أحمد محمد .

أ. فيصل عبد السلام الحفيان .

الافتتاح :

د. أحمد يوسف أحمد محمد .

السفير أحمد بن حِلّي .

السفير عبد الله بن حمد البوسعيدي .

رؤساء الجلسات :

د. محمود فهمي حجازي .

أ. إبراهيم الترزي .

د. محمود علي مكي .

د. حسن حبشي .

مقدّمو البحوث :

أ. فيصل عبد السلام الحفيان .

د. محمود محمد الطناحي .

أ. عصام محمد الشَّنْطِي .

د. رمضان عبد التَّوَّاب .

د. أحمد درويش .

د. الطاهر أحمد مكي .

د. يوسف زيدان .

د. أيمن فؤاد سيِّد .

(*) ذكرنا الأسماء وفق تسلسل أعمال الندوة .

المعقّبون :

د. عبد السَّتَّار الحلوجي .
د. عبد اللطيف عبد الحليم .
أ. نصر الله مُبَشِّر الطِّرازي .
د. أحمد مختار عمر .
د. حسين نصَّار .
د. محمود محمد الطناحي .
د. عادل سليمان جمال .

أصحاب المداخلات :

د. محمود محمد الطناجى .
أ. عصام محمد الشَّنْطِي .
أ. على عبد المحسن زكي .
د. رانو خوجه بنت عمر .
أ. فيصل عبد السلام الحفيان .
د. يوسف زيدان .
د. عبد اللطيف إبراهيم
أ. أحمد محمد عيسى .
تغريد داود .
د. حامد عبد الرحيم .

الختـــام :

د. أحمد يوسف أحمد محمد .
أ. عصام محمد الشَّنْطِي .

* * *

صور الندوة



د. أحمد يوسف أحمد محمد المشرف على المعهد يفتتح الندوة



السفير العماني عبد الله البوسعيدي يتحدث في افتتاح الندوة ، ويبدو (إلى يمينه) د.حسن حبشي



د. سعد الزبيدي مستشار الأمين العام رئيس الإدارة العامة لمركز التوثيق والمعلومات بجامعة الدول العربية (إلى الشمال) ويبدو إلى شماله د. محمد جدرالوفيتش المستشار الثقافي في سفارة كرواتيا



د. رانو خوجه بنت عمر ضيفة الندوة ، التي قدمت نبذة موجزة عن معهد البيروني للاستشراق في طشقند - أوزبكستان ، وإلى يمينها عصام محمد الشنطي المدير الثاني للمعهد سابقًا



د. محمود فهمي حجازي رئيس الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية يرأس الجلسة الأولى ، وإلى شماله فيصل عبد السلام الحفيان (منسق الندوة) يتحدث عن إنجازات المعهد في نصف قرن



د. محمود محمد الطناحي يقيّم بعثات التصوير التي أوفدها المعهد على مدى خمسين عامًا ، ويرسم خريطة تفصيلية لها



د. عبد الستار الحلوجي وكيل كلية الأداب بجامعة القاهرة يعقّب على ورقتي الجلسة الأولى ،
وإلى شماله د. رمضان عبد التواب ، و د. أيمن فؤاد سيد



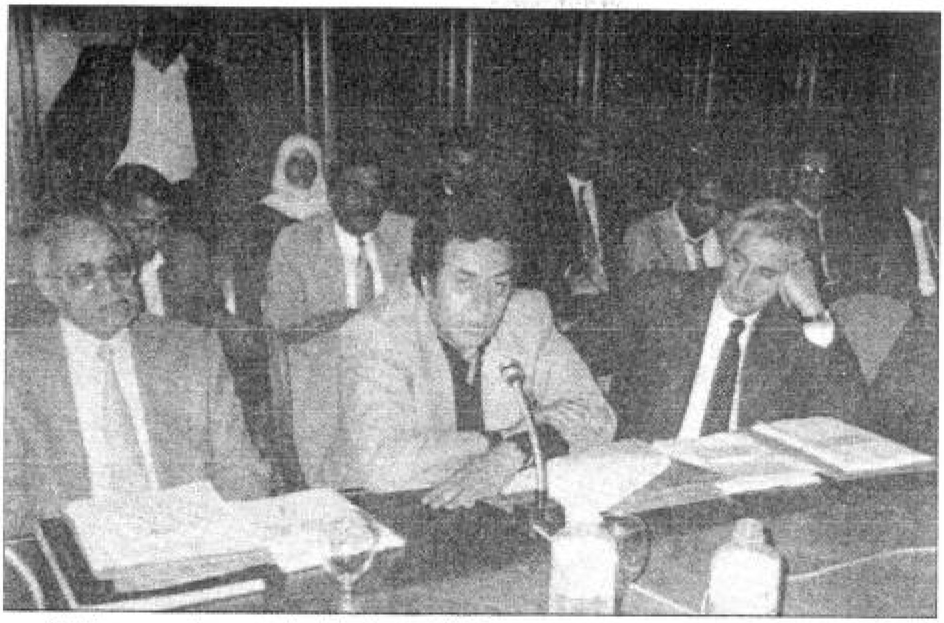
د. إبراهيم الترزي أمين عام مجمع اللغة العربية بالقاهرة يفتتح الجلسة الثانية



عصام محمد الشنطي المدير الثاني للمعهد سابقًا يعرض ورقة تحت عنوان : التعريف بالمخطوطات : الجهود المبذولة وأوجه القصور



د. رمضان عبد التواب عميد كلية الآداب بجامعة عين شمس سابقًا (إلى الشمال) يتحدث عن منهج المعهد في إحياء التراث ونشره



د. أحمد مختار عمر وكيل كلية دار العلوم بجامعة القاهرة (إلى الشمال) ، وبجانبه د. عبد اللطيف عبد الحليم الأستاذ بدار العلوم ، اللذان عقبا على ورقتين في الجلسة الأولى والثانية



د. محمود علي مكي عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إلى اليمين) يرأس الجلسة الثالثة ، و يبدو إلى جانبه د. أحمد درويش أستاذ الأدب المقارن بكلية دار العلوم ، الذي قدّم رؤية تاريخية لأزمة العمل التراثي المشترك



إلى اليمين د. الطاهر أحمد مكي الأستاذ بكلية دار العلوم
يعرض ملامح وأبعاداً أخرى لأزمة العمل التراثى



د. حسين نصار مدير المعهد الأسبق يعقّب على ورقتي الجلسة الثالثة



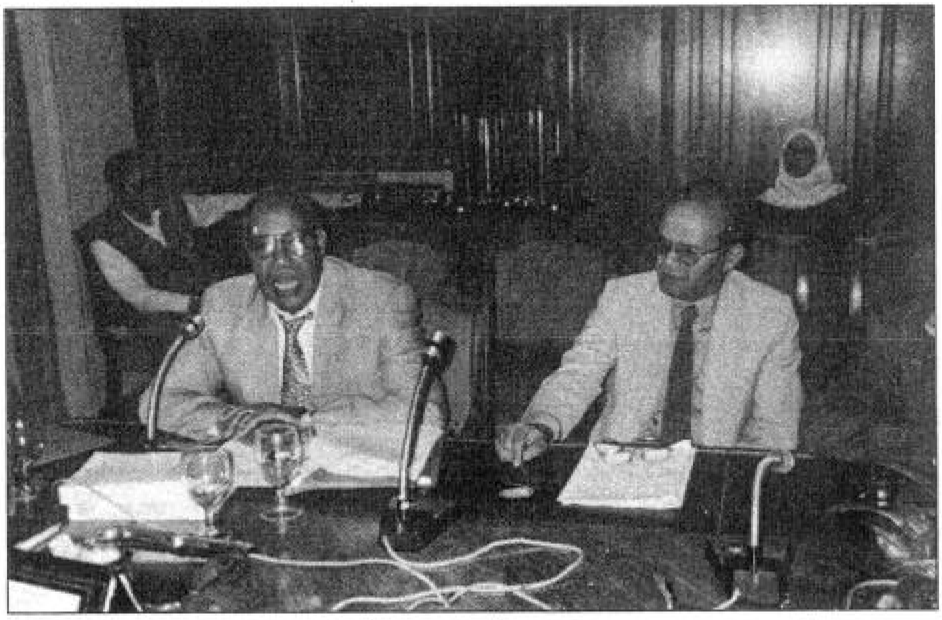
د. حسن حبشي يرأس الجلسة الرابعة والأخيرة ، والتي ناقشت البعد المستقبلي لخطة عمل المعهد



د. أيمن فؤاد سيد مستشار الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية - مصر
يستعرض واقع علاقات المعهد مع مؤسسات التراث ودوائر الاستشراق ، وآفاقها



د. يوسف زيدان مستشار التراث والمخطوطات بهيئة مكتبة الإسكندرية وخبير التراث بمركز المعلومات برئاسة مجلس الوزراء المصري يرسم المعالم الجديدة لخطة عمل المعهد على طريق المستقبل



تعقيب من د. عادل جمال سليمان الأستاذ بجامعة أريزونا في الولايات المتحدة على ورقتي الجلسة الرابعة



جانب من الحضور



استماع إلى ختام الندوة

الافتتـــاح

كلمــــة
د. أحمد يوسف أحمد محمد
المشرف على المعهد

سعادة السفير أحمد بن حِلِّي، ممثل معالي د. أحمد عصمت عبد المجيد، الأمين العام لجامعة الدول العربية .

السيدات والسادة ...

أشكر لكم جميعًا قبولكم الكريم دعوة المعهد لحضور هذه الندوة التي ينظمها بمناسبة العيد الذهبي لتأسيسه ، وأنقل لكم تحيات معالي الأستاذ محمد الميلي مدير عام المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الذي كان حريصًا على الحضور معنا اليوم ، لولا كثافة العمل الهائل في أثناء التقاء المجلس التنفيذي للمنظمة ، الذي لم تنته أعماله سوى أول أمس .

في الرابع من شهر إبريل عام ١٩٤٦ أصدر مجلس جامعة الدول العربية قراره رقم ٣٩ في دورته العادية الثالثة بالنص التالي :

« يوافق المجلس على مشروع إحياء التراث الفكري والفني العربي كما شرحه السنهوري باشا ، وكما هو مبين في التقرير المعروض ، ويوافق على الاعتمادات المطلوبة له ، وتبلغ أحد عشر ألف جنيه ، وعلى الصرف هذا العام من وُفُورات الميزانية في حدود ثلاثة آلاف جنيه للستة أشهر القادمة » .

أما التقرير المشار إليه في القرار فقد بدأ بالقول : « تعتمد الثقافة العربية على عنصرين أساسيين هما الثقافة العربية القديمة ، والثقافة العربية الحديثة ، ومن المزج بين العنصرين ستخرج ثقافة عربية متينة ، غير أن من دواعي الأسف أن

يكون الوصول إلى الثقافة العربية القديمة أمرًا شاقًا ، وما طبع من الإنتاج الفكري العربي هو أقله ، وذلك القليل لم يُطبع طبعًا صحيحًا » .

ويستغرب التقرير هذا الوضع على ضوء المخترعات الحديثة التي يسّرت تصوير المخطوطات والوثائق ، ثم يتساءل : « أفلم يئن الأوان لأن تستفيد البلاد العربية من هذه الطرائق السهلة فتسهل لعلمائها الوصول إلى أحد العناصر الأساسية التي تتكون منها الثقافة العربية الحاضرة ، ألا وهي المخطوطات ! » .
ويسترسل التقرير قائلاً : « ولقد كان الجواب عن هذا السؤال محرجًا قبل سنة من هذا التاريخ ، فلم تكن إذ ذاك هيئة مسئولة عن تراث الثقافة العربية عامة .. أما اليوم فجامعة الدول العربية هي - والحمد لله - محققة لرغبات العرب عامة ولتعاونهم الوثيق ، وقد أشارت المادة السادسة من المعاهدة الثقافية التي أقرّها مجلسها إلى أنها تتعاون على إحياء التراث الفكري والفني العربي والمحافظة عليه ونشره وتيسيره للطابعين بمختلف الوسائل » .

هكذا نشأ معهد المخطوطات العربية منذ خمسين عامًا ، ليكون دليلاً على بعد نظر الآباء الأوائل المؤسسين لجامعة الدول العربية ، وحسّهم القومي المرهف ، فلا أمة بلا هوية ، ولا هوية بلا ثقافة ، ولا ثقافة بدون تراث ، ولا تراث بدون مخطوطات .

ومنذ ذلك التاريخ بدأ معهد المخطوطات مسيرته في خدمة هذه القضية المحورية ليكمل هذا العام وهذا الشهر ، منذ أيام قليلة ، نصف القرن من عمره المديد إن شاء الله .

ولقد رأت أسرة المعهد أن تحتفل بهذه المناسبة على النحو اللائق بها ، وأن تبدأ احتفالها هذا بتنظيم ندوة علمية عن مسيرة المعهد في نصف قرن ، لا تدبَّج فيها كلمات المديح للمعهد وإنجازاته ، وإنما يجري فيها تقييم موضوعي لنشاطه ، واستشراف علمي لآفاقه المستقبلية ، لتكون بذلك - أي ندوتنا هذه - خير معين لنا في تطوير أداء المعهد إلى الأفضل ، وارتياده لآفاق مستقبلية أرحب .

على أن هذه الندوة لا تمثل احتفالنا الوحيد بالمناسبة العزيزة ، فسوف تتواصل بإذن الله الاحتفالات بهذا النهج الموضوعي فيما بقى من عام ١٩٩٦ ، إذ يأمل المعهد أن يشهد خريف هذا العام أيضًا الاجتماع الأول للهيئة المشتركة لخدمة التراث العربي التي يرعى المعهد تكوينها من بين مجموعة من خيرة المسئولين عن مراكز حماية التراث العربي وإحيائه في الوطن العربي ، على أمل أن تقدّم هذه الهيئة مساهمة فاعلة في دفع الجهود المتصلة بهذا المجال .

كما يأمل المعهد أن يشهد هذا العام أيضًا تقديم أول جائزة تمنحها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تحقيق النصوص ، وذلك بعد استكمال إجراءات النظر في النصوص المقدمة لهذه المسابقة والاختيار من بينها .

كذلك يأمل المعهد أن ينظم فيما بقي من العام سلسلة من المحاضرات العامة في أهم القضايا المتصلة بالتراث العربي .

وأهم ما في هذه الأنشطة أنها ستكون بإذن الله ملمحًا دائمًا لعمل المعهد ، وليست مجرد تعبير احتفالي عن مناسبة ينتهي بانتهائها .

بعبارة أخرى تريد أسرة المعهد أن تكون مناسبة بلوغ المعهد سن الخمسين نقطة انطلاق نحو آفاق جديدة أكثر رحابةً وشمولاً في نشاطه الممتد في خدمة التراث العربي .

يواصل معهد المخطوطات العربية حاليًا جهوده المستمرة في مجال حماية التراث العربي وإحيائه ، وذلك بمتابعة جهوده في مجال خدمة المخطوطات ونشرها ، وتيسير اطلاع الباحثين على مقتنيات المعهد منها بأسعارٍ مناسبة ، وتبادلها مع المؤسسات العلمية المشابهة ، وتنظيم دورات تدريبية للعاملين في مجال المخطوطات ، وإنقاذ مخطوطات المكتبات العربية المعرضة للتلف . هذا فضلاً عن ا لاستمرار في إصدار مجلته نصف السنوية ، ونشرته التي تصدر

كل أربعة شهور . بالإضافة إلى ما يتطلبه هذا من تجديد لمصورات المعهد ، وإعادة طبع للنافد من مطبوعاته ، وتجهيز للمعهد بالأجهزة والمعدات الحديثة ، بما في ذلك الحاسبات الآلية اتصالاً بالثورة التكنولوجية الراهنة .

وتعلمون حضراتكم أن جهودًا دؤوبة تجري لتطوير العمل في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، استجابة للمتغيرات التي استجدت على الواقع العربي والدولي في الآونة الأخيرة . وقد تبلورت الرؤية الفكرية لهذه العملية في وثيقة معالم التحديث ومحاوره التي أعدّها معالي الأستاذ محمد الميلي مدير عام المنظمة ، وأقرّها المؤتمر العام الأخير للمنظمة في ديسمبر ١٩٩٤ ، لتكون أساسًا للانطلاق إلى أداءٍ أفضل للمنظمة .

ولقد أعطت هذه الوثيقة للتراث ما يستحقه من أهمية محورية في النشاط المستقبلي للمنظمة ، فخصصت أحد البرامج الأساسية في محور الثقافة العربية ودورها في تعزيز الوحدة العربية والتنمية الشاملة لإحياء التراث الثقافي العربي الإسلامي وصيانة معالمه ونشر عيونه .

ويهدف هذا البرنامج إلى وضع التراث في خدمة الأمة في حاضرها ومستقبلها ، بالعمل على تعميم قراءته وإعادة قراءته واستكشاف جوانب الجمال والإبداع والتميز فيه داخل الوطن العربي وخارجه . وتخدم هذا البرنامج ، وفقًا للوثيقة ، برامج فرعية تُعْنَى بجمع المخطوطات العربية وفهرستها وصيانتها وحفظها وفق أحدث الطرائق العلمية وتيسير نشرها ودرا ستها ، أي أن المعهد ونشاطه يجد مكانه واضحًا متميزًا في الجهود الراهنة لتطوير المنظمة ودفع العمل فيها .

ولا أحسبكم تظنون أن طريق العمل أمام المعهد هينٌ يسيرٌ ، فهناك من العقبات الكثير . والواقع أن المعهد جزء من هذه المنظومة العربية شديدة التشابك ، التي تواجه في مجملها أزمة عاتية تريد أن تعصف بكيانها . وينعكس هذا على أقل القليل في شحّ التمويل الذي يضع بدوره سقفًا أعلى للنشاط ،

لا يمكن تجاوزه ، وإن كان يفـرض في نفس الوقت تحديات جـديدة يتعين على كل مخلص لـدور المعهـد أن يفكـر في كيفيـة الاستجابـة السليمـة لهـا كي تتم المحافظة على هذا المعهد وغيره من المؤسسات الرائدة في وطننا العربي .

على أن الصعوبـات لا تأتي فقط من مناخ العمل العربي المشتـرك ، وإنما تأتي أيضًـا من المناخ السـائد في بعض الجهـات التي تقتني مخطـوطات ثمينـة معرضـة للتلف التام ، وتعقّد ، على نحـو لا يمكن تخيله ، أيـة إجراءات للعمل على إنقاذ هـذه المخطوطات حتى لـو كانت إجراءات ممـوّلة بالكـامل من جهة كالمعهد . وإن هـذا الوضع ليتطلب مساهمة كل منا ، بكل مـا يمكنه من جهد ، من أجل لفت انتبـاه كـافة المخلصين للثقـافـة العربيـة إلى هـذه الثـروة الهائلـة المعرَّضة للضياع بسبب ممارسات شخصية وبيروقراطية عقيمة .

ولا أخفي عليكم سعادتي الغـامرة بحضوركم هذه النـدوة ، فقد كنت أُلاحظ دائمًا بعدم الرضى ، أن صلـة المعهد بالأسرة الواسعة للعـاملين في مجال حماية التراث وإحيائه ، لم تتطور بعدُ إلى المستوى الذي نريده لها ، ولعل في تشريفكم اليوم لهذه الندوة ما يكون نقطـة بداية في علاقة أرحب وأعمق بينكم وبين المعهد . ومن جانبنا سوف نحرص دائمًا على هذه الصلـة وتنميتها وتدعيمها تقويةً لدور المعهد ، وتعزيزًا لمسيرته .

وأود بـاسمي شخصيًـا ، وبالنيـابـة عن أسـرة المعهد أن أعبّـر عن خـالص الامتنان ، وعميـق الشكر لمعالـي الدكتور أحمـد عصمت عبد المجيـد ، الأمين العـام لجامعـــة الـدول العـربيـة ، الـذي لم يبخل علينـا أبـدًا ، وفي أي وقت من الأوقات ، بأي دعم طلبناه ، وكان لنا دائمًـا نعم السند ، وهو أمر ليس بمستغرب على رجل يحمل باقتدار أعباء أمة بأسرها في مرحلة شديدة الحساسية والخطورة بالنسبة لحاضرها ومستقبلها .

كذلك أتقدم بوافر الشكر وأعمق الامتنـان لجهاز الأمانة العامة المضيفة ، وخاصة إدارتي المؤتمرات والأمن ، على مـا بذلاه من جهود مخلصة وممتازة في تنظيم الندوة .

أما أسـرة المعهد فقـد بذلت أقصى الجهد في إنجـاز هذه النـدوة ، وقامت بواجبها باقتـدار نحو مؤسسة تنتمي إليها ، وتعتبر نجاحها من نجـاحها ، وتقدمها قضيتها ، ولذلك فإن مكـافأتها الحقيقيـة سوف تكون نجـاح هـذه الندوة إن شاء الله . وإنني أعتذر مقدمًا باسمهم جميعًا عن أي تقصير غير مقصود .

وفي النهايـة ، أود أن أتقدم بشكر خاص لجميع العلماء الأجـلاء والباحثين المرمـوقين الـذين شرفـونا بقبـول المشاركـة في هذه النـدوة بكتابـة البحوث ، أو التعقيب عليها ، أو رئاسـة جلساتهـا . كما أكـرر الشكر لحضراتكـم جميعًا على اهتمامكم بالحضـور تعبيرًا عن إيمان حقيقي بأهمية القضيـة التي يعمل المعهد وغيره من المؤسسات المشابهة من أجلها .

السيدات والسادة ...

أختم كلمتي بتوجيـه أسمى معاني التحية والإجلال والعـرفان لكل من عمل يومًا في هذا المعهد ، أيًا كان موقعـه ، فأضاف إلى هذا الصرح العظيم قدر طاقته وإخلاصه ، فليجزهم الله جميعًا خير الجزاء .

* * *

كلمـــة

سعادة السفير أحمد بن حِلّي

ممثل معالي الأمين العام لجامعة الدول العربية

الأستاذ الدكتور أحمد يوسف أحمد

مدير معهد البحوث والدراسات العربية ،

أصحاب السعادة ،

الأساتذة الأجلاء ،

حضرات السيدات والسادة

يُسْعِدُني أن أرحب بحضراتكم في رحاب بيت العرب ، جامعة الدول العربية ، نيابة عن معالي الدكتور أحمد عصمت عبد المجيد ، الأمين العام لجامعة الدول العربية الذي حمّلني نقل تحيا ته لجمعكم الكريم .

كما يطيب لي أن أُلقي كلمة سيادته في هذه الندوة الهامة ، حول « العمل التراثي العربي المشترك ، وقائع الماضي ، ورؤى المستقبل » ، بمناسبة مرور خمسين سنة على إنشاء معهد المخطوطات العربية .

وإذا كان معهد المخطوطات يحتفل هذه الأيام بعيده الذهبي ، فذلك لأنه أصبح إحدى الهيئات التي تتحمل جزءًا هامًا من عبء النشاط الثقافي القومي ، وكان النواة الأولى لانطلاق العمل العربي المشترك في المجال الثقافي الذي تجسده حاليًا المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، التي تتبوأ مكانة مرموقة في عالم الفكر والتراث الحضاري العربي والإنساني .

إن حضور هذه النخبة من الباحثين والمهتمين بنشاط المعهد وإنجازاته ، ومن خلال المحاور الرئيسية التي سيتخلّلُها النقاش والحوار لتقييم جهود المعهد ، وحصيلة إنجازاته ، وآفاق خططه المستقبلية ، الدليل على رسوخ هذا المَعْلَم في حياتنا الثقافية ، وتطلعنا إلى المزيد من عطائه في حقل التدقيق والتمحيص وجمع تراثنا وكنوزنا المطمورة في مختلف بقاع العالم .

وليست هذه المهمة بالهينة إذا علمنا أنه يوجد بتركيا وحدها مثلاً ما يربو على ٣٠٠ ألف مخطوطة باللغة العربية .

إن مهمة إحياء التراث وجمعه وتحقيقه ونشره تشكل إحدى الركائز الأساسية لدعم الانتماء القومي ، وترسيخ الهُويَّة العربية التي تجسّدها جامعة الدول العربية ، خاصة في هذه الفترة بالذات التي تتدافع فيها المشروعات والتصورات ، لإعادة ترتيب الأوضاع في المنطقة العربية برؤى قد تكون مغايرة لتطلعاتنا ومصالحنا ، ولا تتناسب مع مقوّماتنا وثوابتنا .

إن الثقافة العربية ، رغم خصوصيتها وذاتيتها ، هي ثقافة منفتحة على العالم ، وهي في تواصل مع بقية الثقافات الأخرى ، ثقافة تقوم على الحوار وليس التصادم ، تعلو فيها قيم التسامح واحترام الرأي الآخر ، تحترم كرامة الإنسان وحريته وحقوقه ، ثقافة تنبذ العنف والغُلوّ والإرهاب ، ونفي وجود الآخرين ، ثقافة منافية لجميع أشكال العنصرية وأسلوب الهيمنة والنموذج المصكوك ، ولذلك عاشت وازدهرت في جو الحرية ، وانكمشت وتقلّصت في عصور الانحطاط والقهر .

وإذا كنا نسعى إلى إثراء ثقافتنا ، وتوسيع إشعاعها ، فلابد أن نَدْعَم أصولها وروافدها من خلال تمحيصٍ واعٍ لتراثنا وإخراجه في شكله الإيجابي لندفع بثقافتنا نحو الجديد ، ونحو الإبداع ، واعتماد المنهج المنطقي في مدارسنا وجامعاتنا ومختبراتنا العلمية ومراكز بحوثنا ، وفي منظومة سلوكنا الاجتماعية ،

حتى نستطيع التعامل مع المستجدات حولنا ، ومواكبة المسار الصحيح لسُنَّة تطور حياتنا ، وتجاوز إشكالية الانفصام المريع بين الماضي والحاضر ؛ ونتمكن من إبراز الوجه الناصع لحضارتنا العربية الإسلامية ، ورسالتها الخالدة ، وإسهاماتها مع الثقافات الأخرى ؛ عطاءً وأخذًا . وهو النهج الذي طبع ثقافتنا منذ فجر بزوغها وأعطاها هذا البعد الإنساني الشامل ، وخاصة نحن نعيش مرحلة تشهد ثورة علمية ومعلوماتية تقدِّم كل يوم الجديد من الاكتشافات في شَتَّى فروع المعرفة .

لقد اختارت أمتنا العربية مسيرة السلام العادل والشامل ، وفق قرارات الشرعية الدولية التي تضمَّنتها قرارات الأمم المتحدة ، وساندها المجتمع الدولي في شتى محافله ، واختيارنا ينبع من عدالة قضيتنا ، وسلامة موقفنا ، ومن حرصنا على التشبث بالحقوق الثابتة لاستعادة جميع الأراضي العربية المحتلة دون تفريط في شبر واحد منها .

ولكن مجريات الأحداث لمسيرة التسوية أثبتت أن الطرف الإسرائيلي مازال يعيش بمنطق الحرب ، وأسلوب الهيمنة ونوايا التوسع .

وإذا كانت عبارات ثقافة السلام ، ومقتضيات التطبيع أصبحت متداولة في المنتديات الثقافية والمحافل السياسية ووسائل الإعلام في المنطقة ، فإن الحرب المعلنة من قبل إسرائيل على لبنان الشقيق ، كشفت بوضوح زيف القادة الإسرائيليين في رغبتهم لتحقيق السلام في المنطقة .

إن ما اقترفته إسرائيل من جرائم بشعة في حق المدنيين الأبرياء في لبنان ، لا يمكن وصفه إلا بجرائم الحرب والإرهاب الرسمي ، فكيف تستقيم مسيرة السلام وإسرائيل تقتل الأطفال والنساء الذين احتمَوْا بقوات حماية السلام الدولية ؟

كيف يقام السلام وإسرائيل تُصِرُّ على الاحتفاظ والتفرّد بالسلاح النووي ، وتعمل على نسج تحالفات ، وخلق مرتكزات إقليمية ودولية لتهديد الأمن

العربي ، وتواصل حصارها للفلسطينيين الذين وقّعت معهم اتفاقيات مازال حبرها لم يجف بعد .

أيتها الأخوات ، أيها الأخوة :

إذا كانت تحديات السلام قد بـدأت تطفو بشكل جلي على الساحة أمامنا ، فإن هناك تحديات أخرى لا تقل خطورة ، وأعنى بها تلك التي ترتبط بشكل مباشر بـالمتغيـرات والتطـورات على السا حـة الـدوليـة ، في شتى منـاحي الحيـاة من اقتصاديـة وسياسية وثقافيـة ، وهي تحديات ذات طـابع استراتيجي عالمي يـؤثر على النظـام العربي وتفـاعلاته الإقليميـة والدوليـة ، ولا يمكن مواجهتهـا إلاّ من خلال وقفة عربية واحدة ، الأمر الذي يستوجب استعادة التضامن العربي الغائب، في إطار مصالحة قومية واضحة المعالم ، راسخة الجذور .

لقد وصل الوضع العربي إلى مرحلة لا تتحمل التأخير والاستمرار في تعطيل الإرادة السياسيـة العربية ، لاتخـاذ الموقف المناسب لِلَمّ الشمل ، واستنفـار قوىٰ النهوض للتعامل مع هذه التحديات التي تتشابك مسالكها ، وتتعاظم مخاطرها ، وذلك حفاظًا على وجـودنا كدول وكأمة واحدة ، ومن هنا جـاء تأكيد الأمين العام على ضـرورة عقـد قمـة عربيـة ، ولو مصغـرة للنظـر في مجمل القضايـا العربيـة الراهنة ، واتخاذ الموقف العربي المناسب للتعامل مع هذه التحديات المختلفة .

* * *

كلمـــة
عبد الله بن حمد البوسعيدي
سعادة سفير سلطنة عُمَان

أعتذر لكم عن الارتبـاك في جدول أعمـالكم ، وهي سابقـة أن يتكلم سفيرٌ في ندوة علمية كهـذه ، فلتعذروني لأنني طلبت الحديث إليكم ، ذلك أنني مهتم شخصيًا بالتراث العربي عامة ، والتراث العُمَاني خاصة .

إن النهضة في سلطنة عُمَان لم تقتصر على العمران والخدمات ، بل امتدَّت لتشمل مـاضيًا ومستقبـلاً ، وليس الحاضـر فقط . الماضي هـو التراث القـومي ، والمستقبل هو البيئة . ولعلَّكم تعلمون أنَّ السلطنة هي البلـد العربي الوحيد الذي فيه وزارة للتراث القومي والثقافة ، وأخرى للبيئة ، بوصفها مشكلة المستقبل ، فكل حاضر موصول بالماضي ، وكل مستقبل يرتكز على الحاضر الذي نعيشه .

الاهتمام العُمَاني بالتراث له إسهـامات ثقافية ، قبل الإسلام بآلاف السنين . ولو عُـدْنا إلى خمسة عشر قـرنًا مضت ، أي منذ بدايـة الإسلام ، لرأينا إسهـاماتٍ عُمَانية في الثقافة العربية امتدَّت إلى الصين ، وإلى شرق إفريقيا وأواسطها .

أسعـدني احتفال معهـد المخطوطـات العـربية بعيـده الذهبي ، ود. أحمـد يوسف أحمد محمد المشرف على هذا المعهد معروف بنشاطه الثقافي والعلمي . والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تقود اليوم مسيرة العمل الثقافي والتربوي والعلمي العـربي ، برئاسـة الأستاذ محمـد الميلي إبـراهيمي ، وهو زميل وصـديق عرفتُه في تونس والقـاهرة ، وتربطني به وبالمنظمة عـلاقة وطيدة ، وقد وقعت عن سلطنة عُمَان اتفاقية مع المنظمة لتيسير الإنتاج الثقافي بين البلدان العربية .

وكم سعدت وأنـا أشهد هذه المظاهـرة الثقافية الرصينـة ، التي تتحدث عن تقويم إنجازات المعهد ودوره في إنقاذ المخطوطات ، مرورًا بجهوده في التعريف بـالتـراث والمحـافظـة عليـه ، وانتهـاءً بـوضع رؤى مستقبليـة ؛ ليـس لإحيـاء المخطوطات ونشرهـا فحسب ، وسط أزمة ثقافية كبيرة تعيشها الأمـة العربية ؛ بل إن النـدوة تتجـاوز ذلك كله إلى وضـع استراتيجيـة عـربيـة للتراث ، مصـدرهـا الأساسي المخطوطات التي ينبغي وضعها في المكانة التي تعبِّر بصدق عن تراث هذه الأمـة ، ماضيها وحـاضرِها ومستقبلهـا المليء بالمخاطـر ، في التعامل مع الثقافات الأخرى ومواجهتها .

إن لـوزارة التراث القـومي في إحياء التـراث العُمَـاني ، والعربي بشكل عـام إسهامـاتٍ ، ويوجـد بالـوزارة ومكتبتها مخطوطـات عربيـة ليست عُمَانيـة . أما المخطوطات العُمَانية فإن بعضها يصل عدد مجلداته إلى العشرات ، فمثلاً كتاب قاموس الشريعة يبلغ تسعين مجلدًا . وهناك مخطوطات هامة في الفقه الإسلامي مثل : بيـان الشـرع ، والكفـايـة ، ومنهج الطـالبين . وأرجـو ألاَّ يفهم من هـذا أن العُمَـانيِّين لم يؤلفـوا إلا في الفقـه فقط ، فقـد كان لهم إسهـامـاتهم في مختلف العلوم كالأدب والفلك والطب . وهناك كتاب معروف باسم الأسرار المخفية ، في ثلاثة مجلدات ، في الفلك والمجرَّات .

وهناك قصـة بسيطة تشير إلى بعثرة التـراث في أماكن متفرقـة داخل الوطن العربي وخارجه . فقد كنتُ في زيـارة للمغرب ، زرت خلالها المكتبة الملكية في الرباط ، وكـان والدي قد طلب مني كتابًا ، كنتُ أظن أنه منشـور ، لكنني وجدتُه مخطوطًا في المكتبة . وعندما اطلعت عليه وجـدته في القراءات الثمانية لمؤلف عُمَاني من القـرن الخامس الهجـري . هذه المخطـوطة كانت فـي المغرب ، ثم انتقلت إلى إسبـانيـا ، وعـادت إلى المغـرب مرة أخـرى بجهـود الملك محمـد الخامس . وقد حصلتُ على صورة منهـا ، وأرسلتها إلى وزارة التراث القومي التي أرسلتها إليّ في مصر ، وحُققت بعـد ذلك من قِبَل شيخين جليلين في القراءات ،

وتمَّ صدورها . وعرفنا أن لهذا المؤلف مؤلَّفًا آخر في جامعة استانبول ، ومؤلَّفًا ثالثًا لم نعثر عليه . فالقول إن المخطوطات العربية مبعثرة في أماكن شتَّىٰ من العالم صحيح مئة في المئة ، ويفرض على الجميع بذل جهود مضاعفة لِلَمّ شملها بالتصوير ، وبهذا تتجمع الموضوعات المتشابهة ، ومصنفات المؤلف الواحد ، فتنكشف الرؤية ، وتتضح صورة هذا التراث الغني في عيون الباحثين .

إن من الجهود الطيبة التي بذلتها السلطنة في خدمة التراث « موسوعة قابوس لأسماء العرب » التي تبناها السلطان ورعاها ، وكلَّف لجنة عملت فيها أربع سنين ، وقد شملت هذه الموسوعة ما يقرب من عشرة ملايين اسم من البلاد العربية ، ووقعت في ثمانية مجلدات .

ووزارة التراث القومي لن تألوَ جهدًا في تقديم أي إسهام يهم القارىء العربي والمثقف العربي ، سواء في إصدار فهارس المخطوطات ، أو المحافظة عليها ، أو نشر ذخائرها .

* * *

الجلســات العلميــة

(بحوث ومناقشات)

الجلسة الأولى

البحث الأول :

معهد المخطوطات العربية : قراءة في سِفر الماضي

البحث الثاني :

قضية إنقاذ المخطوطات : ما تحقق وما لم يتحقق

مداخلات وتعقيبات :

د. محمود فهمي حجازي .

د. عبد السَّتَّار الحلوجي .

د. عبد اللطيف عبد الحليم .

د. محمود محمد الطناحي .

أ. عصام محمد الشَّنّطِي .

أ. علي عبد المحسن زكي .

د. رانو خوجه بنت عمر .

معهد المخطوطات العربية :
قراءة في سِفر الماضي

أ. فيصل عبد السلام الحفيان(*)

تمهيد :

(أ) تراث الأمة أساس نهضتها ، تلك هي القاعدة مهما كانت قيمة هذا التراث ، فكيف يكون الحال ، والتراث هو التراث العربي ؛ غنى وتنوعًا ، وامتدادًا ومساحة جغرافية ، وقدرة علي التأثير بما يملكه من قيم روحية ودينية .

(ب) في بادرة واعية بأصالة الماضي ، واحتياجات الحاضر ، وفي لفتة مستشرفة للمستقبل ، أصدر مجلس جامعة الدول العربية ، في جلسته السابعة من دورته العادية الثالثة ، قراره رقم ٣٩ ، الذي نَصّ على إنشاء معهد ، اسمه معهد إحياء المخطوطات ، ملحق بالأمانة العامة للجامعة ، وإذا كانت الجامعة العربية قد أنشئت عام ١٩٤٥ ، فإن هذا المعهد يعد من أقدم « إدارات » الجامعة .

(جـ) وقد نَصّ القرار السابق في مادته الثانية على أن تكون مهمة المعهد :

- جمع فهارس المخطوطات العربية الموجودة في دور الكتب العامة والخاصة ، وفهارس المخطوطات التي يمتلكها الأفراد ، لتوحيدها في فهرس عام .

(*) تخصصي بالمعهد .

- تصوير أكبر عدد ممكن من المخطوطات العربية القيّمة .
- وضع هذه المصورات تحت تصرف العلماء أولاً ، بعرضها لمن يطلبها ، للاطلاع عليها بواسطة الآلات العارضة المكبرة ، أو بإعطاء صور مكبَّرة منها بأسعار مناسبة ، أو بإعارة نسخة ثانية منها للعلماء الذين يطلبونها من البلدان الأخرى ، عن طريق المؤسسات العلمية ، أو بإرسالها رأسًا إليهم بأسعار مناسبة .
- طبع صور المخطوطات القيمة ، التي نصها صحيح وخطها مقروء ، ونشر نصوص المخطوطات ذات الأهمية الكبرى .
- تنظيم التعاون بين العلماء والمؤسسات العلمية في سبيل نشر المخطوطات ، وتزويد الناشرين بالمعلومات اللازمة عن المخطوطات التي يُعْنَون بها ، وإعلامهم بأسماء من يُعْنَى بمخطوطات مماثلة لمخطوطهم أو مشابهة له .
- إصدار نشرة دورية عما طبع أو يطبع من المخطوطات العربية ، والإشارة إلى ما هو مُعَدّ منها للطبع .

١ - التطور التاريخي :

مَرّ المعهد على مدى نصف قرن تقريبًا بمراحل عدة ، ليس بينها حدود فاصلة أو قاطعة تمامًا ، ذلك أن نهر العمل كان يجري في مجرى واحد . وعلى الرغم من ذلك ، فقد كان لكل مرحلة طابع خاص . ويمكن إيجاز هذه المراحل على النحو التالي :

الأولى : من الإنشاء (١٩٤٦) حتى (١٩٥٤) . وفيها كان المعهد جزءًا من الدائرة الثقافية في الأمانة العامة لجامعة الدول العربية .

الثانية : تبدأ بانفصاله عن الدائرة الثقافية عام (١٩٥٥) ، وتستمر حتى عام (١٩٦٩) ، حيث ألحق بعد تلك السنة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

الثالثة : تبدأ منذ عام (١٩٧٠)، وتستمر حتى عام (١٩٩٠)، وفيها عمل المعهد في ثلاث عواصم عربية : في القاهرة حتى عام (١٩٧٩) ، وفي تونس حتى أوائل عام (١٩٨١) ، وفي الكويت حتى عام (١٩٩٠) .

الرابعة : تبدأ مع بداية عام (١٩٩١) ، وهي مستمرة حتى اليوم ، وفيها تركز عمل المعهد في مقره الأول ، في العاصمة المصرية .

وفي هذه المراحل جميعًا تحمل مسؤولية كبيرة ، كبر الهدف ، وثقيلة ، ثقل التحديات المصيرية التي حاصرت الأمة ، ولا تزال تحاصرها .

ووفقًا لطبيعة الأشياء ، فإن عمل المعهد بدأ محدودًا ، ثم نما شيئًا فشيئًا ، وازداد ثراء وغنى ، واشتد عوده وقوي ، حتى وصل إلى ما هو عليه الآن .

(١ - ١) المرحلة الأولى :

النواة (جمع التراث)

(أ) تمتد هذه المرحلة التي كان المعهد فيها جزءًا من الدائرة الثقافية بالجامعة العربية ، عقدًا من الزمان تقريبًا (١٩٤٦ - ١٩٥٤) ، وتركز العمل خلالها على جمع التراث المخطوط المبعثر في مناطق شتى ، ومكتبات عامة وخاصة ، داخل الوطن العربي وخارجه .

(ب) وكانت الوسيلة الأساسية لخدمة هذا الهدف هي البعثات التي أوفدها المعهد إلى أماكن وجود المخطوطات ، لتقوم بالانتقاء والتصوير .

وقد حققت « البعثات » هدفًا رئيسًا من الأهداف التي نَصّت عليها الفقرة (ب) من قرار إنشاء المعهد ، وأسهمت بحظ وافر في جمع « النواة » التي لا غنى عنها في تحقيق الأهداف الأخرى ، من فهرسة وتحقيق ونشر للنصوص الجيدة ، وغير ذلك .

هذه « النواة » كانت ولا تزال أعظم الأهداف التي أنشىء المعهد من أجلها .

(١ - ٢) المرحلة الثانية :

المعالم (خطوط العمل)

(أ) هذه المرحلة تبدأ مع عام ١٩٥٥ ، الذي انفصل المعهد فيه عن الدائرة الثقافية ، وعُيّن له مجلس أعلى من كبار العلماء في العالم العربي ، انتخب د. طه حسين رئيسًا له .

وهي متصلة اتصالاً وثيقًا بالمرحلة السابقة ، إذ تعد امتدادً لها في التركيز على جمع التراث المخطوط ، لكنها شهدت إرهاصات ، واتضحت فيها خطوط العمل المستقبلية .

(ب) إن ما جمعه المعهد من التراث المخطوط لا يكاد يُذْكر إذا ما قورن بما هو موجود في مكتبات العالم . ولذلك فقد رنا بنظره مع مطلع هذه المرحلة إلى مناطق غنية بالتراث العربي ، في إفريقيا وأوروبا ، كما استأنف إرسال بعثاته لداخل دولة المقر (مصر) ، وانضمت إلى خزانته مجموعة جديدة ، عن طريق الاتصالات ،مع أصدقائه في البلاد الأوروبية والشرقية .

(ج) وبدأ معلم أو خط جديد ، تمثل في إصدار فهارس للمخطوطات التي تضمها خزانة المعهد ، إلى جانب إعداد قوائم بما صَوّرته البعثات الداخلية والخارجية .

(د) كما طلع فجر مجموعة من المطبوعات القيمة ، من أمهات كتب التراث ، التي كانت مخطوطات ؛ لا تصل إليها الأيدي ، ولا تفيد منها ، فتحولت إلى مراجع مبذولة للجميع . ويلاحظ أن معظمها في أجزاء عديدة . ولذلك فإن أكثرها لم يصدر مرة واحدة ، بل إن بعضها لم يكتمل حتى الآن .

(هـ) ومن هذا المعلم تفرَّع معلم آخر ، فصدر عام ١٩٥٥ العدد الأول من « مجلة المعهد » ، وهي مجلة نصف سنوية محكّمة ، ورُتِّبت على ثلاثة

أقسام : الأول لشؤون المخطوطات العربية في العالم ، والثاني : للتعريف بالمخطوطات ، والثالث : لنشاط المعهد .

(و) وفي هذه المرحلة انتشر خبر المعهد ، وطار صيته ، في الدوائر الثقافية ، في الشرق والغرب ، وعرفه الباحثون والدارسون ، كما عرفته الجامعات والمؤسسات المعنية بالتراث العربي ، داخل الوطن وخارجه .

لكن الوقت لم يكن قد حان بعد ، لكي يُسلَك هذا التعاون ، ويفاد من هذه الشهرة عربيًا ، في شكل اتفاقات تُعْقَد ، وهيئات تُكوَّن . وهو ما سوف تشهده المرحلة التالية .

(ز) ومما يُؤْسَف له أن الجزء الأخير من هذه المرحلة ، قد شهد لونًا من ألوان الركود ، فقد توقف إرسال البعثات ، وانحسر بعض إشعاع المعهد ، وتعطلت المجلة عن الصدور .

لكن ذلك لم يستمر طويلاً ،فقد استؤنف إرسال البعثات في أواخر عام ١٩٦٩ ، وأرسل خبير لاستطلاع أوضاع المخطوطات في إسبانيا والبرتغال ، ثم قامت بعثة عام ١٩٧٠ ، إلى تركيا .

(١ - ٣) المرحلة الثالثة :

العطاء (بذور التنسيق القومي)

(أ) عمر هذه المرحلة عقدان (١٩٧٠ - ١٩٩٠) ، ومارس المعهد فيها عمله من ثلاث عواصم عربية : القاهرة ، ثم تونس ، فالكويت . والحد الفاصل الذي بدأت منه هو ذلك القرار الذي صدر بفصل المعهد عن الأمانة العامة للجامعة العربية ، وإلحاقه بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، عام ١٩٧٠ .

(ب) وأهم ما يميِّز هذه المرحلة الاتجاه بقوّة إلى التعاون والتنسيق القومي من خلال اللقاءات ، والتشريعات ، والاتفاقات ، والتقديم للدعم المادي والعلمي ، والدورات التدريبية ، والحلقات الدراسية ، والندوات ، والنشر المشترك ، والتبادل في ميدانَيْ المخطوطات والمطبوعات .

(ج) ولم يؤثر هذا الاتجاه على نشاطات المعهد الأخرى ، فقد استمرت البعثات، كما توالى إصدار المطبوعات . بل إن هذه المرحلة شهدت ولادة نشرة (أخبار التراث العربي) التي قامت فيما بعد بدور كبير في تنسيق الجهود القائمة حول تحقيق التراث ونشره .

(د) لكن العمل توقف ، أو كاد ، خلال الفترة التي كان المعهد فيها في تونس ، وذلك لأسباب عديدة ، منها أنه ترك في القاهرة كل رصيده من المخطوطات ، وكل أوراقه ووثائقه التي تُعِينه على الاتصال والعمل . وعلى الرغم من ذلك فقد نظم - وهو في تونس - حلقة في بغداد ، حول أسس تحقيق التراث ومناهجه . وحاول محاولات أخرى ، تمثلت في البدء بإعداد فهرس لدار الكتب الوطنية بتونس ، وتجهيز مادة لإصدار المجلة ، وإعداد برنامج لاستخدام الكمبيوتر في حفظ فهارس المخطوطات ،وآخر لإيفاد بعثة تصوير إلى الباكستان والهند ، لكن هذه المحاولات لم يقدر لها أن تكتمل .

ومهما يكن فإن عمر هذه الفترة كان قصيرًا جدًا . ويمكن عَدّها مرحلة « انتقالية » لا أكثر .

(هـ) في الكويت بدأ المعهد من الصفر ، وَوُضِع له نظام أساسي جديد ، حَدّد أهدافه في خمسة عناصر : تصوير المخطوطات ، وفهرسة التراث وتيسير الانتفاع به ، وصيانة التراث والحفاظ عليه ، وخدمة حركة التحقيق والبحث العلمي ، والتعاون مع مؤسسات التراث .

كما شُكِّل له مجلس استشاري ، ضَمَّ نخبة من كبار العلماء والخبراء في التراث العربي ، وأُسندت إليه مهمة وضع خطط المعهد ، ومراجعتها ، ومتابعة تنفيذها .

(و) وقد استطاع المعهد خلال فترة وجيزة ، أن يكوّن رصيدًا مناسبًا من المخطوطات ، ويبني نواة لا بأس بها لمكتبة حفلت بعد ذلك بفهارس المخطوطات والمصادر الأساسية المُعِينة في العمل . كما تمكن من إقامة علاقات وثيقة مع مؤسسات التراث في البلاد العربية بعامة، وفي الكويت بخاصة .

وقطف – وهو في الكويت – ثمار جهد ، بذل على مدى المرحلتين السابقتين ، في ميدان التعاون والتنسيق القومي ، فأقرت البلاد العربية الصيغة النهائية لـ « القانون النموذجي لحماية المخوطات العربية » وشَكّل « الهيئة العربية المشتركة لخدمةالتراث » ، ونشر بالتعاون مع معهد التراث العلمي العربي التابع لجامعة حلب (سورية) مجموعة نافعة من أمهات كتب التراث العلمي العربي، وأرسل بعثات تصوير عديدة إلى بلدان عربية وأجنبية ، ووضع بذرة عدد من المشروعات المهمة ، مثل « المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع » .

(ز) في أواخر هذه المرحلة عادت جمهورية مصر العربية إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وأصبح لدى المنظمة معهدان للمخطوطات : أحدهما في القاهرة ، والآخر في الكويت ، فأثيرت قضية دمج المعهدين ، مما أسفر عن قرار أصدره المؤتمر العام للمنظمة في دورته العاشرة ، نَصَّ على ضرورة وضع خطة محكمة لتطوير عمل المعهدين ، وتحقيق أهدافهما ، والإفادة من إمكاناتهما ومقتنياتهما المادية والفنية والتقنية . كما حَثَّ على إعطاء الأسبقية للحفاظ على ذخيرة المعهدين من المخطوطات ،

وأقر مشروعًا مهمًا ، يتمثل في تجديد مصورات المعهد بالقاهرة ، ذلك أنه قد مضى عليها عقود طويلة ، مما يهددها ويعرضها للتلف ، وخصّصت للصرف على هذا المشروع (٨٠) ألف دولار من ميزانية المعهد بالكويت .

(ح) في أغسطس ١٩٩٠ وقعت أحداث الخليج ، ونقلت ثروة المعهد في الكويت من المخطوطات والكتب والأجهزة ، إلى جهاز الموسوعة العربية التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، في بغداد ، وتوقف عمل المعهد هناك .

(١ - ٤) المرحلة الرابعة :

(إرهاصات المستقبل)

(أ) ولم ينته العام (١٩٩٠) حتى استأنف المعهد عمله في القاهرة ، وكلف بتنفيذ مشروعاته بالكويت .

(ب) في نهاية عام ١٩٩١ أصدر المجلس التنفيذي للمنظمة قرارًا يقضي بتوحيد جهود معهدي المخطوطات في الكويت والقاهرة . وقد نَصّ القرار على الإفادة من إمكانات المعهدين ، ومتابعة الاتصالات لاستكمال استعادة لمحتويات المعهد بالكويت وإعادتها إليه.

وقد عمل المعهد في القاهرة على تنفيذ القرار ، لكن التركيز كان على تنفيذ الشق الخاص به في القاهرة ، ذلك أن الشق الخاص بالمعهد بالكويت ، والشق الثالث المتعلق بالمعهدين معًا ، لم يمكن تنفيذهما لسبب جوهري ، هو أن مقتنيات المعهد بالكويت ليست تحت يديه .

(ج) إن الجهد الذي بذل في القاهرة ، أدى إلى تطوير كبير في عمله ، فعادت الحياة إلى أرجائه ، ورجع كما كان مقصدًا للعلماء والباحثين وطلبة الدراسات العليا ، سواء منهم المصريون ، أو القادمون من البلاد العربية

وغيرها . كما التحمت العُرى من جديد مع الجامعات ومراكز البحث التراثي العربية .

من ناحية أخرى وُضعت خطة محكمة ، لإنقاذ ما هو معرّض للتلف من ذخيرة المعهد من المخطوطات ، من ناحية ، وتجديد ما أصبحت الحاجة ملحة لتجديده ، قبل أن يصل إلى مرحلة يحتاج فيها إلى إنقاذ من ناحية أخرى .

(د) وقد استمرت في هذه المرحلة نشاطات المعهد ، وحظيت بدفعات قوية ، تمثلت في تحقيق الكثير في ميدان الفهرسة ونشر كتب التراث وانتظام صدور الدوريات (المجلة ، النشرة) ، كما شهدت المجلة تطويرًا ملموسًا ، تجلّى في طريقة إخراجها ، وإضافة أبواب جديدة إليها ، حتى أصبح عدد الأبواب سبعة بعد أن كانت ثلاثة ، وركزت المجلة في هذه المرحلة على باب عظيم النفع ، هو نشر فهارس لكتب التراث المطبوعة بدون فهارس، ولقي ذلك قبولاً كبيرًا من الجهات المعنية ومن العلماء والباحثين ، على حد سواء .

٢ - القضايا الأساسية

(٢ - ١) قضية الإنقاذ :

(أ) أصابت التراث العربي محن قاسية ، لعل أهمها تلك الغربة المزدوجة التي عانى ولا يزال يعاني منها ، فقد تعرض للسرقة والنهب وعمليات الاتجار غير المشروعة ، وهكذا أصبح معظمه خارج الوطن العربي . كما أنه لم يجد العناية والحماية بين أهله ، وألقي في كثير من الأحيان في أماكن لا تتوفر فيها الظروف الملائمة ليستمر حيًّا .

ولم يكن ممكنًا إعادة المخطوطات من غربتها ، كما لم يكن ممكنًا إصلاح أوضاع المخطوطات في أماكنها ، وخاصة أن جزءًا كبيرًا منها في حوزة أشخاص أو أسر ، تعتز بها بوصفها جزءًا من « الماضي » ، وتضعها في صناديق أو أكياس ، دون أن تدرك خطورة ذلك ، أو تفكر في العلم الذي تهدده الأرَضَة، وتأكله الحشرات . ولذلك فإن المعهد لجأ إلى جمع مصورات لهذهالمخطوطات من خلال عدة قنوات .

(ب) بعثات التصوير :

لقد جابت البعثات ، التي أوفدها المعهد منذ أنشئ ، الأرض ، حاملة معداتها . وكانت الحركة من البداية داخل دائرتين واسعتين :

- دائرة العالم العربي .
- دائرة العالم الخارجي .

وداخل الدائرتين لم تقتصر الحركة على المكتبات الرسمية ، بل تعدتها إلى المكتبات الخاصة التي يملكها أسر أو أفراد .

- داخل الدائرة الأولى - الدائرة العربية - شهد عام ١٩٤٧ البدء بتصوير مخطوطات العاصمة المصرية ، فقد صورت مخطوطات من دار الكتب المصرية ، والمكتبة التيمورية ، ومكتبة طلعت ، ومكتبة حليم ، ومكتبة الجامع الأزهر . وفي العام التالي (١٩٤٨) وجه المعهد نظره إلى البلدان المصرية الأخرى ، فأرسل بعثتين : الأولى : إلى الإسكندرية وصورت من : مكتبة بلدية الإسكندرية ، ومكتبة جامع الشيخ (خاصة) . والثانية : إلى سوهاج ، وصورت من مكتبة المجلس البلدي التي تضم بقايا كتب رفاعة الطهطاوي ، ومكتبة جمال الدين بدر ببلصفورة (خاصة) . وتلت هذه بعثات أخرى ، صورت من مكتبات الجامع الأحمدي بطنطا ، والبلدية بالمنصورة ، والمعهد الدِّيني بدمياط ، وكلها غير مفهرسة .

وفي الكويت – البلد المضيفـة خلال الثمانينات – صَـوَّر المعهد أكثر من ثلاثة آلاف مخطـوطة تحتفظ بها جامعة الكويت ، وهي من مصـوراتها من مكتبة جامعة تشستربتي بدبلن (إيرلندة) .

وعندمـا عاد المعهـد إلى القاهـرة في أوائل التسعينات استأنف نشـاطه في مجال التصـوير لكن ذلك اقتصر حتـى الآن على المخطوطات المـوجودة داخل مصر ، وذلك بسبب بعض العقبات التي يرجى تجاوزها لاستئناف نشاط التصوير الخارجي .

– وامتدادًا للـدائرة الأولى شهد عام ١٩٤٧ أيضًـا أول بعثة تحط رحـالها في سـوريـة ، وقد صـورت البعثـة من المكتبـة الظاهـريـة (دمشــق) ، ومن كل من المكتبـة الأحمديـة ، ومكتبة الشيخ نـاجي الكردي قيم الجـامع الأموي ، ومكتبـة الأستاذ زين العـابدين . والمكتبات الثلاث في مـدينة حلب والأخيرتان خـاصتان غير مفهرستين .

وفي عـام ١٩٥٣ قـامت بعثـة لتصـوير مخطـوطـات القـدس الشـريف ، فصـورت مخطوطـات كثيـرة من مكتبـات رسمية وخـاصـة ، بلغ عـددها عشـر مكتبات ، وكلهـا غير مفهرسـة . وانتقلت البعثة نفسها إلى بيـروت ، فصورت من مكتبة الجامعة الأمريكية ، ومكتبة نور الدين بيهم .

وفي أواخر عـام ١٩٥٤ قصدت بعثـة أخرى المملكة العـربية السعـودية ، وصَوَّرت من مكتبة محمد نصيف بجدة ، ومكتبة الحرم المكي الشريف ، ومكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة .

وفي عام ١٩٥٦ أرسل المعهد بعثة إلى تـونس ، صورت من خمس مكتبات هناك . ثم قـامت بعثة إلى المغـرب ، وتوقفت البعثـات بعد ذلك عشـر سنوات تقريبًا !

وفي عام ١٩٧٢ قامت بعثة إلى المغرب، وليبيا (٧٢ أيضًا) والسعودية (٧٣) وشمال اليمن في ذلك الوقت (٧٤) والمغرب (٧٥) وجنوب اليمن في ذلك الوقت (٧٦).

وفي الكويت انطلقت البعثات تَتْرَى، فعلى الصعيد العربي قصدت بعثة في عام ٨٣ اليمن الجنوبي، وفي عام ٨٤ اليمن الشمالي، وفي عام ٨٦ سورية.

- على الصعيد الخارجي - غير العربي، قامت بعثات توجهت إحداها إلى تركيا، وصورت من مكتبات كثيرة حوالي ثلاثة آلاف مخطوطة، وتوجهت الثانية إلى الهند، ومكثت هناك ستة شهور، انتقت خلالها وصورت عددًا كبيرًا من المخطوطات المحفوظة في ٣٢ مكتبة بمدن بتنه وحيدر آباد وكلكتا ومدراس ولكهنو ورامبور وعليكره، وغيرها.

وفي عام ١٩٦٠ قامت بعثة إلى إيران. وأخرى إلى تركيا (عام ١٩٧٠) وإسبانيا (٧١)، وإيران (٧٣) وروسيا (٧٧).

وفي الكويت قصدت بعثة في عام ٨٨ إيطاليا، لتصور من مكتبة الأمبروزيانا بميلانو، وأعقبها في عام ٨٩ بعثة إلى يوغسلافيا، لتصور من مكتبة غازي خسرو بك بسراييفو.

وقد كانت حصيلة هذه البعثات الكثيرة خيرًا وفيرًا، فقد تجاوزت ثروة المعهد في القاهرة من المخطوطات ثلاثين ألفًا، وقاربت ثروة المعهد في الكويت عشرة آلاف مخطوطة.

(ج) الاتصالات:

وفي الوقت الذي كانت البعثات فيه تقوم بما لها، كانت الاتصالات مع أصدقاء المعهد خارج الوطن العربي قائمة. وبفضل هذا السَّعي انضمت إلى خزانته - وهو في القاهرة - مجموعات جديدة من المخطوطات، من مكتبات في إيران وفرنسا وهولندا وإنجلترا وإسبانيا.

كما انضمت مجموعات أخرى - وهو في الكويت - من المكتبات السعودية ، ومن مكتبة معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب (سورية) ، ومكتبة جامعة برنستون في الولايات المتحدة .. إلخ .

(د) الترميم :

كان ذلك كله جانبًا من جوانب الإنقاذ ، لكنَّه لم يكن كافيًا ، إذ لابد من سرعة إنقاذ بعض المخطوطات ، وهي في أماكنها ، وذلك من خلال خبراء متخصصين في الترميم ، فقد تدهورت أحوال بعض المكتبات إلى درجة يستحيل معها إتمام عمليات تصويرها ، قبل أن تُرَمَّم .

والحق أن هذا الجانب الجديد لم يأخذ طريقه إلى التنفيذ إلا في المرحلة الرابعة ، إذ أقر ضمن مشروعات المعهد لعام ٩٥ - ١٩٩٦ مشروع اسمه : « إنقاذ المكتبات العربية المعرضة للتلف » . ومن المقرر أن يشرع في تنفيذه قريبًا .

(هـ) إعداد الأجيال :

إنّ ترميم المخطوطات أصبح علمًا ، تستخدم فيه أجهزة ، ويأتي كل يوم فيه بجديد . ولذلك كان لابد من إعداد أجيال فنية متخصصة قادرة على صيانة التراث وحمايته . وقد نظم المعهد دورات بدءًا من عام ١٩٧١ ، لكنها لم تعرض لقضية صيانة المخطوطات وترميمها بجدية . وفي مرحلة لاحقة (الثمانينات) نضجت الفكرة ، وكتب المعهد إلى عدد من المراكز التدريبية المتخصصة في بلاد أجنبية متقدمة في هذا الميدان ، وكذلك إلى بلاد عربية ، كما استقدم - وهو في الكويت - خبيرة عربية ، تشاور معها حول أفضل السبل لتكوين كفاءات عربية جيدة ، وألقت هذه الخبيرة محاضرة عن معالجة وصيانة ورق المخطوطات .

وتبنى المعهد - وهو في الكويت - مشروعًا لدورة تدريبية ، لكنه لم ينجح في تنفيذها ، بسبب عدم تعاون الجهات المعنية في ترشيح المتدربين ، وأيضًا عدم استجابة المراكز المتخصصة في تنفيذ الدورة .

وفي القاهرة - بعد عودة المعهد إليها - تبنى دورة مماثلة ، وهو بسبيل تنفيذها قريبًا ، بعد أن تعثر التنفيذ ، لاعتبارات تتعلق بالمراكز المتخصصة في التنفيذ .

(٢ - ٢) قضية التعريف :

(أ) التراث العربي ركام ، بعضه فوق بعض . والتعريف به لم يحظ بالاهتمام الذي يدفع به إلى بؤرة الضوء . وقد تنبه المعهد لهذه القضية مبكرًا ، فنصّ في نظامه الأساسي الأول الذي أقر في القاهرة ، في الفقرة (أ) من مادته الثانية على : « جمع فهارس المخطوطات العربية الموجودة في دور الكتب العامة والخاصة ، وفهارس المخطوطات التي يمتلكها الأفراد ، لتوحيدها في فهرس عام » .

وكان هذا هدفًا صعب المنال ، فالفهارس كثيرة جدًا ، وفي كل يوم يطالعنا منها جديد . ولهذا فإنه لم يتحقق إلا في الثمانينات ، فقد أصدر المعهد في الكويت فهرسًا كبيرًا في جزأين ، تحت عنوان « فهارس المخطوطات العربية في العالم » يعد الآن مرجعًا في بابه .

(ب) تلك كانت خطوة عامة ، رافقتها خطوات تفصيلية ، تشعبت في أكثر من اتجاه ، فقد بدأ المعهد في القاهرة بإصدار فهارس تحليلية لمصوراته ، استهلها بفهرس عام مصنف على العلوم ، صدر عام ١٩٥٤ ، وأتبعه فهارس خاصة بعلوم مختلفة : التاريخ ، والطب ، والعلوم ، والكيمياء ، والتاريخ ، والمعارف العامة . وفي الكويت أصدر فهارس أيضًا لمصوراته في علوم الفقه ، والأدب ، والتاريخ . وبعد عودته إلى القاهرة أصدر جزءًا مكملاً

لفهارس « الأدب » التي أصدرها قبل انتقاله إلى الكويت . ويعمل حاليًا في إعداد جزء جديد لمخطوطات الأدب أيضًا .

(ج) ولم يقتصر جهد المعهد على فهرسة مخطوطاته . بل تبنى إلى جانب ذلك فهرسة وطبع ونشر مخطوطات مكتبات في البلاد العربية . وقد امتدّ هذا النشاط ليشمل عددًا من هذه البلاد في شرقي الوطن وغربيه ، فصدرت فهارس لمكتبات عامة وخاصة . ومن هذه الفهارس : فهرس الخزانة الصبيحية بسلا - المغرب ، وفهرس مخطوطات مكتبة السيد محمد باقر الطبطبائي في كربلاء - العراق ، وفهرس مجاميع المدرسة العمرية في دار الكتب الظاهرية - دمشق .. وكان آخر ما صدر « فهرس مخطوطات مكتبة جامعة الإسكندرية » الذي صدر عن المعهد في القاهرة بعد استئنافه عمله فيها .

ويشرع المعهد حاليًا في اتخاذ إجراءات طباعة فهرس للمخطوطات العلمية في دار الكتب الوطنية بتونس ، وذلك بالتعاون مع « بيت الحكمة » إحدى المؤسسات العلمية في الجمهورية التونسية .

(د) وتجاوز المعهد البلاد العربية ، وطمح بعينيه إلى الخارج ، فالتراث العربي - أينما كان - هويته واحدة . وقد نشر المعهد في هذا الإطار « فهرس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية بجامعة ستراسبورغ - فرنسا » و«مجموعات مخطوطة في مكتبات إستانبول » وقبلها « فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأمبروزيانا في ميلانو - إيطاليا » .

(هـ) ولا يغيب عن البال تلك المهمات العلمية التي قام بها خبراء المعهد إلى مواطن المخطوطات ، للكشف عن أوضاعها وكتابة تقارير عنها . ومن ذلك التقارير التي نشرها عن المخطوطات العربية في الهند ، ويوغسلافيا ، ونيجيريا .

(و) كما لا يغيب الدور الكبير الذي قامت به مجلة المعهد في خدمة قضية التعريف ، فقد تضمنت مجلداتها ثروة من الفهارس التي تلقي الضوء على ما تحتويه مكتبات المخطوطات العامة والخاصة ، داخل الوطن العربي وخارجه .

(٢ - ٣) قضية الإحياء :

(أ) إحياء التراث في نشره . وقد نَصّ النظام الأول الذي وضع للمعهد في القاهرة ، في فقرته (د) من المادة الثانية ، على أن يقوم بـ « طبع صور المخطوطات القيمة ، التي نصها صحيح ، وخطها مقروء ، ونشر نصوص المخطوطات ذات الأهمية الكبرى » .

(ب) ولما كانت طرائق التحقيق مختلفة بين البلاد العربية من ناحية ، والبلاد العربية والأوساط الاستشراقية من ناحية أخرى ، فإن المعهد وضع في وقت مبكر طريقة موحدة ، لقيت قبولاً كبيرًا لدى الجانبين .

وفي وقت لاحق (مايو ١٩٨٠) عقد حلقة في بغداد ، دعا إليها مجموعة من الأساتذة المشهود لهم بطول الباع في الميدان ، خلصوا إلى أسس عامة لتحقيق التراث ومناهجه ، نشرت بعد ذلك ضمن كتيب صغير ، صدر عن المعهد في الكويت .

(ج) وقد نهد المعهد - منذ أنشئ - للمهام الجسام ، فاختار تلك المخطوطات الكبيرة ذات الأجزاء ، التي لا يطيق الأفراد النهوض بها ، سواء من الناحية العلمية ، أو المادية، كما لا تقبل عليها دور النشر ، لقلة جدواها تجاريًا .

(د) التراث العربي غني كمًا ونوعًا . ولذلك فإن المسؤولية كبيرة ، تفرض أن تظل العين على هذا التراث بمختلف صنوف المعرفة التي تناولها ، فلا يطغى صنف على صنف ، ولا يُهْمَل منه علم ، فيظل في منطقة النسيان .

واعتمادًا على ذلك ضمت قائمة منشورات المعهد كتبًا ، مثل « سير أعلام النبلاء » و « ذيل الدرر الكامنة (في التراجم) ، وشرح السير الكبير (في الحقوق الدولية) ، والمحكم ، ومجمل اللغة (معجمات) ، وديوان الألغاز للمعري ، ودواوين المثقب العبدي والمتلمس الضبعي وعمرو ابن قميئة وشعر تغلب في الجاهلية (شعر وأدب) ، والتبصرة في القراءات ، والموضح في التجويد (علوم قرآن) ، والنكت في تفسير سيبويه ، وتفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب للفارقي (نحو) » .. وغير ذلك .

(هـ) ووسط ذلك كله لم يضع التراث العلمي ، فقد نشر المعهد كتبًا في الطب مثل « القولنج » و « المنصوري في الطب » وهما لأبي بكر الرازي ، وثلاثة من كتب ابن سينا صدرت في كتاب واحد تحت عنوان « من مؤلفات ابن سينا الطبية » وكتبًا في الحساب والرياضة « التكملة في الحساب » للبغدادي ، و « نظرية الخطوط المتوازية في المصادر العربية القديمة » و « أساس القواعد في أصول الفوائد » لكمال الدين الفارسي .. وغير ذلك .

(و) إلى جانب ذلك احتوت مجلة المعهد على عدد كبير من الكتب الصغيرة ذات الأهمية ، والمحققة وفق الأسس العلمية . بل إن بعض الكتب الكبيرة نشرت أحيانًا بدلاً من بعض أعداد المجلة ، مثل « المرشد أو الفصول مع نصوص طبية مختارة » لأبي بكر الرازي ، و « تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن » لأبى الريحان البيروني الخوارزمى .

(ز) إن من المحن التي تعرض لها تراثنا ، تلك الهوة التي حدثت بينه وبين الأجيال الجديدة لأسباب عديدة . ولاشك أن قضية الإحياء لن تخدم بالصورة المثلى مادامت هذه الهوة قائمة .

لهذا سعىٰ المعهد إلى تنظيم دورات تدريبية لخريجي الجامعات ، تهدف إلى تقريبهم من تراثهم ، وتمرينهم على قراءته وفهمه وتوثيقه ودراسته وأصول تحقيقه وفهرسته ، ومن ثم الإفادة منه والبناء عليه . كما هدفت هذه الدورات إلى تعويدهم على التعامل مع أنواع الخطوط التي كتب بها ، والمراحل التي مرت بها المخطوطة العربية .

وكانت أول دورة في العاصمة المصرية عام ١٩٧١ ، تلتها دورات أخرى في الأعوام ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٧ ، في القاهرة أيضًا . ثم عقدت دورة خامسة في عام ٨٠ ببغداد . وسادسة في عام ٨٩ بالكويت . ويجرى التخطيط لعقد دورة سابعة في إحدى بلدان المغرب العربي . لكن أحداث أغسطس ٩٠ حالت دون ذلك .

(٢ - ٤) قضية التعاون :

(أ) حرص المعهد على الارتباط بعلاقات تعاون وثيقة مع مختلف المؤسسات والهيئات والمراكز المعنية بالتراث في البلاد العربية والعالم ، وذلك تحقيقًا لهدف رئيس ، نص عليه نظامه الأساسي الأول في الفقرة (هـ) من مادته الثانية .

وقد بدأت خيوط هذا التعاون تتشابك وتتلون حتى شكلت شبكة كبيرة ، لكل خيط من خيوطها لون ووظيفة وهدف .

(ب) أول هذه الخيوط تقديم التمويل المادي والعون العلمي للهيئات التراثية المحتاجة للدعم . ومن ذلك المعونة المادية التي قدمها لهيئة القدس العلمية لصيانة المخطوطات في مكتبات المدينة المقدسة ، وإهداؤه مجموعة من أجهزة التصوير لأحد مراكز البحث العلمي الموريتانية ،

وصرفه على الندوة العالمية الرابعة لتاريخ العلوم عند العرب ، التي نظمها معهد التراث العلمي العربي التابع لجامعة حلب في الجمهورية العربيةالسورية .

(ج) وثاني هذه الخيوط تبادل مصورات المخطوطات والمطبوعات مع المؤسسات الموجودة في الوطن العربي وخارجه . وفي هذا الإطار أعَدّ قائمة طويلة من عناوين هذه المؤسسات يحرص على تزويدها بإصداراته ودورياته ، ويتلقىٰ منها ما تصدره ، كما أنه تبادل مصورات المخطوطات مع مؤسسات عديدة ، مثل : جامعة الكويت ، والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت ، وعدد من الجامعات السعودية ، ومكتبة الأسد الوطنية ، ومعهد التراث العلمي العربي (سورية) ، وجامعة يوتا ، وجامعة برنستون بأمريكا ، وغيرها .

(د) وثالثها النشر المشترك . وفي إطاره نشر المعهد - وهو في الكويت ، بالتعاون مع معهد التراث العلمي العربي التابع لجامعة حلب - مجموعة قيمة من كتب التراث العلمي .

كما نشر - وهو في القاهرة - بالتعاون مع وزارة الثقافة المصرية ، في مرحلة مبكرة ، كتاب مختار الأغاني .

(٢ - ٤) قضية التنسيق :

(أ) معهد المخطوطات معهد قومي ، يقوم على خدمة تراث غني لأمة عريضة ، تمتد على مساحة جغرافية واسعة . والتنسيق الذي يخدم هذا التراث ، حفظًا وصيانة وتحقيقًا ونشرًا وفهرسة ودراسة ، ينبغي أن يكون هدفًا رئيسًا له ، إذ بدون هذا التنسيق تضيع الجهود وتتكرر ، وبدونه يعمل الجميع ، مؤسسات وأفرادًا ، كلاً على حدة ، فتغيب أهداف ، وتتوه قضايا .

إلا أن هذا الهدف لم يُنَصّ عليه صراحة في النظام الأساسي الأول ، ربما لأن المعهد لما يكن قد امتلك أدواته بعد ، كما أن معظم البلاد العربية لم يكن فيها أيامها مراكز خاصة بالتراث ، تعمل على أسس واضحة .

(ب) والحق أن قضية التنسيق نمت شيئًا فشيئًا ، بدأت بالتعاون مع المراكز والمؤسسات المعنية - كما سبقت الإشارة في القضية الرابعة - وكان لابد أن يُسْلك هذا التعاون في تشريعات وقوانين واتفاقات وتشكيل هيئات .. تكون نواة لوضع استراتيجيات عاجلة وآجلة .

(ج) وجاءت حلقة حماية المخطوطات العربية وتيسير الانتفاع بها التي عقدها المعهد في بغداد عام ١٩٧٥ ، لتضع بذرة هامة في ميدان التنسيق ، فقد أوصت بإعداد مشروع قانون لحماية المخطوطات في البلاد العربية . وتنفيذًا لذلك كَوّن المعهد لجنة من المتخصصين في التراث والقانون ، وأرسل المشروع إلى الدول العربية في عام ١٩٧٧ .

وعندما انتقل المعهد إلى الكويت نص نظامه الجديد في مادته الثالثة على أن « يعمل على تحقيق مشروع القانون الموحد لحماية المخطوطات العربية » . وظل المشروع في بؤرة الاهتمام يخضع للتعديلات والإضافات التي ترد إليه من الدول العربية حتى أقر الوزراء المسؤولون عن الشؤون الثقافية في الوطن العربي ، في مؤتمرهم السادس الذي عقدوه عام ١٩٨٧ ، « القانون النموذجي لحماية المخطوطات العربية » .

وكانت هذه ثمرة عظيمة من ثمار الجهود المبذولة في ميدان التنسيق .

(د) والتشريعات وحدها ليست كافية ، ولذلك فإن المعهد استطاع أن يتوج علاقاته الوثيقة مع المؤسسات التراثية العربية بتشكيل « هيئة عربية مشتركة لخدمة التراث » ضمت أربع عشرة هيئة ومؤسسة عربية متخصصة ، عقدت أول اجتماعاتها في الكويت ، في أواخر عام ١٩٨٣ .

وقد اتخذت هذه الهيئة توصيات مهمة ، شددت على دور المعهد في وضع الخطط اللازمة لتصوير المخطوطات وفهرستها والعناية بها ، بدءًا بالتراث المهدد بالتلف والضياع ، وخاصة التراث العربي الإسلامي في بيت المقدس وفلسطين ، وكذلك على ضرورة تعاونها مع المعهد في شتى المجالات التي تخدم العمل التراثي .

وكانت هذه « الهيئة » ثمرة عظيمة أخرى .

(هـ) إلا أن الظروف التي مرت بها المنظمة في السنين التالية لتشكيل هذه الهيئة أدت إلى تعطيل عقد اجتماع جديد لهذه الهيئة .

(و) وفي القاهرة - بعد أن استأنف المعهد عمله منها - جَدّد المعهد القضية ، وتبنى مشروعًا لتشكيل هيئة جديدة ، وبدأ بالكتابة إلى البلاد العربية في هذا الخصوص ، وذلك إدراكًا منه بضرورة الاستمرار في اللقاءات بين المسؤولين عن مراكز التراث ، لتدارس ما جَدّ منذ الاجتماع الأول ، ومتابعة تنفيذ التوصيات السابقة .

ومن المؤمل أن تعقد هذه الهيئة اجتماعها الثاني في أواخر عام ١٩٩٦ .

ويذكر أن هذه الهيئة قد نص النظام الأساسي الذي وضع للمعهد عقب انتقاله للكويت على تشكيلها .

(ز) كان ذلك على صعيد التخطيط للعمل القومي في مجمله . ولكن ماذا عن الحركة الداخلية الجزئية في ميدان العمل التراثي الذي يتم داخل المؤسسات العربية ، أو يقوم به الباحثون ؟ سواء كانوا يعملون بمبادرات ذاتية ، أو للحصول على درجات علمية .

هذا ما قامت به نشرة (أخبار التراث العربي) التي أصدرها المعهد عام ١٩٧١ . وقد شهدت هذه النشرة تقدمًا كبيرًا ، وأصبح لها ملامح خاصة ومتميزة بعد انتقال المعهد إلى الكويت ، فقد وضعت لها خطة ، وانتظمت

مادتها في أبواب ثابتة ، ترصد نشاطات المعهد ، والمؤسسات التراثية العربية ، والباحثين ، وطلبة الدراسات العليا ، والكتب الصادرة حديثًا ، بالإضافة إلي التعقيبات والاستدراكات التي تَرِد على ما ينشر فيها ، حتى غدت قناة رئيسة يحرص كل المشتغلين في ميدان التراث على الاطلاع عليها ، ويقوم المعهد بتوزيعها مجانًا .

(ح) وفي الاتجاه نفسه تبنى المعهد مشروعًا لإعداد معجم شامل للتراث العربي المطبوع . وعلى الرغم من أن معجمات قد صدرت من قبل بجهود فردية ، فإن هذا المعجم يعد أوسع معجم في بابه ، يعتمد المنهج التحليلي في مادته .

وقد صدر من هذا المعجم الأجزاء الأول والثاني والثالث والخامس . وتعطل إصدار « الرابع » لأن مادته قد نقلت إلى الموسوعة العربية في بغداد ، ضمن ثروة المعهد التي نقلت إلى هناك .

ولهذ المعجم خاصية ليست في غيره ، فهو حَيّ متجدد ، يواكب ما تقذفه المطابع كل يوم ، من خلال ملاحقه التكميلية ، وسوف يصدر الملحق الأول خلال الدورة الحالية (٩٥ - ١٩٩٦) .

الطمـــوح:

والآن وبعد مضي ما يقرب من نصف قرن على إنشاء معهد المخطوطات العربية ، فإن هذا المعهد قد بلغ مرحلة متقدمة من النضج وفي ظل الرعاية الخاصة التي توليها المنظمة له ، فإن خطواته المستقبلية أصبحت واضحة ومحسوبة بدقة شديدة

لقد أعد المعهد تصورًا مستقبليًا لخطة عمله ، ركز فيها على ضرورة «توظيف» التكنولوجيا في خدمة التراث ، وزيادة عدد بعثات التصوير ، وتنمية القدرات العربية من خلال الدورات التدريبية المتخصصة ، وتبني جوائز لتشجيع

الأجيال الجديدة على العمل التراثي ، ورسم خطة خاصة بإنقاذ المكتبات العربية المعرضة للتلف ، وأيضًا الاستمرار في نشر الكتب التراثية الأصيلة والكبيرة ، بالإضافة إلى الاتجاه نحو إصدار سلسلة من الفهارس لكتب التراث المطبوعة بدون فهارس أو بفهارس غير وافية ، وذلك في محاولة لحل مشكلة عويصة من مشكلات التراث .

وسوف يمثل النجاح في تنفيذ هذا التصور المستقبلي - إن شاء الله - لبنة جديدة تضاف إلى إنجازات المعهد في مجالات نشاطه المختلفة ، أملاً في أن يأخذ تراث هذه الأمة مكانه الصحيح كأساس لنهضتها وبناء المستقبل الذي يليق بها .

* * *

قضية إنقاذ المخطوطات :

ما تحقّق وما لم يتحقق

د. محمود محمد الطناحي (*)

ليس بين أيـدي الأمم الآن من تـراثها الفـكريّ المسجّل الموثّق ، ما للأمّة العربية ؛ كثرةً وتنوعًا ، فقد عَمَرت دُور الكتب ، وامتلأت مكتبات المساجد بألوف الألوف من المصنَّفات التي حملت قـرائح الكُتَّاب العـرب في مختلف الفنـون والعلـوم والآداب . فما كادت الرواية الشـفوية تنحسر ، ويحلّ محلّها التسجيل والتدوين حتى امتـلأت حَلَقـات المسـاجـد بـالشيـوخ والتـلاميـذ ، الشيـوخ بمحفـوظهم ومرويَّاتهم يُملون ، والتلاميذ بأقلامهم وقراطيسهم يسْتملون ويسجِّلون .

ولا يخرج هذا المكتـوب من بين يدي التلاميذ حتى يستكمـل أسباب التوثيق والقبول ، من سمـاع على الشيخ المُملِي ، أو إذن منـه بإجازة رواية الـذي كُتب ، وتـوقيعه بخطـه بصحّـة ذلك كلّه ، مقـرونـًا ذلك كلُّـه بتاريخ الإمـلاء - النَّسخ - والسماع والإجازة بـاليوم والشهر والسنة ، وأحيـانًا بالوقت من اليـوم ، كأن يقال : ضحـوة يوم كـذا ، أو ظُهره أو عصـره ، وقد يضـاف إلى ذلك كلِّه تسجيل أسمـاء حضور طبقة السماع ، وهم الذين حضـروا مجلس الإملاء - ويكثر هذا في كُتُب الحـديث - ثم تخـرج تلك النسخـة المحـرَّرة الموثقـة من الكتـاب ، ليتلقفهـا

(*) أستاذ بكلية الدراسات العربية والإسلامية بالفيوم - جامعة القاهرة .

الورّاقون - وهم الناسخون في ذلك الزمان - يستنسخون منها نُسخًا ، تتناسل من الأصل الأول ، كما يتناسل الحيُّ من الحيّ .

وهكذا وصل إلينامعظم تراثنا على هذا الوجه الذي لا يدخل عليه الشكّ من أيّ باب تدخل منه الشكوك ؛ لا على وجوه الاجتهاد والتخمين والحدس والاستنتاج ، ومعاناة فكّ الرموز واستنطاق الطّلاسم ، وإذا ما أراد كذّاب أو مدلّس أن يخترق هذه الحدود الحصينة من التوثيق والاطمئنان أمكن كشفه وفضح أمره من أيسر سبيل ، بأسباب وعلامات يعرفها المشتغلون بعلم المخطوطات .

ومما ينبغي التنبّه له ، أو التذكير به أن هذه الحركة العلمية القائمة على الإملاء والاستملاء والتسجيل ، لم ينفرد بها بلدٌ عربيّ أو إسلامي دون بلد ، ولم يختصّ بها زمن دون زمن ، بل قام الكلُّ في وقت واحد ، وكأنهم جميعهم على موعد واحد ، لا يحلُّ تأخيره ، لأداء واجب واحد ، لا يقوم أحد منهم مقام أحد فيه ، فالذي حدث في مكة والمدينة والبصرة والكوفة وبغداد ، من مجالس العلم والاستملاء حدث مثله في الوقت نفسه في دمشق وحلب والقاهرة وقرطبة وغرناطة وإشبيلية والمغرب الأقصى كلّه وبلاد فارس ، وأصغر بلد طالتْه يدُ العربيّة .

كثرت التآليف إذن ، وامتلأت خزائن الكتب ودور العِلم بالمخطوطات ، وأسلمها جيلٌ إلى جيل ، وفي أول الأمر حفظ الجيل الثاني ما أسلمه إياه الجيل الأول ، وصانه كما يصون كرام الأبناء ودائع الآباء ، ثم كان ما كان مما شاءه ربك ، من تعرُّض الأمة العربية لنوازلَ وغَواشٍ ، أطبقت عليها كقِطع الليل المظلم ، وسلبتها أشياءَ عزيزةً كثيرة ، كان منها هذا القدر الضخم من مستودعات الفكر وقرائح العقول ، المتمثلة في المخطوطات التي تعرّضت لعوادي الناس والأيام ، وتقرأ في جريدة مصنفات عالم من العلماء ، في أثناء ترجمته ، أن له عشرين مصنّفًا في كذا وكذا من العلومَ والفنون ، ثم تنظر فيما بين يديك من فهارس المكتبات ، أو رصيد المطبوعات ، فلا تجد له إلاّ مصنّفًا أو مصنّفين اثنين ، بل

ربما لا تجد له شيئًا البتَّةَ ، ومثل ذلك يقال فيما تراه من نَقْل أو إحالة في كتاب قديم ، على كتاب لفلان ، ثم لا تجد لذلك الكتاب أثرًا الآن .

ويكثر الدارسون الآن من ذكر أسباب ضياع المخطوطات العربية ، ويردُّون ذلك إلى أسباب كثيرة ، بعضها مقصودٌ متعمَّد ، كالإتلاف والإحراق - مع ما يصاحب ذلك من المبالغات أحيانًا - والنَّهب . والإتلاف والإحراق لا حيلة لنا فيهما الآن ، أمَّا النَّهب - وهو ما يُعبَّر عنه أحيانًا بالسَّرقة - فيجب النظر فيه ومناقشته . إنّ حقيقة الشيء الذي يُنْهَب أو يُسْرَق أنه يذوب في ذمة الناهب والسارق ، ويدخل في ملكيته الخاصة ، ويختلط بماله العامّ ، فلا يُرى له أثر بعد ذلك ، ولا يُستطاع تمييزه ، ولا يتصور هذا فيما يسرق ويُنهب من المخطوطات ؛ لأنها تظل باقية العين ، ولا يمكن إذابتها في ملكية خاصة ، وغاية ما يصنعه سارق المخطوطات أنه يستفيد منها بالبيع ، وهذا في رأيي تصرّف لا بأس به ، على أن يكون البيع لهيئة علمية ، أو مكتبة عامة تتيح المخطوطات لسائر الناس ، والمحظور أن يحبس السارق المخطوط ، ويضعَه في ملكيته الخاصة : تحفةً من التحف ، يُسرّ برؤيتها وحده ، أو يُريها الناسَ من خلف زجاج ويمضون ، فلا يستفيد منها أحد بالقراءة أو الاطلاع ، فهذا فوق أنه سرقة حبسٌ للعِلم .

ويُهمل الدارسون سببًا خطيرًا جدًا في ضياع المخطوطات ، وهو الإهمال ، وترك المخطوطات تعبث بها وتفنيها عواملُ البِلى ، مثل الرطوبة والأَرَضة - هذه الحشرة الآكلة اللعينة - وذكر أمثلة ذلك مما يطول به الكلام ، لكني أكتفي بمثال واحد ، رأيته بعيني بمدينة زَبيد باليمن ، فقد كنت عضوًا في بعثة معهد المخطوطات إلى اليمن في صيف عام ١٩٧٤م ، وكان معي الزميلان عصام محمد الشنطي ونبيل عبد الفتاح إبراهيم ، وفي مكتبة خاصة للسيد عبد القادر الأنباري رأينا مجموعة من المخطوطات ، في غرفة مغلقة منذ زمن طويل ، وقد وضعت المخطوطات بعضُها فوق بعض ، مما جعل كثيرًا من هذه المخطوطات يلتصق ورقه بعضُه ببعض ، بحيث يتعذّر فصل الأوراق ، فإذا حاولت لها فصلاً

هوى بعضها ترابًا ناعمًا دقيقًا ، وتمزق بعضها الآخر . ومن الغريب أن هذه المكتبة تضم نفائس من المخطوطات ، بعضها نُسخ سنة (٥٤٩هـ)[١] ، وقد استنقذنا من هذه المجموعة المتهالكة ثمانية مخطوطات ، وأظن أن ما تركناه بهذه المكتبة قد أصبح الآن هشيمًا تذروه الرياح .

ويقدّر العلماء العارفون بالمخطوطات العربية عددها الموجود الآن بما يزيد على ثلاثة ملايين ، لا يُخشى عليها من وجهة نظرى إلاّ ا لإهمال وعواملُ البِلَى ، أما سرقة المخطوطات فهو حديث خُرافة ، ونترك أمره إلى حين .

وهذا العدد الوفير من المخطوطات العربية موزَّعٌ الآن في أقطار الأرض ، في مكتبات عامة ، وفي ملكيات خاصة ، فالذي في المكتبات العامة بعضه غير مفهرس ، أو مفهرس فهرسةً ناقصة ، قد تُهمل المجاميع التي تحتوى أحيانًا في داخلهاعلى نفائس ، وقد تُهمل المخطوطات المنزوعة الأغلفة ، وبعض هذه مما يبحث عنها الدارسون بحثًا .

والذي في الملكيات الخاصة كثيرٌ منه من المضنون به على أهله ، يحتجزه أصحاب تلك المكتبات ، ويحجبونه عن الناس ، لأنهم يرونه إرث آبائهم وأجدادهم ، وأنهم أحقُّ به وأهلُه . وفي جَعْبتى من ذلك كثير .

لهذا كلّه فكّرت جامعة الدول العربية غداة قيامها سنة ١٩٤٥م في إنشاء معهد المخطوطات ؛ ليجمع أكبر عدد ممكن من صور المخطوطات القيّمة النادرة المبعثرة في العالم ، ويضعَ هذه المصوّرات تحت تصرّف العلماء في مختلف أقطار العالم للاطلاع عليها ، في مقرّ المعهد ، بقراءتها ، أو بتقديم نُسَخ ميكروفيلمية أو ورقية منها بأسعار زهيدة ، أو بإعادتها للمؤسسات العلمية ، وليفهرس المكتبات العامة والخاصة التي تحوى مخطوطاتٍ غير مفهرسة ، حيثما

(١) انظر قائمة مصورات بعثة المعهد إلى اليمن ، في مجلة المعهد ٢٢/ ١/ ٣ ، سنة ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م .

كا نت ، وينشر هذه القوائم ، ثم ليقوم بنشر المخطوطات ذات الشأن الكبير ، وليكون بعد ذلك مركزًا علميًا للتعاون العلمي بين العلماء والمؤسسات العلمية في العالم ، في سبيل خدمة المخطوطات العربية والتعريف بها ، وتبادل المعلومات عنها .

تلك كانت أهدافَ المعهد التي حدَّدها قرار مجلس جامعة الدول العربية المؤرخ في ٤/ ٤/ ١٩٤٦م وواضح من هذه الأهداف التي تغيَّاها قرار مجلس الجامعة أن تصوير المخطوطات المبعثرة في أنحاء العالم ، هو على رأس تلك الأهداف التي أنشئ المعهد من أجلها .

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية العظمى اختطَّ القائمون على المعهد آنئذ خِطَّةً محكمة ، وسلكوا سبيلاً راشدًا ، فتألفت لجنة عكفت على موسوعة المستشرق الألماني الكبير كارل بروكلمان « تاريخ الأدب العربي » فاستخرجت منه نفائس المخطوطات وأسماء المكتبات التي تحتفظ بها ، وكان من أعضاء هذه اللجنة الأساتذة : عبد العزيز الأهواني وخليل عساكر وعبد الحليم النجار ، وكان ذلك حافزًا للإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية – وكان معهد المخطوطات قسمًا منها – لترجمة كتاب بروكلمان هذا ، وعهدت بذلك إلى الدكتور عبد الحليم النجار ، الذي ترجم منه ثلاثة أجزاء ، ثم أعجلته المنيَّةُ عن إتمامه .

وحين اتضحت الصورة أمام القائمين على شئون المعهد ، بدأ العمل ، وكان عمود الصورة هو النفاسة بمعاييرها[1] المعروفة عند أهل العلم ، فإن كثرة المخطوطات وامتلاء الخزائن بها توجب الانتقاء . فوضعت البطاقات

(١) انظر شيئًا من معايير نفاسة المخطوطات في كتابي : الفهرس الوصفي لبعض نوادر المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الرياض ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م . وانظر مقالة لي بمجلة العربي الكويتية – يوليو ١٩٩٥م .

للمخطوطات التي ينبغي أن تصـور ، اعتمادًا على موسوعة بروكلمان ، وأحسنِ ما ذكرْتـه ، والاستشراف إلى مظانّ المخطوطـات في المكتبات الخاصـة والعامة ذات السمعة العالية التي لم تفهرس فتدخلَ في دائرة بروكلمان .

ويمكن تقسيم نشـاط معهد المخطـوطات في استنفـاذ المخطوطات بـإرسال البعثات لتصويرها إلى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى : منذ إنشائه سنة١٩٤٦م إلىٰ سنة ١٩٦٠م . والمرحلة الثانية : من سنة ١٩٧٠م إلى سنة ١٩٧٨م . والمرحلة الثـالثة : من سنة ١٩٨١م إلى سنة ١٩٩٠م .

المرحلة الأولى

وتبدأ هذه المرحلة بأول بعثة أرسلها المعهد إلى سورية ، في شهر إبريل من عام ١٩٤٧م ، فصـوَّرت عددًا من المخطوطـات من مكتباتهـا العامة والخـاصة : المكتبة الظاهـرية بدمشق – وكان قسمٌ كبيـرٌ منها في ذلك الزمـان غير مفهرس – والمكتبة الأحمـدية بحلب – غير مفهـرسة – ومكتبة الشيخ نـاجي الكردي ، قيّم الجامع الأموي بحلب ، ومكتبة الأستاذ زين العابدين بحلب .

وفي نفس العام ١٩٤٧م بدئ بتصـوير مخطوطات القـاهرة ،فصورت بعض المخطـوطات من دار الكتب المصـريـة ، والمكتبة التيمـورية ، ومكتبـة طلعت ، ومكتبة حليم – وهذه المكتبات الثلاث غير مفهرسة – ومكتبة الجامع الأزهر .

ولابدّ هنـا من الإشادة بالعون الكبيـر الذي لقيه المعهـد من القائمين على شئون المخطوطات بدار الكتب والأزهر، فقد كان الأستاذ فؤاد سيد – رحمه الله – عالمًا بصـيرًا بمكنونات الدار ونفائسـها ، وكـذلك كان الشـيخ أبو الوفا المراغي – رحمه الله – بمكتبة الأزهر .

وفي عام ١٩٤٨م وجّه المعهد اهتمامه إلى مكتبات مصر ، فأرسل بعثة إلى الإسكندرية ، انتقت من مخطوطاتها المحفوظة بمكتبة البلدية ، ومكتبة جامع الشيخ إبراهيم باشا .

ومن نفائس مخطوطات مكتبة البلدية : الحجّة للقراء السبعة ، لأبي علي الفارسي . نسخة بخط نسخي جميل ، كتبت سنة (٣٩٠هـ) ، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، للخطيب البغدادي . نسخة بخط نسخي جميل أيضًا ، عليها سماعات تاريخها سنة (٥٢٩هـ) .

وفي العام نفسه أرسل المعهد بعثة ثانية[١] إلى سوهاج ، فصوَّرت ما انتقته من مكتبة المجلس البلدي ، وهي تضم بقايا كتب رفاعة رافع الطهطاوي ، ومكتبة جمال الدين بدر ، ببلصفورة ، وقد جمع جمال الدين هذا كُتب والده الشيخ أحمد على بدر ، مؤسس المعهد الديني العلمي ببلصفورة ، ووضعها في مكتبة خاصة .

ومن مكتبة بلصفورة هذه استنقذت بعثة المعهد قطعة كبيرة ، نحو مائتين وثلاثين ورقة من كتاب المغرب في حلى المغرب ، الذي أكمل تأليفَه ابنُ سعيد المغربي ، وهذه القطعة بخطّ ابن سعيد نفسه ، وهي الجزء السادس من نفس النسخة المودعة بدار الكتب المصرية ، وقد ضمَّ هذه إلى تلك أستاذنا الدكتور شوقي ضيف ، وأصدر عنهما نشرته للكتاب بدار المعارف بمصر . ويعود الفضل في اكتشاف هذه القطعة واستنقاذها إلى عالم المخطوطات الكبير محمد رشاد عبد المطلب ، رحمه الله ، كما يعود إليه الفضل في استنقاذ مخطوطة نفيسة أخرى من مكتبة سوهاج ، هي « شرح فصيح ثعلب » لأبي منصور محمد ابن على بن عمر بن الجبَّان ، المتوفي بعد سنة ٤١٦هـ[٢] . وقد كُتبت هذه المخطوطة في حياة المؤلف سنة ٣٩٨هـ . وقد قرأت منذ شهور بجريدة الأهرام

(١) انظر تقريرًا عن هذه البعثة في مجلة المعهد ١/٢/١٩٠ .
(٢) معجم الأدباء ص ٢٥٧٨ (نشرة د. إحسان عباس) .

لأحد الباحثين أنه اكتشف هذه المخطوطة ، وهكذا يفعل موتُ الرجال !

وفي سنة ١٩٤٩م قفز المعهد قفزته الكبرى ، حيث وجَّه نظره إلى مكتبات استامبول ، والمشتغلون بعلم المخطوطات يعرفون أن الجزء الأكبر من تراثنا العربي موجود في تركيا بعامة ، واستامبول على وجه الخصوص[١] ، فبُدِئَ بانتقاء المخطوطات من فهارس مكتبات استامبول ، ومن تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ، وأفاد المعهد من معارف بعض العلماء والترك ، ثم أفاد على وجه الخصوص من عِلم المستشرق الألماني الكبير هلموت ريتر ، وكانت له خصوصية بمخطوطات تركيا ، إذ كان قد أسَّس باستامبول معهد الآثار الألماني ، وأشرف عليه طَوال ثلاثين سنة ، وقد فُتحت له الخزائن هناك ، فكان أحدَ القلائل الذين وقفوا على نوادر المخطوطات في تركيا[٢] .

وقد أرسل المعهد بعثته إلى استامبول في تلك السنة ١٩٤٩م ، فقضت هناك وقتًا طيِّبًا ، صوَّرت خلاله ما يقرب من ثلاثة آلاف مخطوط[٣] ، وفهرست خمسة عشر ألف مخطوط . ويقدَّر عدد مكتبات استامبول التي صوَّر المعهد نفائسها بنحو خمسين مكتبة ، بالإضافة إلى مكتبتين بمدينة بُورصة ، هما : مكتبة حسين جلبي ، وخراجي زادة . ومن مكتبة حسين جلبي هذه وُجدت أصحّ نسخة من كتاب « دلائل الإعجاز » للشيخ عبد القادر الجرجاني ، وهي مكتوبة بخط نسخي جيّد ، سنة (٥٧٢هـ) وممَّا زادها نفاسة أنها منقولة عن نسخة بخط الشيخ عبد القادر نفسه[٤] .

وفي ختام عمل البعثة أهدت آلة التصوير وملحقاتها إلى متحف طوبقبو سراي .

---

(١) انظر كلامًا في ذلك للدكتور يحيى الخشاب ، في مجلة المعهد ٧/ ٢/ ١٥٥ .

(٢) انظر كتابي : مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي ص ٢٦١ .

(٣) لكن من المؤسف أن قَدْرًا غير قليل من هذه الأفلام المصوَّرة وُجد بعد عودة البعثة إلى القاهرة فاسدًا ، وذلك لضعف المصوّر وقلّة خبرته ، وكان اسمه « محمد السيّد » .

(٤) انظر مقدمة تحقيق شيخنا محمود محمد شاكر للدلائل ص (ز) .

وتُعدّ حصيلة مصوَّرات استامبول هي الركيزةَ الأساسية لمقتنيات معهد المخطوطات ، والتي فتحت فتحًا في ميادين الدراسات والتحقيقات .

وفي عام ١٩٥١ - ١٩٥٢م وجَّه المعهد عنايته لتصوير مخطوطات مكتبات الهند العامة والخاصَّة ، فأرسل بعثة مكثت هناك ستة شهور ، صوَّرت فيها مخطوطات ذوات عدد[١]، من (٣٢) مكتبة . ومعظم هذه المكتبات غير مفهرسة، ولا تُعرف النوادر التي بها . وتُعدّ مصوَّرات المعهد من الهند ثاني مجموعة كبيرة بعد مجموعة استامبول .

وفي عام ١٩٥٣م أوفد المعهد بعثة لتصوير مخطوطات القدس - قبل أن يدهما السيل وتغشاها النوائب - فصوَّر من عشر مكتبات بها ، منها ثلاث مكتبات عامة ، والسبع الباقيات في ملكيات خاصة ، وكلّها غير مفهرسة .

ومن القدس توجهت البعثة إلى بيروت ، فصوَّرت أهمّ المخطوطات بها ، من مكتبة الجامعة الأمريكية ، ومكتبة نور الدين بيهم . وبلغ مجموع ما صوَّر من القدس وبيروت نحو (٣٥٠) مخطوطًا[٢].

وفي أول شهر يناير من عام ١٩٥٥م أوفد المعهد بعثة من مفهرس واحد هو الأستاذ محمد رشاد عبد المطلب ، ومصور هو الأستاذ أحمد سالم عبد السلام ، إلى المملكة العربية السعودية ، وقد قضى المبعوثان هناك شهرًا ونصفًا ، انتقيا وصوَّرا خلالها (١٠٠) مخطوط[٣]، من مكتبة الشيخ محمد نصيف بجدة ، ومكتبة الحرم المكي الشريف ، ومكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة النبوية ، ولهذه المكتبة سمعة عالية ، ومن أندر ما صوّرت البعثة منها مخطوطة كتاب « المشوف المعلم في ترتيب إصلاح المنطق على حروف المعجم » لأبي البقاء العكبري المتوفي سنة ٦١٦هـ والمخطوطة في حياته سنة ٦٠٦هـ ، وهي النسخة الوحيدة المعروفة في العالم العربي إلى يوم الناس هذا .

(١) بلغت نحو ألف مخطوط . انظر مجلة المعهد ١/ ١/ ١٢٩ .
(١) راجع مجلة المعهد ١/ ١/ ١٢٩ .
(٢) راجع مجلة المعهد ١/ ١/ ١٢٩ ، ١٥١ .

ومنذ عام ١٩٥٥م طرأ على المعهد نشاط جديد ، فقد انفصل عن الإدارة الثقافية ، وصارت له شخصية معنوية مستقلة ، وعيّن له مجلس أعلى ، انتخب أعضاؤه من علماء البلاد العربية .

وفي عام ١٩٥٦م أرسل المعهد بعثة إلى تونس ، صوّرت بعض المخطوطات من هذه المكتبات : مكتبة الصادقية بالزيتونة ، ومكتبة العبدلية بالزيتونة ، ومكتبة العلامة حسن حسني عبد الوهاب ، ومكتبة الشيخ الطاهر بن عاشور ، ومكتبة الشيخ الشاذلي النيفر(١) .

وفي عام ١٩٥٧م أوفد المعهد بعثة إلى مكتبة الجامع الأحمدي بطنطا ، ومكتبة البلدية بالمنصورة ، ومكتبة المعهد الديني بدمياط ، من بلدان مصر .

ومن أنفس ما صوّرت البعثة من مكتبة الجامع الأحمدي بطنطا نسخة من كتاب العروض للأخفش ، تنقص بعض الأوراق ، وهي بخط نسخي جميل من خطوط القرن السابع ، هكذا وصفها مكتشفها ومنقذها المرحوم محمد رشاد عبد المطلب . وهذه هي النسخة الوحيدة في العالم إلى يومنا هذا .

ومن نفائس مكتبة البلدية بالمنصورة صوّرت البعثة كتاب أسرار العربية ، لأبي البركات الأنباري ، نسخة مخطوطة سنة ٥٩٥هـ .

وأهل العلم لا ينسون من نفائس مكتبة البلدية بالمنصورة ، تلك النسخة الجليلة من إصلاح المنطق لابن السّكّيت ، التي اكتشفها واستنقذها محدّث العصر الشيخ أحمد محمد شاكر ، سنة ١٩٤٧م ، وهي نسخة عالية قرئت على أبي الحسن بن فارس صاحب المقاييس والمجمل ، وتاريخ هذه القراءة سنة ٣٧٢هـ ، وعلى النسخة خط ابن فارس بصحة القراءة عليه ، سنة ٣٧٥هـ .

ومن نفائس مكتبة المعهد الديني بدمياط : الرسالة الحاتمية للحاتمي . مخطوطة من القرن السادس ، وكتاب في المفردات الطبية ، منسوخ من القرن السادس(٢) .

(١) انظر مجلة المعهد ٢/ ٣٩١ .

(٢) انظر مجلة المعهد ٣/ ٣٤٣ ، وانظر التعريف بهذه المكتبات الثلاث في مجلة المعهد ١/ ٧٠ .

وفي العام نفسه ١٩٥٧م توجّه الدكتور صلاح الدين المنجد إلى مكتبة الأمبروزيانا بميلانو - إيطاليا ، لوضع فهرس للمخطوطات العربية غير المفهرسة بها ، وتصوير المخطوطات النادرة فيها . وقد قام الدكتور المنجد بمهمته هذه وطبع فهرسًا بمخطوطات الأمبروزيانا ، من مطبوعات المعهد بالقاهرة . ونفائس مكتبة الأمبروزيانا هذه كثيرة[١] ، لكننا نشير هنا إلى قطعتين نفيستين جدًا من كتاب سيبويه ، سُمّيا : الجزء التاسع والعاشر ، رواية أحمد بن نصر ، والقطعتان كتبتا على رق غزال ، من القرن الثالث .

قلت : وقد رأيت في أثناء بعثة المعهد إلى اليمن ، في صيف عام ١٩٧٤م أجزاء عتيقة جدًا من كتاب سيبويه ، ترجع إلى القرن الثالث أيضًا ، بمكتبة الجامع الكبير بصنعاء ، فهل هذه الأجزاء كلّها من نسخة واحدة ؟ خاصة أننا نعلم أن بمكتبة الأمبروزيانا مجموعة خطّية جُلبت من اليمن ، في أواخر القرن التاسع عشر ، وهي المجموعة المعروفة بمجموعة جريفيني ، وقد فهرس هو منها (٤٧٥) مخطوطًا ، ونشر ذلك في مجلة الدراسات الشرقية سنة ١٩١٠ - ١٩١٩م[٢] .

وفي عام ١٩٥٨م اتجه الدكتور صلاح الدين المنجد إلى المغرب الأقصى ، للاطلاع على المخطوطات العربية فيها ، ومحاولة فهرستها ، وتصوير المهمّ منها . وقد قام الدكتور المنجد في أثناء بعثته هذه التي دامت شهرًا ونصف الشهر بزيارة مكتبات الرباط وفارس ومراكش وتنغملت وبزّو ، وقد أكرمه المغاربة غاية الإكرام ، وفتحوا له الخزائن ، وأباحوا له النوادر ، فانتقى منها نحو خمسمائة مخطوط[٣] ، وترك لهم تصويرها وإرسالها إلى مقر المعهد بالقاهرة، وقد أرسلوا له

(١) انظر مجلة المعهد ٣/ ٣٤٥ .

(٢) انظر مجلة المعهد ٣/ ٣٤٦ .

(٣) انظر مجلة المعهد ٤/ ٣٥٥ ، ثم انظر التعريف بنوادر مخطوطات المغرب في المجلة أيضًا ٥/ ١٦١ .

قدرًا كبيرًا ، وما لم يتم إرساله استكملته بعد ذلك بعثتا المعهد إلى المغرب ، وسيأتي حديثهما .

ومن النفائس التي صورها الدكتور المنجد في هذه البعثة كتاب « حَذْف من نسب قريش » لمؤرِّج بن عمرو السَّدُوسي المتوفى سنة ١٩٥هـ ، والنسخة بخط العالم المعروف أبي إسحاق النَّجِيرَمِيّ ، إبراهيم بن عبدالله بن محمد ، المتوفى نحو سنة ٣٥٥هـ . وهذه المخطوطة النفيسة كانت محفوظة بالزاوية الناصرية بتامجروت ، في جنوب المغرب . وقد نشرها الدكتور المنجد بالقاهرة سنة ١٩٦٠م .

ومن النفائس التى صورها الدكتور المنجد في بعثته هذه كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان ، لأبي عثمان الجاحظ ، ونسخته وحيدة تحتفظ بها مكتبة الزاوية العياشية بمدينة بزّو ، جنوب شرقي الدار البيضاء . وقد نشره أولاً صديقنا الدكتور محمد مرسى الخولي ، رحمه الله ، ثم نشره ثانيًا شيخنا عبد السلام هارون ، رحمه الله .

وفي شهر إبريل من عام ١٩٦٠م قامت بعثة من المعهد إلى إيران ، برئاسة الدكتور صلاح الدين المنجد ، ومكتبات إيران ذات تاريخ حافل بنوادر المخطوطات ونفائسها ، وقد عكف عليها الدكتور المنجد ، واستثار كنوزها ، وأخرج منها نفائس ، وعرّف بنوادر[1] ، ولا سبيل إلى ذكر جميع هذه النوادر والنفائس ، فلنكتف بالإشارة إلى بعضها ، ممّا تضمّه مكتبة واحدة ، هي المكتبة الرضوية بمدينة مشهد :

مختصر كتاب العين ، للخطيب الإسكافي ، مخطوطة سنة ٣٨٣هـ .

صناعة النثر والنظم (الصناعتين) لأبي هلال العسكري ، نسخة بخطّه سنة ٣٩٤هـ .

(١) انظر قائمة بهذه وتلك في مجلة المعهد ٦/ ٦٧ ، ٣٢٥ .

الأدوية المفردة ، لديسقوريدس ، ترجمه من السريانية إلى العربية مهران بن منصور بن مهران .

معاني القرآن ، لأبي الحسن الأخفش ، خطّ سنة ٥١١هـ .

وبعثة إيران هذه في شهر إبريل من عام ١٩٦٠م كانت آخر بعثات الدكتور صلاح الدين المنجد ، الذي ترك معهد المخطوطات في أوائل السِّتِّينات ، في ظروف غريبة ، وطُويت برحيله صفحة مضيئة من تاريخ معهد المخطوطات ونشاطه . ثم توقّف المعهد عن البعثات توقّفًا تامًا خلال السِّتِّينات ١٩٦٠ - ١٩٧٠م .

المرحلة الثانية

في تلك المرحلة خرج معهد المخطوطات من نطاق الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، وأصبح تابعًا للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التي قامت في عام ١٩٧٠م .

وفي أواخر هذا العام ١٩٧٠م عزم المعهد على وصل ما سبق من إرسال بعثاته للبحث عن المخطوطات وفهرستها وتصوير النفيس منها . فقامت بعثة في منتصف نوفمبر من ذلك العام إلى تركيا ، مؤلفة من الدكتور مختار الوكيل مدير المعهد يومئذ ، ومحمد رشاد عبد المطلب[1] ، ومحمود محمد الطناحي .

وقد جاء في قرار إيفاد هذه البعثة : « تنفيذًا لقرار سيادة المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بناء على ما أوصت به اللجنة الفرعية المنبثقة عن اللجنة الدائمة للمنظمة ، بشأن إيفاد بعثة من معهد المخطوطات إلى تركيا ، لزيارة مراكز المخطوطات العربية بها ، ودراسة حالتها ، ومعرفة ما تحتويه المكتبات التركية من تلك المخطوطات ، ثم الوقوف على ما فهرس منها وما لم

(١) وسبق له ابتعاث إلى استامبول ، عام ١٩٤٩م ، كما تقدّم .

يفهرس ، وما طبع من تلك الفهارس ، وما لم يطبع ، ومدى صلاحيتها جميعًا ، والطريقة التي عولجت بها عملية الفهرسة . بناءً على هذا كله قامت بعثة المعهد .... » .

وواضحٌ من قرار إيفاد البعثة أنه لم يكن من مهامّها التصوير ، وأن عملها منحصرٌ في الدراسة والبحث فقط .

وقد استغرقت البعثة الفترة من ١٧ نوفمبر ١٩٧٠م إلى ٢٩ يناير ١٩٧١م ، وزارت مراكز المخطوطات في استامبول وأسكدار وأنقرة وأدِرْنة وبورصة وإسْكِي شِهِر وكوتاهية وقونية وقيسارية وأماسية وسَمْسُون وجُورُوم .

وقد قدَّمت البعثة تقارير وافية عن حال المخطوطات في هذه المكتبات ، وما فُهرس منها وما لم يُفهرس ، ثم قائمة بأسماء المخطوطات التي في تلك المكتبات ، مع التركيز على النوادر منها . ومن المؤسف أن هذه التقارير والقوائم لم تطبع ، ومازالت مرقومة على الآلة الكاتبة .

ولعلّ من أهم فوائد هذه البعثة أنها كشفت عن حال المخطوطات في البلدان التركية الأخرى ، ولم تقف عند استانبول وحدها ، كما سبق للبعثة الأولى عام ١٩٤٩م . وكما استقرّ في أذهان بعض الناس أن المخطوطات في مدينة استانبول ، ليس غير .

وفي منتصف عام ١٩٧١م توجهت بعثة إلى إسبانيا ، كان رئيسها صالح أبو رقيق مدير معهد المخطوطات ، وعضواها محمد رشاد عبد المطلب وعبد الفتاح محمد الحلو .

وقد قامت هذه البعثة تنفيذًا لتوصيات بعثة استكشافية سابقة للمعهد إلى إسبانيا والبرتغال ، قام بها الدكتور مختار الوكيل ومحمد رشاد عبد المطلب ، وقضت هناك شهرًا ونصف الشهر ، بدءًا من ١٨/ ١٠/ ١٩٦٩م .

وقد قضت هذه البعثة الثانية في إسبانيا الفترة من ١١/ ٦/ ١٩٧١م إلى ٢٤/ ٨/ ١٩٧١م وانتقت وصوَّرت من مخطوطات المكتبة الوطنية بمدريد ، والأكاديمية الملكية للتاريخ بمدريد ، ومكتبة دير الإسكوريال - ذات السمعة العالية - ومكتبة البلدية بقرطبة ، ومكتبة جامعة غرناطة ، ومكتبة مدرسة الأبحاث العربية بغرناطة ، ومكتبة السّكرمنتو بغرناطة[١] .

ولم يكن مع البعثة مصور ، فتركت ما انتقته إلى مصوِّر إسباني هناك ، ودفعت له أجر التصوير ؛ ليرسل إلى المعهد بالقاهرة ما ينجز تصويره[٢] .

وفي النصف الأول من شهر مايو عام ١٩٧٢م اتجهت بعثة إلى المغرب الأقصى ، برئاسة صالح أبو رقيّق مدير المعهد ، وعضوية محمد رشاد عبد المطلب ومحمود محمد الطناحي ، ومحمود سامي علي الشاهد . وقد جرت العادة بأن البعثة لا تتحرّك من القاهرة إلا إذا جاءها الإذن بالموافقة من البلد الذي تريد التصوير منه ، ولكنّ مدير المعهد اكتفى بإبلاغ الجهات المغربية المسؤولة ، ولم ينتظر أن يجيئه الإذن بالموافقة ، وذلك لشدّة حماسته ، وفَرْط رغبته في تصوير نفائس مخطوطات المغرب .

وغادرت البعثة مطار القاهرة يوم الخميس ١١/ ٥/ ١٩٧٢م متجهة إلى الدار البيضاء ، ومنها إلى الرباط . وفي يوم الاثنين ١٥ من الشهر نفسه ذهبْنا إلى وزارة الثقافة ، فقابَلَنا الأستاذ محمد الوكيلي المسؤولُ عن شئون الوثائق والمخطوطات بوزارة الثقافة ، وهو شاب ذكيّ ، فيه أثارةٌ من حِدَّة ، يحاول أن يخفيها بشيء من المجاملات وكثيرٍ من الابتسامات ، وقد نقل لنا رأي وزارتي الخارجية والثقافة بشأن تصوير المخطوطات المغربية ، وقال لنا بالحرف الواحد[٣] : إن المغاربة يرون أن يستمرَّ لهم شرف الحفاظ على ما لديهم من

(١) انظر تقريرًا عن أعمال هذه البعثة في مجلة المعهد ١٩/ ١/ ٢٠٥ .

(٢) لم أجد لهذه البعثة إحصاء بما صوّرته .

(٣) لم يفلت منّي شيءٌ من ألفاظه ؛ لأني قيّدته يومئذ في مذكّراتي الخاصّة ، وأنا الآن أنقل مما قيّدته يومذاك .

المخطوطات ، بعدما تقدَّم لهم في سالف القرون ، لكنهم إزاء ما تجشّمته البعثة من عناء السفر لا يمانعون في التصوير ، بشرط أن تقدّم لهم البعثة تعهُّدًا من معهد المخطوطات بألا يطبع شيء من هذه المخطوطات إلا بعد أخذ تصريح من الجهات المغربية . ثم عرض علينا أن ننظر في فهارس خزائن المخطوطات المغربية ، ونُعِدّ منها قوائم لتنظر فيها الجهات المسؤولة ، ثم يكون السماح بالتصوير ، وقد فعلنا ما طلب .

والمخطوطات في الرباط عاصمة المغرب توجد في مكانين : الخزانة الملكية ، وهذه تتبع القصر الملكي مباشرة ، ولا دخل لوزارة الثقافة فيها ، والمكان الثاني : الخزانة العامة ، وهي دار الكتب الوطنية للدولة .

وقد سمح جلالة الملك الحسن الثاني للبعثة بالتصوير من الخزانة الملكية، وحمل لنا ذلك الأستاذ عبد الوهاب بن منصور ، مؤرّخ المملكة . وكان مدير الخزانة الملكية يومذاك الأستاذ محمد داو د ، وهو من أهل تطوان ، وله فيها «تاريخ» مشهور مطبوع ، وكان رجلا فاضلا وكلّ علماء المغرب فضلاء- وقد عرض علينا بطاقات الخزانة ، وأنبأنا أن المكتبة فُهرِس منها نحو اثنى عشر ألف مخطوط .

ثم جاءنا الإذن بالتصوير من الخزانة العامة بالرباط[1]، لكننا لم نكمل عشرين يومًا من العمل بالخزانة حتى جاء أمرٌ رئاسِيٌّ بإيقاف عملنا ، وذلك لخلاف نشب بين رئيس البعثة والمسؤولين عن التراث بوزارة الثقافة المغربية[2] .

(١) كانت الخزانة العامة في ذلك الزمان تضم عدة مجموعات : رصيد الخزانة العامة ، ورمزه (د) ، ورصيد المكتبة الكتانية (عبد الحي الكتاني) ورمزه (ك)، ورصيد الجلاوي، ورمزه (ج) ، ورصيد الأوقاف ، ورمزه (ق).

(٢) وذلك لأن رئيس البعثة كان قد أدلى بحديث إلى جريدة «العلم» المغربية ، ذكر فيه إهمال بعض المخطوطات في المغرب ، وأن ذلك يعّرضها للتلف والبِلَى ، فاعتبر المسؤولون ذلك تعريضًا بهم وإدانة لهم ، وما كان الأمر في نظري إلا تكأة لإيقاف عمل البعثة ؛ لأنها لم تأخذ موافقتهم من قبل .

ولم يكن أمامنا إلاَّ العمل بالخزانة الملكيـة ، ورصيدها من المخطوطات أقل من محصـول الخزانـة العامـة . ثم شغلت البعثة مـابقى لهـا من الوقت بـالعمل في المكتبـات الخاصـة ، وكان على رأسهـا مكتبة العـالم الجليل ، زينة المغـرب ، وبقية السَّلَف الصـالح الشيخ محمد المَنُوني ، ومكتبـة الشيخ محمد الصُّبيحِي ، بمدينـة سَلاَ المشرفـة على الرباط ، وقـد ورث الشيخ محمد هذا مكتبـة قيمة عن والده – وكـان من أهل العلم – ووقف الوالـد على المكتبة بناءً فخمًـا ، في الدور الأول منـه صالـة كبيرة للمحـاضرات ، وفي الـدور الثـاني توجـد المكتبة ، وبهـا مطبـوعات ومخطـوطـات ، ثم ألحق بالمكتبـة عـدَّة حجرات لإيـواء المشتغلين بـالعلم من الطارئين على سَـلا . ومن المكتبات الخـاصة بـالربـاط أيضًا مكتبـة الشيخ محمد الناصر الكتاني ، ومن أنفس ما صوّرتْه البعثة من هذه المكتبة نسخة من كتاب السَّماع ، لابن القَيْسـرانى ، وهى النسخة الثانية المعروفـة منه في العالم حتى اليـوم ، وكان الشيخ أبـو الوفا المـراغي قد نشـره بالمجلس الأعلـى للشئون الإسلامية بالقاهرة عام ١٣٩٠هـ = ١٩٧٠م عن نسخة وحيدة بالمكتبة الأزهرية .

وقـد قضت البعثـة في المغرب نحـو ثـلاثـة أشهر ، وكـانت حصيلتهـا من الانتقـاء والتصويـر (٣٢٦) مخطـوطة ، مـوزَّعـة كالآتـى : (٢٢٧) مخطوطـة من الخـزانة الملكيـة ، (٦٦) مخطـوطـة من الخزانـة العـامة ، (٣٣) مخطـوطـة من المكتبات الخاصة [١] .

وفي الخـامس والعشـرين من شهر نـوفمبـر من عـام ١٩٧٢م أوفد المعهـد محمـد مرسي الخـولي ، في رحلة استطـلاعية إلى الجمهـورية العـربية الليبيـة ، فقضى هناك شهـرًا ، زار فيه دار المحفـوظات التـاريخية في طـرابلس ، والمكتبة العامة لهيئـة الأوقاف في طرابلس ، ومكتبة الجامعة الليبيـة في بنغازي ، وقد كتب

(١) إنمـا أطلت الحـديث عن هذه البعثـة ؛ لأنـه لم يكتب عنهـا تقريـر ، فأردت أن أسجّلهـا للتاريخ .

الخولي [1] رحمه الله تقريرا عن أحوال المخطوطات بتلك المكتبات التي زارها ، ثم سجّل أسماء بعض المخطوطات النفيسة ، ومنها : الإغفال - وهو ما أغفله أبو إسحاق الزجاج من المعاني في كتابه معاني القرآن وإعرابه - لأبي علي الفارسي، نسخة مكتوبة سنة ٦٧١هـ . وهذا الكتاب مما صوّرته بعثة اليونسكو من مكتبة الأوقاف بطرابلس سنة ١٩٦٤م ، وهو مودع بمعهد المخطوطات ، وكذلك نسخة من غريب الحديث ، للخطابي .

ومن أنفس ما في مكتبة الجامعة الليبية في بنغازي نسخة من أمالي أبي العباس ثعلب - وهي مجالسه - نُسخ سنة ٥٨٣هـ .

وفي شهر فبراير من عام ١٩٧٣م توجهت بعثة إلى المملكة العربية السعودية ، وهذه هي بعثة المعهد الثانية إلى السعودية ، وكانت البعثة الأولى سنة ١٩٥٥م ، كما سبق .

وقد مكثت هذه البعثة الثانية بالمملكة من ١٠/ ٢/ ١٩٧٣م إلى ٢٦/ ٥/ ١٩٧٣م، وتألفت من : قاسم الخطاط وكيل المعهد رئيسًا ، وعصام محمد الشنطي ومحمود محمد الطناحي ومحمود سامي علي الشاهد ، أعضاء . وانتقت وصورت نفائس هذه المكتبات :

المكتبة العامة السعودية بالرياض ، ومكتبة جامعة الرياض (الملك سعود الآن) ومكتبة الشيخ محمد عبد الرحمن العُبَيْكان (مكتبة خاصة بالرياض) ، ومكتبة سموّ الأمير عبد الله بن عبد الرحمن آل سعود (مكتبة خاصة بالرياض) ، ومكتبة الشيخ محمد بن عبد الله آل عبد القادر الأنصاري بالمبرَّز ، الأحساء (مكتبة خاصة) ، ومكتبة بريدة العلمية العامة بالقصيم ، ومكتبة الشيخ صالح ابن أحمد الخِريصي (مكتبة خاصة ببريدة) ، ومكتبة الشيخ عبد الله الإبراهيم آل سليم (مكتبة خاصة ببريدة).

(١) مجلة المعهد ٢٠/ ١/ ١٨١

ومن مدينة عُنَيْزة صورت البعثة من مكتبة عُنَيْزة الوطنية بالجامع الكبير ، ومن المكتبات الخاصة بعُنيزة صورت البعثة من المكتبة العلمية الصالحية بمسجد أم خِمار ، ومكتبة الشيخ سليمان بن صالح بن حمد بن بسّام ، ومكتبة الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز الزامل ، ومكتبة الشيخ محمد الصالح العثيمين .

ثم انتقلت البعثة إلى أكبر تجمّع للمخطوطات في المملكة العربية السعودية : مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمة ، بالمدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام ، والمكتبة المحمودية ، بالقرب منها ، ومكتبة الحرم النبوي ، ومن المكتبات الخاصة بالمدينة النبوية : مكتبة محمد مظهر الفاروقي ، ومكتبة السيد عبيد مدني .

وفي البلد الأمين صورت البعثة من مكتبة مكة المكرمة ، ومكتبة الحرم المكي .

ومن المكتبات الخاصة الشهيرة بمكة المكرمة مكتبة الشيخ محمد سرور الصبان – وهي غير مفهرسة – وقد انتقت البعثة من نوادرها سبعة مخطوطات ، منها ديوان جرير ، رواية محمد بن حبيب ، عن ابن الأعرابي . نسخة بقلم نسخي نفيس سنة ٥٩٨هـ ، وديوان سِبط ابن التعاويذي ، خط سنة ٥٨٥هـ ، وديوان السّريّ الرفّاء ، خط سنة ٥٢٧هـ ، وكفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب ، لضياء الدين بن الأثير . نسخة بقلم نسخي نفيس من خطوط القرن السابع ظنًّا[١].

ثم ختمت البعثة عملهابتصوير ما انتقته من مكتبة جامعة الملك عبد العزيز بجدة . وبلغ مجموع ما صَورته البعثة من مكتبات المملكة (٤٢٨) مخطوطًا ، فيها من النفائس الكثير[٢] .

(١) ولم يكن معروفًا من هذا الكتاب إلا نسخة مخطوطة بالجامعة التونسية ، تاريخ نسخها سنة ٩٩٠هـ . انظر مقدمة تحقيق الكتاب لنوري القيسي وحاتم الضامن وهلال ناجي . منشورات جامعة الموصل ١٩٨٢م .

(٢) انظر قائمة مصوراتها في مجلة المعهد ٢٣/ ١/ ٤ – ٢٣/ ٢/ ٤ .

وفي شهر سبتمبر من عام ١٩٧٣م توجهت بعثة إلى إيران مكونة من صالح أبو رقيق مدير المعهد رئيسًا ، ومحمد رشاد عبد المطلب، وعلى عبد المحسن زكي ، وأحمد سالم عبد السلام أعضاء ، وبقيت هناك من ٨/ ٩/ ١٩٧٣م . إلى ٢/ ١٢/ ١٩٧٣م . وهذه هى البعثة الثانية إلى إيران ، وكانت الأولى عام ١٩٦٠م كما تقدّم . وقد انتقت هذه البعثة الثانية وصوَّرت من نفائس مكتبات إيران (٣٤٦) مخطوطًا[١] .

وفي شهر يوليو من عام ١٩٧٤م توجهت بعثة إلى الجمهورية العربية اليمنية ، برئاسة صالح أبو رقيق مدير المعهد ، وعضوية عصام محمد الشنطي ومحمود محمد الطناحي ونبيل عبد الفتاح إبراهيم ، ومكثت البعثة هناك من ٢٩/ ٧/ ١٩٧٤م وحتى ٢/ ١٢/ ١٩٧٤م وانتقت وصوَّرت من نفائس مخطوطات اليمن (٥١٠) مخطوط ، جمعتْها من (٢٧) مكتبة عامة وخاصة ، في صنعاء وتعز وزَبيد وذَمار وإبّ [٢] .

ومن أنفس ما صورت البعثة من مكتبات اليمن هذه : جزءان من كتاب سيبويه ، عدد أوراقهما (٢٥٥) ورقة ، من نسخة بخط كوفى قديم جدًا ، من خطوط القَرْن الثالث .

الجزء الرابع والأخير من الاستيعاب ، لابن عبد البر ، بقلم نسخي نفيس سنة ٦٤٠هـ .

سبعة أجزاء من كتاب السنن الكبير للبيهقى من نسخة بقلم نسخى جيد ، قرأها وصحّحها الإمام أبو عمرو بن الصلاح ، وكتب خطه بصحّة السماع عليه سنة ٦٣٢هـ ، وطبقة السُّماع بآخر الأجزاء مشحونة بأكابر علماء القرن السابع . وهذه النسخة محفوظة بمكتبة بضواحى صنعاء ، تسمى مكتبة جامع الروضة ، ولا يعلم كثيرٌ من أهل العلم عنها شيئًا ، ومخطوطاتها غير مفهرسة ، وبها نفائس أخرى تراها فى القائمة التى سجَّلتها بعثة المعهد .

(١) ترى قائمة بها في مجلة المعهد ٢١/ ٢/ ١٦٠ .
(٢) انظر قائمة مصورات اليمن في مجلة المعهد ٢٢/ ١/ ٤ .

شـرح المفصل للزمخشـرى . تأليف أبى عمـرو بن الحـاجب المتوفى سنـة ٦٤٦هـ . نسخـة بقلم نسخى نفيس كتبـت فى حيـاة المـؤلف ، وهـذه النسخـة النفيسة مع أخوات لها نوادر استنقذتهـا البعثة من قَبْوٍ مظلم مغلق منذ زمن طويل تحت مئذنة جامع المظفَّر بمدينة تعز .

القصيدة النونية الشهيرة للكميت[1] . نسخة بقلم نسخى جيّد سنة ٦٢٦هـ .

القصيدة الـدامغة في المفاخرة بين قبـائل قحطان وقبائل عـدنان ، وهى في جـواب قصيـدة الكميت المذكـورة ، للحسن بن أحمـد بن يعقـوب الهَمْـداني ، المعـروف بـابن الحـائك ، صاحب كتـاب الإكليل . والنسخـة ضمن مجمـوعـة قصيدة الكميت السابقـة . وهاتان القصيدتـان صوّرتهما البعثة من مكتبـة خاصة بتعز ، هى مكتبة الشيخ مشرَّف بن عبد الكريم ، وهو من أفاضل رجال اليمن[2] .

وفي شهر يـونيو من عـام ١٩٧٥م قامت بعثـة إلى المغرب الأقصى بـرئاسة صالح أبو رقيق مدير المعهد ، وعضويـة محمود محمد الطناحي ومحمود الجالي ومحمـود سـامـي علي الشـاهـد ، وظلّت تعمل هنـاك من ٢٦/ ٦/ ١٩٧٥م إلى ٢٢/ ٩/ ١٩٧٥م وقـد تجنَّبت هذه البعثـة عثـرات البعثة الأولى ، فلم تتحـرك من القاهرة إلاّ بعد أن جاءها الإذن من المسؤولين المغاربة ، ولذلك مضت في عملها راشدة مطمئنة ، وانتقـت وصوَّرت (٤٠٢) مخطوطة من الخـزانة العامة بـالرباط ، والمكتبة العامة بتطوان ، وخزانة جامعة القرويين بفاس[3] .

ويغلب على مخطـوطات المغـرب النفاسـة والنـدرة ، وبخاصـة مجموعـة القرويين . ومن أنفس ما صورت البعثة من القروييّن :

---

(١) راجع شـرح هاشميـات الكميت ، لأبي رياش . تحقيق د. داود سلـوم ود. نوري حمـودي القيسي . عالم الكتب . بيروت ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤م .

(٢) انظر قائمة مصورات البعثة من اليمن في مجلة المعهد ٢٢/ ١/ ٤ .

(٣) انظر قائمة مصورات البعثة من المغرب في مجلة المعهد ٢٢/ ٢/ ١٧٦ .

سِيَر الفَزارِي ، ويسمّى كتاب السِّير في الأخبار والأحداث ، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحارث الفَزارِي المتوفى سنة ١٨٨هـ . والنسخة بقلم أندلسي على رَقّ غزال خُطَّ سنة (٢٧٠هـ) سبعين ومائتين للهجرة[١] . وهذا توثيق عالٍ جدًا ، ومِعيارٌ كبير من معايير النُّدْرة في عالَم المخطوطات .

البيان والتبيين . للجاحظ . الجزء الثالث من نسخة جليلة ، على رَقّ غزال ، بقلم أندلسي نفيس جدًا ضاربٍ في القِدم ، والنسخة مقابلة على أصولٍ صحيحة : أصل الوَقَّشي وابن سراج ، وعطاء بن الباذَش ، وبحواشيها تعليقات قيّمة من كتاب الموالي ، وكتاب الحيوان للجاحظ . وقد جاء عنوان الكتاب على صدر النسخة هكذا « التبيُّن » بياء واحدة بعد الباء ، وهو موضع خلاف قديم .

أجزاء عتيقة من نُسخ مختلفة من تفسير أبي جعفر الطبري ، على رَقّ غزال ، وبعض هذه الأجزاء مكتوب سنة ٣٩١هـ .

الألفاظ في اللغة ، لابن السّكّيت ، رواية أبي العباس ثعلب . نسخة بقلم أندلسي على رَقِّ غزال ، قرئت على العالِم اللغوي ابن السِّيد االبطليوسي ، في منزله بمدينة بَلَنْسِية سنة ٥١١هـ .

السماء والعالم ، في اللغة ، لابن أبان اللخمي القرطبي المتوفى سنة ٣٥٤هـ . الموجود منه الجزء الثالث بخط أندلسي قديم ، وبآخره وقفية (تحبيس) سنة ٨٥٥هـ ، ولا تُعرف من هذا الكتاب نسخة في أيٍّ من مكتبات العالم . هكذا حدَّثني قيّم خزانة القرويين العلامة محمد العابد الفاسي ، رحمه الله .

ومن أطرف ما يذكر هنا أني اكتشفت نسخة من كتاب الفرق بين صفات الإنسان وصفات الحيوان ، لثابن بن أبي ثابت ، من علماء القرن الثالث ، وقد

(١) انظر وصف هذه النسخة الجليلة في مقدمة تحقيقها للدكتور فاروق حمادة. مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠٨هـ = ١٩٨٧م .

جمعتُ هـذه النسخة[1] من أوراق متفرقـة ، وجدتهـامثبوتـة في ثنايـا كتاب خلق الإنسان ، للمؤلف نفسه ، وصارت هذه هي النسخة الثانية من الكتاب ، فقد سبق للأستاذ محمد الفاسي أن نشره عن نسخة وحيدة مودعة في خزانة القرويين أيضًا.

وفي شهر فبرايـر من عام ١٩٧٦م توجهت بعثة إلي اليمن الجنـوبي ، مؤلفة من عصام محمـد الشنطي وعبد الفتاح محمـد الحلو ونبيل عبد الفتـاح إبراهيم ، ومكثت هنـاك من ١٢/ ٢/ ١٩٧٦م إلى ١٥/ ٤/ ١٩٧٦م ، وانتقت وصـوَّرت من مكتباتها (٢٩٧) مخطوطة .

ومن أنـدر ما اكتشفته البعثـة وصوَّرتـه كتاب تـاريخ العلماء النحـويين من البصريين والكـوفيين وغيرهم ، للقـاضي المفضل بن محمد بن مِسْعَـر بن محمد التنـوخي المعـرّي ، المتـوفي عـام ٤٤٢هـ ، والنسخة مكتـوبـة سنـة ٧٣١هـ ، ومحفوظة بمكتبـة الأحقاف بتَريم ، إحدى مدن حضرمـوت (مجموعة حسين بن سهل) ، وترجع نُدرتها إلى أنها النسخة الوحيدة في العالـم إلى يوم تصويرها ، وقد نشرها أخي عبـد الفتاح محمد الحلو ، رحمه الله ، نشرتين : الأولى بجـامعة الإمام محمد بن سعـود الإسلاميـة بالـرياض ١٤٠١هـ = ١٩٨١م ، والثـانية بـدار هجر بالقاهرة ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م .

وفي شهـر إبـريل من عـام ١٩٧٧م تـوجهت بعثـة إلى مـوسكـو بـالاتحـاد السوفيتي ، مـؤلفة من قاسم الخطـاط رئيسًا ، وعصام محمد الشنطي وعبـدالفتاح محمـد الحلـو عضـوين . وقـد قضت هنـاك الفتـرة من ٢٦/ ٤/ ١٩٧٧م إلى ١٩/ ٦/ ١٩٧٧م .

وقـد زارت البعثة (١٣) مكتبـة ، تضم مخطـوطـات في لينتجـراد ويريفـان عـاصمة أرمينيـا ، وبـاكـو عاصمـة أذربيجـان ، وطشقنـد عاصمـة أوزبكستـان ، ودوشانبيـه عاصمة طاجيكستـان . وقد نظرت البعثة في فهـارس تلك المكتبات ،

(١) كتبت عن هذه النسخة المكتشفـة مقالة بمجلة مجمع اللغة العـربية بدمشق ج ٢ م ٥١ – ١٣٩٦هـ = ١٩٧٦م ، وقـد أعاد نشـر الكتاب صـديقي الدكتـور حاتم صالـح الضامن ، بمؤسسة الرسالة ببيروت ١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م ، وأشار إلى اكتشافي هذا ، فجزاه الله خيرًا .

واختارت من نوادرها (٤٩٦) مخطوطًا ، ولما كانت البعثة لم تصحب معها مصوِّرًا من المعهد ، فقد تم الاتفاق بينها وبين السلطات المسؤولة هناك على تصوير تلك المخطوطات المختارة ، وإرسالها إلى المعهد في وقت لاحق[١] .

وكان الدكتور صلاح الدين المنجد مدير المعهد السابق قد تلقى دعوة من أكاديمية العلوم السوفياتية ، لزيارة الاتحاد السوفياتي ، والاطلاع على مجموعات المخطوطات العربية هناك ، وقد سافر الدكتور المنجد إلى موسكو في ٢٧ من يناير عام ١٩٦٠م ، واطلع على المخطوطات الموجودة في مدينتي لينتجراد وطشقند ، وكتب تقريرًا بما رآه فيها[٢] .

المرحلة الثالثة

وفي أواخر السبعينات وقع الزلزال ، وكان ما كان ممَّا لست أذكره ، وانتقل معهد المخطوطات ؛ إدارةً ونشاطًا إلى الكويت ، وقيَّض الله له هناك أناسًا أوفياء ، حملوا الراية ، وأكملوا المسيرة :

وكانت أولى بعثات معهد الكويت في شهر يوليو من عام ١٩٨٢م إلى دار الكتب الوطنية بتونس ، وتألفت البعثة من الدكتور خالد عبد الكريم جمعة مدير المعهد ، وعبد الحفيظ منصور ، وقضت البعثة هناك من ٢٣/ ٧/ ١٩٨٢م حتى ٢/ ٩/ ١٩٨٢م ، انتقت وصوَّرت نحو (٥٠٠) مخطوطة[٣] .

وفي آخر شهر أكتوبر من عام ١٩٨٢م توجهت بعثة من عصام محمد الشنطي، وكمال الدين عبد الحميد عفيفي، ومحمد محمد موسى ، إلى جمهورية اليمن الديموقراطية الشعبية ، للاطلاّع على رصيد الجمهورية المحفوظ بمكتبة

(١) انظر مختارات من نفائس هذه المخطوطات في مجلة المعهد ٢٣/ ٢/ ١٣٦ - ٢٤/ ٢/ ٢٢٠ .

(٢) ترى هذا التقرير في مجلة المعهد ٦/ ٣١٩ .

(٣) انظر قائمة بها في مجلة المعهد - إصدار الكويت ٢٧/ ١/ ٢٦٥ .

الأحقاف للمخطوطات بمدينة تَريم بحضرموت . ومكثوا هناك من ٢٩/ ١٠/ ١٩٨٢م إلى ٣/ ١٢/ ١٩٨٢م . وهذه هى البعثة الثانية إلى حضرموت ، وكانت الأولى من القاهرة عام ١٩٧٦م ، كما سبق . وقد انتقى عصام محمد الشنطي من مقتنيات المكتبة (٣٩٤) مخطوطة ، وصوّرها المصوِّران[١] .

وفي آخر شهر يناير من عام ١٩٨٥م توجّه عصام محمد الشنطي ،ومعه كمال الدين عبد الحميد عفيفى المصوِّر إلى جمهورية اليمن الشمالية ، ومكثا هناك من ٢٨/ ١/ ١٩٨٥م إلى ٤/ ٣/ ١٩٨٥م . وانتقى عصام محمد الشنطي من دار المخطوطات بصنعاء (٣٠٨) مخطوطة ، وصوَّرها المصوِّر .

وهذه هى البعثة الثانية إلى صنعاء ، وكانت الأولى من القاهرة سنة ١٩٧٤م ، كما تقدَّم .

وفي شهر أكتوبر من عام ١٩٨٦م توجه عصام محمد الشنطي ومعه كمال الدين عبد الحميد عفيفى إلى مكتبة الأسد بدمشق (وهى المكتبة الظاهرية بدمشق ، والأحمدية في حلب) ، ومكثا هناك من ٢١/ ١٠/ ١٩٨٦م إلى ٢/ ١٢/ ١٩٨٦م . وقد انتقي عصام محمد الشنطي (٤٢٧) مخطوطة ، وصوَّرها المصوِّر .

وفي شهر سبتمبر من عام ١٩٨٩م خرجت بعثة مشتركة من المعهد وقسم التراث العربي بالمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت ، وتألفت من عصام محمد الشنطي ، من المعهد ، وهيا الدوسري ومحمدمحمد موسى ، من المجلس الوطني ، واتجهت البعثة إلى مكتبة غازي خسرو بك الإسلامية بسراييفو - البوسنة ، قبل أن يَدْهَمها السَّيل وتغشاها النوائب[٢] . وانتقت البعثة وصوَّرت (٢٦٢) مخطوطة .

---

(١) انظر قائمة بها في مجلة المعهد ٢٧/ ٢/ ٦٨١ .

(٢) قلت هذا من قبل عن تصوير المخطوطات من القدس.

وفي شهر أكتوبر من العام نفسه توجهت بعثة من عصام محمد الشنطي وكمال الدين عبد الحميد عفيفي، إلى مكتبة الأمبروزيانا بميلانو - إيطاليا، ومكثا هناك من ١٣/ ١٠/ ١٩٨٩م إلى ٥/ ١١/ ١٩٨٩، وانتقى عصام محمد الشنطي (٤٠٢) مخطوطة، صوَّرها المصوِّر.

وإلى جانب هذه البعثات السّتّ التي قام بها معهد المخطوطات بالكويت، صوَّر المعهد - دون إرسال بعثة - مجموعة من مخطوطات تشستربتي بدبلن - أيرلندا، من جامعة الكويت، وكذلك صوَّر مجموعة من مخطوطات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وجامعة الملك سعود بالرياض أيضًا، وجامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية[1].

وفي يوم أسود كئيب من أول أيام شهر أغسطس من عام ١٩٩٠م عَدَتْ عَوادٍ وأطبقت غَواشٍ، وشبَّ حريقٌ ضخم في بناء الكويت، لا بل في بناء الأمة العربية كلها، وأغلق معهد المخطوطات بالكويت، وأخذت محتوياته من صُور المخطوطات وغيرها، وإلى الله المَفْزَع والمشتكى.

* * *

فهذا عرضٌ لنشاط معهد المخطوطات في إنقاذ المخطوطات بتصويرها، على مدى خمسين عامًا، ذكرته بمراحله الثلاث، علي سبيل الوجازة والاختصار، ولم يبق إلا بعض النظريات التحليلية، مما ينبغي تسجيله، وإعطاؤه حظَّه من النظر والتأمل:

أولاً: قام معهد المخطوطات سنة ١٩٤٦م، في ذلك الزمان الرخيّ الهانئ « إذ الناسُ ناسٌ والزمانُ زمانُ »، فمصر تموج بالعلم والعلماء، وجامعاتها تزدان بالهامات الكبار، ومجالس العلم بها مشهودة، ودياره مأنوسة، وأهل الفُتيا منك على طَرَف الثُّمام، وعلماء العرب يغدون ويروحون، يُعطون ويأخذون، وكان للمعهد من أهل العلم - في مصر وفي خارج مصر - عونٌ أيّ عون.

(١) كل هذه المعلومات والإحصاءات التى تتصل بنشاط المعهد في هذه المرحلة، أمدّني بها زميلى الأستاذ عصام محمد الشَّنْطِي، فله أصدق الشكر وأخلصه.

ثانيًا: نشأ المعهد أولَ ما نشأ تابعًا للإدارة الثقافية بالأمانة العامة لجامعة الدول العربية . والإدارة الثقافية يومئذ يرأسها ويُشرف عليها اثنان من كبار أهل الفكر والأدب : الدكتورطه حسين ، والأستاذ أحمد أمين ، وإنما يطيب الموضع بأهله.

ثالثًا : كان أوّلَ مدير لمعهد المخطوطات هو الدكتور يوسف بن رشيد العشّ ، وهو سوريّ ، وُلد في طرابلس الشام سنة ١٩١١م ، وتوفي بدمشق سنة ١٩٦٧م ، وهو أول من تخصص في تنسيق الكتب والوثائق في سورية ، ودرس في معهد الوثائق والشروط بباريس، وعيّن محافظًا لدار الكتب الظاهرية بدمشق ، ووضع فهرسًا للمخطوطات التاريخية بها. وقد انتدب لإدارة معهد المخطوطات عقب إنشائه ، فمكث به نحو خمس سنوات ، شارك في إرساء أساسه ووضع قواعده، وخرج في بعثاته الأولى ، فكان له فضل المشاركة في انتقاء مجموعاته الأولى من المصوَّرات ، وبخاصة مجموعات استامبول . وللدكتور العشّ مؤلفات وتحقيقات كثيرة ، من أبرزها : تقييد العلم ، للخطيب البغدادي[1] .

وقد شارك في نشاط المعهد، وفي بعثاته الأولى في مبتدأ أمره ، عالمٌ مغربي محقّق ، هو الأستاذ محمد بن تاويت الطنجي ، ناشر كتاب أخلاق الوزيرين ، لأبي حيان التوحيدي ، وكتاب المكاثرة عند المذاكرة ، لجعفر بن محمد بن جعفر الطيالسي ، والإعلام بحدود قواعد الإسلام ، للقاضي عياض ، وأربعون حديثًا في اصطناع المعروف، جَمْع عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، كما نشر الجزء الأول من ترتيب المدارك ، للقاضي عياض ، وشارك الأستاذ علاّل الفاسي في نشر الجزء الأول من مختصر العين ، لأبي بكر الزُّبيدي . وكانت له عناية بابن خَلدون . توفي سنة ١٩٧٤م[2] .

وقد شارك الأستاذ الطنجي في انتقاء مصوَّرات استامبول ، في رحلة المعهد إليها عام ١٩٤٩م ، وحين قرَّر المعهد إصدار أول فهرس لمحتوياته عَهِد به إليه ،

(١) الأعلام للزركلي ٨/ ٢٣١ (طبعة دار العلم للملايين ١٩٧٩م) .

(٢) الأعلام للزركلي ٦/ ٦٢ (طبعة دار العلم للملايين ١٩٧٩م) .

فأشـرف على إخراج المـلازم الخمس والعشـرين الأولى من هذا الفهـرست ، ثم اضطر للتخلّي عن هذا العمل لتعيينه أستاذًا بجامعـة أنقرة بتركيا ، فأتمه على خير وجه الأستاذ فؤاد سيد .

رابعًا : يبرز من بين رجال المعهد على امتداد تـاريخه ونشاطه رجلان اثنان ، كان لهما الأثر الضخم في إقامة صـرح المعهد وإنجاح مهامّه ، وكان المعهد في أيامهمـا شعلة نشـاط وخليَّةَ نحل ومنـارةَ علم : صلاح الـدين المنجـد ، ومحمد رشاد عبد المطلب .

أما الأول فهـو سوريّ ، تولّى إدارة المعهـد ست سنوات ، منـذ سنة ١٩٥٥م وكـان خبيرًا بـالمخطوطـات ، عليمًا بـالنوادرمنهـا ، سافـر كثيرًا ،وجلب للمعهـد نفائس ونوادر، من المكتبات العامة والخاصة ، وكانت له مهابةٌ عند الناس وقَدْر ، لاشتغالـه بعلم المخطوطات وتحقيق الكتب ، وطـارت للمعهد في أيامـه شُهرة ، وقصده الناس[١] ، وهذه من السّنن التي لا تتخلّف : يُكسِب الرئيس النابه العارف عملَه مهابةً مستَمَدَّةً من مهابته هو ، ومـوصولةً بها ، وهذه أيضًا من ثمرات إسناد الأمر إلى أهله .

وأمـا الثاني فهـو مصري ، وكـان آية في معـرفة الكتـاب العربي المخطـوط والمطبوع ، يعرفهما كما يعرف الناسُ آباءهم ، وكان يشمّ رائحة المخطوط النفيس من مكـان بعيـد ، ويقع عليه كمـا يقع الصـائد على فـريسته لا يُفلتهـا ، ثم كـان يتحـدث عن المخطوطـات حـديث العاشـق المدلّـه بحبّهـا . وقد عمل بمعهـد المخطوطـات منذ إنشـائه سنة ١٩٤٦م إلى حين وفـاته سنـة ١٩٧٥م ، وكثيرٌ من نفائس مقتنيات المعهد مِن صَيْده هو . رحمه الله .

---

(١) قلت في بعض مـا كتبت إنني لم أعـرف هـذا الـرجل إلا منـذ زمن قـريب، وحين التحقت بمعهد المخطوطـات عام ١٩٦٥م كان قد تركه منـذ أربع سنوات ، لكني في خلال عملي بالمعهد كنت أرى بصماته وأثره في كل أرجاء المعهد . فهذه شهادة أؤديها على وجهها .

خامسًا : في شهر أغسطس من عام ١٩٦٥م أقدم المعهد على خطوة عظيمة ، فعيَّن ثلاثة من الشُّبّان ، ممّن أنِس فيهم حبّ العلم والاشتغال به : عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي وعلى ذو الفقار شاكر ، وكان المقصد والغاية تكوينَ جيل من العلماء لا الموظفين[(١)]، فالموظف يحرص على أن يقدم تقريرًا ، لا أن يحصل علمًا ، ولم تستمرّ هذه التجربة .

سادسًا : يُعدّ معهد المخطوطات أوّلَ هيئة عربية تُعْنى بهذا الأمر العظيم : وهو استنقاذ المخطوطات بتصويرها ،وقد سَنّ للناس في ذلك سُنَنًا اتبعوها ، ومَهَدَ لهم طرقًا سلكوها ، وكانت الدراسات التي كتبت في مجلة المعهد عن المكتبات العامة والخاصة دليلاً ومرشدًا ، فعرف الناس أين توجد المخطوطات ، وكيف السبيل إليها ، ثم عرفوا معايير نفاسة المخطوط ونُدرته . ثم كانت الفهارس التي طبعها وأذاعها على الناس نماذج تُحتذى في الفهرسة العلمية الكاشفة . وقد أسند المعهد وضع الفهارس إلى طائفة من أهل العلم ، وليسوا مجرّد كاتبي بطاقات : فؤاد سيد ، ولطفي عبد البديع ، وإبراهيم شَبُّوح .

سابعًا: كانت حصيلة المعهد من مصورات المخطوطات التي جلبها من أنحاء العالم زاداً طيّبًا للباحثين والمحققين من الجامعات وغير الجامعات ، فتحت أمامهم آفاقًا من النظر والبحث ، لم تكن متاحة لهم قبل جمع هذه المخطوطات المصوَّرة ، وحين فسحت الجامعات العربية صدرها لتحقيق التراث حصولاً على شهاداتها العليا ، كان معهد المخطوطات مثابة للناس وملاذًا ، فزع إليه الدارسون من مصر ومن خارج مصر ، فهيأ لهم ما لديه من صور المخطوطات ، ثم يسّر لهم الحصول على ما في المكتبات الأخرى .

(١) كان الهدف القريب من تعييننا في ذلك الوقت هو فهرسة أفلام اليونسكو التي صوّرها في تلك الأيام من مختلف المكتبات ، وأودع المعهد نسخة منها . انظر مجلة المعهد ١٢/ ٢/ ١٦٧ ، ورحم الله الأستاذ توفيق البكري ، مدير المعهد آنذاك ، فقد كان هو صاحب الفضل في تعييننا ، وكان من أدباء السودان المعروفين .

ثامنًا : طمح المعهد منذ إنشائه إلى غايات عالية بعيدة ، ومهد لأعماله بخِطَّة محكمة ومنهج راشد ، كما ذكرت من قبل ، وأسلم أمره وإدارته إلى ذوي الخبرة وأهل الاختصاص ، وسعى إلى تكوين جيل من علماء المخطوطات ، فاجتذب إليه بعض الشباب النابهين ، كلّ ذلك قد كان ، وبدأ الزرع يستحصد ، والثمار تُقطف ، وظهرللقريب والبعيد أن نشاط معهد المخطوطات ، وما أحدثه في ميادين الفكر والثقافة هو الأثر الضخم الذي جناه العرب من منظمتهم الكبيرة ؛ جامعة الدول العربية . وكان مأمولاً أن ينتهي الأمر إلى مداه ، وتمضي الوسائلُ إلى غاياتها ، ولكن العوائق اعتاقت ، والأشواك زُرعت على الطريق ، وتمثل ذلك في نقاط :

الأولى : التضييق إلى أبعد حد على المعهد في ميزانيته ومخصّصاته ، ويظهر أثر هذا التضييق في الفترات الوجيزة التي كانت تقضيها البعثات في الدول التي توجد بها المخطوطات ، وكذلك في عدد المخطوطات التي كانت تصورها هذه البعثات ، والتي كانت لا تتجاوز (٥٠٠) مخطوطة . وكان ينبغي وضع ميزانية كبيرة للمعهد ، وتكون مستقلة وثابتة ومستقرة ، بحيث لا تؤثر عليها التقلّبات التي تتعرض لها الميزانية العامة لجامعة الدول العربية .

الثانية : التساهل في منصب مدير معهد المخطوطات، على أهميته وخطورة شأنه ، فبعد تخلّي الدكتور صلاح الدين المنجد لم يأت مدير للمعهد يعرف علم المخطوطات وقضاياه المعرفةَ التي تسير بالمعهد إلى تحقيق غاياته ! ونعم إن المعهد قد تولى أمرَه بعد الدكتور المنجد أناسٌ أهل فضل وغيرة وحماسة(١) ، ولكنَّ النوايا الطيبة لا تكفي وحدها لإنجاح الأعمال .

النقطة الثالثة : أعطى المعهد ثم أكْدَى ، وتقاعس عن تكوين ذلك الجيل الذى أشرت إليه الذى يحب المخطوطات، بل يعشقها؛ فإن كثيرًا من الناس

(١) بل إن لبعضهم عليَّ فضلاً ظاهرًا في تعييني بالمعهد ، واكتسابي تلك الخبرات الطويلة ، وفي حسن معاملتي. وقد قلت من قبل إني لم أعمل بالمعهد أيام رئاسة الدكتور المنجد له ، فهذه شهادة مبرأة من الهوى ، أؤدّيها للتاريخ وللحق .

لا يعرفون العناء الباهظ الذي يحتمله مفهرسو المخطوطات ومصوِّروها ، وبخاصة خارج مصر[1] ، فما ينبغي أن يعمل في هذا المجال إلاّ المحبّ العاشق الذي يصبر على لأواء الطريق ومكابدة المشقة ، على ما قال علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه : « من أحبَّنا أهل البيت فلْيُعدَّ للفقر جلبابًا » .

تاسعًا : قلت من قبل إن المعهد قد قام ببعثة في السنوات الأولى من إنشائه - عام ١٩٤٩م - إلى استامبول ، وصوَّر قدرًا كبيرًا من نفائسها ، كانت هى الركيزةَ التي اعتمد عليها في إقامة قواعده وإظهار صوته ، ولكن ثبت بعد عودة البعثة إلى القاهرة أن قدرًا غير قليل من أفلام التصوير فاسد ، لضعف المصوِّر وقلة خبرته في ذلك الزمان .

وقد قلت من قبل إن المشتغلين بعلم المخطوطات يعلمون أن الجزء الأكبر من تراثنا العربي موجود في تركيا، وأزيد هنا ، وأذكرأن المخطوطات العربية ليست في استامبول وحدها دون بلدان تركيا الأخرى ، وإن كانت استامبول قد ذهبت بالشهرة كلها ؛ لأنها تضم أكبر مجموعة من المخطوطات وأُذكِّر هنا ببعض النفائس التي توجد خارج استامبول ، من الجمهورية التركية :

١ - الجامع[2] ، لمعمر بن راشد المتوفي سنة ١٥٣هـ - وهذا الكتاب هو أول ما صُنِّف باليمن ، وهو أقدم من موطأ مالك - توجد منه نسخة عتيقة ، بقلم أندلسي يشبه الكوفي ، على رَقّ غزال ، منسوخة سنة ٣٦٤هـ ، والنسخة محفوظة بمجموعة إسماعيل صائب أفندى بجامعة أنقرة . وقد رأيتُها بعينى ، في شتاءعام ١٩٧٠م .

(١) سأكتب إن شاء الله عن ذكرياتي في ذلك الطريق .

(٢) طبع بآخر الجزء العاشر من مصنَّف عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، من ص ٣٧٩ ، وكان ينبغي على المحقّق فصله عن « مصنَّف عبد الرزاق » فإنه تأليف مستقلّ بنفسه ، وإن كان عبد الرزاق قد رواه .

وقد سمعت منذ زمن أن الدكتور محمد فؤاد سزجين مشتغل بتحقيق هذا « الجامع » .

٢ – المحكم في نقط المصاحف، لأبي عمرو الداني المتوفي سنة ٤٤٤هـ، ونشره الدكتور عـزة حسن عن نسخة وحيدة[١] ، محفوظة بمكتبـة مصطفى جون ، في مكتبة كلية اللغات والتاريخ بجامعة أنقرة ، وتاريخ نسخها سنة ٧٤١هـ .

٣ – الـذخـائر والتحف ، للقـاضي الـرشيد بـن الزبيـر ، من علمـاء القـرن الخامس الهجـري . نشره الدكتور محمـد حميد الله عن نسخة وحيدة ، محفـوظة ببلدة أفيون قره حصار ، من بلدان تركيا .

٤ – مجموعة شعرية – يعرفها أهل الأدب – تضم أشعار بشر بن أبي خازم ، وتميم بن أبيّ بن مقبل ، وذي الـرُّمة ، والطـرماح ، بخط نسخي جيـد ، من خطوط القرن السابع أو الثامن ظنًا . وتوجـد هذه المجموعة في بلدة تسمى جوروم ، وهى مدينة نائية في هضاب الأنـاضول ، في الوسط ، تقع إلى الشمال الشرقي من أنقرة عاصمة تركيا . زُرتُها ورأيت هذه المجموعة الشعرية ، وقد نشر الدكتور عزة حسن منها دواوين بشر وتميم والطرماح . ومثل هذا كثيرٌ جدًا[٢] .

فلو أراد الله لمعهد المخطوطات أن يعود إلى سابق مجده ونشاطه في إرسال البعثات للتصوير ، فينبغي أن تكون وجهته الأولى تـركيا. وهذا حديثٌ يساق أيضًا إلى كلّ المعنيين بشئون التراث العـربي أن يولوا وجوههم شَطر تـركيا ، ويصطنعوا من الوسائل مـا يمهّد لإقامة علاقات ثقـافية متينة بيننا وبين إخواننـا التُّرك . وليتنا نصنع ما صنعه المستشرقون الألمان في مطلع هذا القرن، فقد علموا لمخطوطات تركيـا وزنَها وقيمتها ، فسَعَـوْا لها سَعْيها ، وأعـدُّوا لها عُـدَّتها ، فأنشأوا باستـامبول

(١) هكـذا ذكر الـدكتور عـزة حسن ، ولكن بعثـة معهد المخطـوطات إلى المملكـة العربيـة السعـوديـة سنة ١٩٧٣م – وكُنت عضـوًا فيهـا – اكتشفت من هـذا الكتـاب نسخة ثـانيـة بالمكتبـة المحمودية بـالمدينة النبـوية ، وهذه النسخـة مكتوبة سنـة ٧٩٧هـ وهي ضمن مجموعة ، ورقمها في المكتبة المحمودية ٢٠ نحو .

(٢) انظر مخطـوطات من مكتبـة مغنيسيا ، للأستـاذ أحمد آتش ، بمجلـة معهد المخطـوطات ٤/ ١/ ٣.

معهد الآثار الألماني ، أشرف عليه المستشرق الألماني الكبير هلموت ريتر طَوال ثلاثين سنة ، وأنشأ به المكتبة الإسلامية عام ١٩١٨م لتحقيق النصوص الإسلامية . وممّا نشره منها باستامبول : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلِّين ،لأبي الحسن الأشعري (١٩٢٩م) ، وفِرَق الشيعة ، للحسن بن موسى النوبختي (١٩٣١م) ، والجزء الأول من الوافي بالوفيات للصفدي (١٩٣١م) ، وأسرار البلاغة[١] ، للشيخ عبد القاهر الجرجاني (١٩٥٤م) ، ونصوصًا ودراسات أخرى كثيرة[٢] .

ولم يكن هذا المعهد الألماني القائم في قلب استامبول هو الصلة الوحيدة بين الألمان والأتراك ، فقد حدَّثني بعضُ المسنّين من أهل استامبول أنه رأى في ذلك الزمان - زمان ريتر - عدّة حافلات (أوتوبيسات) مكتوبًا على ظهرها «هدية من الشعب الألماني إلى الشعب التركي » .

وكأن صورة هذا المعهد الألماني كانت ماثلة في ذهن الدكتور يحيى الخشاب - المشرف على معهد المخطوطات بعد رحيل الدكتور صلاح الدين المنجد - فقد قال ، رحمه الله : « ولست أشك في أن العلماء المعنيين بالثقافة العربية وبالمخطوطات بوجه خاص ، يشاركونني الرأي في وجوب إنشاء معهد عربي للدراسات العربية باستنبول ، تكون مهمّته تمكين الباحثين العرب ، من مساعدته في تكملة فهارس المخطوطات العربية وتصويرها بجانب أعماله الثقافية الأخرى ، ويكون له حق إيفاد بعثات طويلة المدى لدراسة أحوال المخطوطات في الهند وإيران وتصويرها »[٣] .

(١) أثنى على هذه الطبعة شيخنا محمود محمد شاكر ، في مقدمة تحقيقه لأسرار البلاغة (مطبعة المدني) ١٤١٢هـ = ١٩٩١م .

(٢) المستشرقون لنجيب العقيقي ٢/ ٤٦٠ (دار المعارف بمصر) الطبعة الرابعة ١٩٨٠م .

(٣) مجلة المعهد ٧/ ٢/ ١٥٦ .

على أننا من قبل حديث المخطوطات ومن بعـده مطالبون بمدّ الجسور بيننا وبين إخواننا الترك من آل عثمان ، وشدّ الأواصر بأوثق العُرى وأمتن الأسباب ؛ فإن العـلاقات بيننـا وبينهم ضاربـة في القِدم بعـروقها، ودع عنك مـا يقال عن الغـزو العثماني لمصـر ، أو الاحتلال العثماني لمصر ، فهـذا كله من حديث السيـاسة ، وللسياسة دروب ومضايق ، يضيع فيها الحق ، ويضلّ معها الحكيم(١) .

عاشرًا: لقد قـدَّم معهد المخطوطـات عبر مسيرتـه الطويلة الخِطّـة والمثال والنمـوذج ، فلسنا في حـاجـة إلى لجان تخطّط وخبـراءَ تقـرّر ، فالطـريق واضح المعالـم ، وليس إلا المالُ وهِممُ الرجال :

إن معهـــد المخطوطـات يتمتــع منـذ ٩/ ١٠/ ١٩٥٥م بشخصية معنـوية مستقلّة ، فيقبل الإعـانات والهِبـات وينظم الاكتتابـات . فهل يجعل أثريـاء الأمة العربية من فيض أموالهم نصيبًا مفروضًا لإقالة معهد المخطوطات عثرتَه ، والعودةِ به إلى سابق مجده .

وأما الـرجال – وهم علمـاء المخطوطات – فهـم يتناقصون يـومًا إثـر يوم ، بالموت الذى لا يُـرَدّ ، وبالصوارف التي لا تدفع ، وما بقى إلاّ قلـةٌ خافتة الصوت ضعيفـةُ الأثـر، وهـذه القلّـة ينبغي الإفـادة منهـا لتخـريج أجيـال جـديـدة تحب المخطـوطات وتخلص لهـــا ، لا تتباهى بـالعمل بها ، تطلـب المَثالـةَ والذّكـر الحسـن ، كمن يملأ فمـه بكلمـة الـتراث يغـدو بها ويروح ولا يرجـع بشـيء ذي بال ، أو كـالذي يحتفظ في بيته بصحيح البخـــاري ؛ التماسًا للبركـة ، أو سمعةً ورئاء الناس .

فهل تنجح جامعـاتنا العربية ومـراكز العلم ودورُ الكتب بها في تكـوين هذا الجيل الجديد ، ليمضى على الطريق ويكمل المسيرة ، فلا ينقطع مدد هذا العلم

(١) انظر مقالة لى بمجلة الهلال (ديسمبر ١٩٩٤م) .

الذي هو الأساس لاكتشاف المغيَّب من تراثنا ، وتأكيد الثقة بما سلِم لنا منه من عوادي الناس والأيام[1] .

***

وبعد : فهذه خمسون عامًا على إنشاء معهد المخطوطات : شعلةٌ لَمَعتْ ثم طَفِئَتْ ، وضوء سطع ثم خبا ، وصوتٌ دوَّى ثم خَفت ، وموجٌ هَدَر ثم سكن :

فَدَعْ ذِكر عيش قد مضى ليس راجعًا ودُنيا كظِلّ الكرم كنا نَخوضُها

ثم هذه إحدى وثلاثون سنة على عملي بمعهد المخطوطات ، دخلتُه في طَراءَة الصبا وميعة الشباب ، فقرأتُ وسمعتُ وشافَهْت ورَوَيتُ ورحلتُ وعانيتُ . ومهما اعتصم المرء بالصبر ، واستمسك بالجلادة ، فلن يستطيع أن يمسك دمعة، ويحبس حسرة على تلك الأيام الخوالي، وعلى رفاق المخطوطات الأعزّاء الراحلين : محمد رشاد عبد المطلب ، ومحمد مرسي الخولي، وأحمد سالم عبد السلام ، ثم أخي وعشيري عبد الفتاح محمد الحلو ، برَّد الله مضاجعهم :

ما في الصِّحاب أخو وَجْدٍ نُطارحه حديثَ نَجْدٍ ولا صبٌّ نُجارِيه

***

(١) انظر مقالة لي بمجلة العربي الكويتية (يوليو ١٩٩٥م) .

مداخلات وتعقيبات

□ **د. محمود فهمي حجازي :**

اسمحوا لي أن أؤكد بعد الاستماع إلى كلمات الافتتاح وبحوث الحلقة الأولى على ضرورة وضع استراتيجية عربية للتراث الثقافي ، وقد أشار إلى ذلك سيادة السفير العُمَاني بأسلوبه الهادئ الواعي . والبحوث التي سنستمع إليها ستناقش هذا الموضوع تفصيلاً ، فأرجو أن نتمسَّك بها وبغيرها من القضايا ، حتى يكون لنا منهج للعمل لآفاق المستقبل .

□ **د. عبد السَّتَّار الحلوجي :**

كلمة وفاء لذكرى فارسين من فرسان هذا المعهد سبقانا إلى الدار الآخرة ، ولا أتصور أن يقام حفل في معهد المخطوطات العربية ، دون أن يذكرا ، وهما الدكتور عبد الفتاح الحلو ، والأستاذ رشاد عبد المطلب .

وأبدأ في تعقيبي بسيادة السفير العُمَاني عن المخطوطات العُمانية القديمة ، وعن الجهود العُمَانية الحالية في مجال التراث ، وما نشرته سلطنة عُمَان من دليل للأعلام العربية فأقول : إني أوافقه في أن أحدًا من المهتمين بالتراث العربي لا يمكنه إلا أن يشيد بقيمة العمل الذي صدر عن السلطنة ، فيما يتصل بالأعلام العربية .

وأختلف معه في أنني لا أتصور أن التراث العربي فيه محلية : عُمَاني ومصري وعراقي وسوري . وأذكر أنه حينما أراد أحد الباحثين أن يسجل موضوعًا عن المخطوطات ، وسمه بـ « المخطوطات المصرية » اعترضت على كلمة

المصريـة ، وقلت: هـل هي مصـرية لأن مؤلفيهـا مصريـون ،أم لأنها نسخت في مصر ، أم لأنها محفوظة في مصر ؟

نحن نقـول : التـراث العربي ، ليس نسبـة إلى جنس العـرب ، ولا إلى بـلاد العرب ،وإنما نسبـة إلى لغة العرب حيثما كانت . والقول إن هنـاك تراث عُمَاني ، معناه أن هناك تراثًا مصريًا ، وتراثًا عراقيا ، ويمنيا .

أنتقل إلى بحث الأستاذ فيصل : قراءة في سِفْر المـاضي . وقد تَكَلَّم فيه عما قَدَّمه المعهد للتراث العربي ، وأنا ألخص تعقيبي عليه في أربع نقاط :

أولها : قضيـة تصويـر المخطوطـات ، فقد لفت انتبـاهي الكلام الـذي قيل سواء من الأستـاذ فيصل ، أو من د. الطناحي عن البعثات التي صَـوَّرت ، وشعرتُ منه أنه ليس هناك خطة واضحة لهذا التصـوير ، وقرأتُ كثيرًا تعبير : صَوَّر المعهد من مكتبة كذا ، فهذا التبعيض المتكـرر يجعلني أتساءل : على أي أساس كان يتم الاختيار . ثم إنه ما معنى أن المعهد في القاهرة ، ويصور من دار الكتب المصرية، ويترك غيرهـا من المكتبات ؟ ولقد ذكر د. الطناحي أن المعهـد أرسل بعثات أكثر من مرة إلى اليمن الشمالي واليمن الجنوبي، فما معنى أن يذهب المعهد إلى بلد أكثر من مـرة ، ولا يذهب إلى بـلاد أخرى ؟ هل كـان هناك خـريطة واضحـة أمام معهد المخطوطات العربية للتصوير ؟

وهذا التسـاؤل ينسحب أيضًا على الفهارس ، فقـد عاصرت تجربـة المعهد في إصدار الفهارس ، وتكـوّن لديّ انطباع أن المعهد لا ينـوي أن يأتي يوم تكتمل فيه فهارس مخطـوطاته . إن وجود خطـة للتصوير يجعل الرؤيـة واضحة ، في أننا سنصور ماذا ونترك ماذا . ثم أين خطة نشـرالفهارس؟ في الحقيقة كان هناك تأخير ونقص كبير جدًا في إصدار الفهارس .

وثانيها : مسألـة تـرميم المخطـوطـات التي تكلّم عنهـا الأخ فيصل وقـال بصراحـة إن المعهـــد لــم يفعل شيئـًا ، كل ما فعلـه أنه استـدعى خبيرة وألقت

محـاضــرة ، وأخفق في عقــد دورة تـدريبيـة في التــرميم . إن مجـال التــرميم والصيانةكما يبدو لم يتحقق منه شيء يذكر .

وثالثها : مســألة التعـاون والتنسيـق. وأظن أن عمل المعهــد في التنسيق أساسي ، لأن هنـاك مؤسسـات كثيرة جدًا تشتغل بـالتراث العـربي ، والتراث الآن موجـة رائجة ، وهناك كثيرون يتكسَّبـون باسم التراث . وربمـا تتفقون معي على أن كتب التراث العربي أكثر رواجًا في البيع ، فليس صحيحًا أن الناس لا تقرأ .

ورقة الأخ فيصل تحدثت عن التشـريعات ،وعن هيئة عربية مشتركـة لخدمة التـراث ، عقـدت اجتمـاعهـا اليتيم في الــكويت ، وأن المعهــد يفكـر الآن في تشــكيل هيئــة جــديدة . ومـا أرجوه أن يهتم المعهــد أكثـر بمجـال التنســيق والتعاون ، ولو استطاع أن ينجـح في هذا المجـال لاستطاع أن يحقق الكثير ويوفِّر الجهد والوقت .

ورابعها : المعجم الشامل لما طبع من كتب التراث ، صور منه أربعة أجزاء ، وهذا نشاط طيب كـانت المكتبة العربية تفتقده ، وكثيـر من الناشرين والمحققين والباحثين الـذين يسجِّلون نصـوصًا للتحقيق للدراسـات العليا في الجـامعات ، يفاجأون بأن الكتاب قد طبع .

تكلَّم د. الطنـاحي عن نشـاط المعهـد والمراحل التـي مر بهـا في استنقـاذ المخطوطات ، ولدي بعض الأسئلة :

مـا هي الأسس والمعاييـر التي تم على أسـاسها الاختيـار والتصـو ير؟ لقـد ذكـرالأخ فيصل ود. الطناحي النسخـة القديمـة ، والنسخة الخـزائنية . واستشهـد الأخير بـالكنوز التي اكتشفهـا الأستاذ رشـاد عبد المطلب ، وصـوَّرها من سـوهاج وطنطا. وأعتقد أننا بحاجة إلى معلومات أكثر حول قضية الاختيار .

في الختـام أتفق مع د. الطناحي فيمـا ذكـره من أوجه قصـور المعهد ، كمـا أتفق معه أيضًا في الإنجازات التي حققهـا . وأتفق معه على ضرورة تأسيس معهد عربي للداسات العربية في استانبول . وتبقى ضرورة التفكير في طريقةٍ ما للحرص

على بقايا الجيل المشتغل بالمخطوطات ، تحقيقًا ونشرًا وفهرسة .

ربما يكون التحقيق أسعد حظًا ، لأنه يصلح دراسة للدكتوراه . أما الفهرسة فحظها قليل ، لأنها لا تُعَدُّ عملاً أكاديميًا ، بل هي عمل روتيني ، وكثيرون لا يقبلون عليها ، ودور النشر عازفة عن نشر الفهارس ، لأنها لا تلقى رواجًا ، الأمر الذي ينبغي أن تتبناه وتشجع عليه الهيئات ، سواء المنظمات الإقليمية أو الدولية أو المحلية أو الجامعات أو المؤسسات الحكومية .

□ د. محمود فهمي حجازي :

أريد أن أؤكد بعض النقاط التي قالها د. الحلوجي في تعقيبه . التراث ليس فيه محلية ، هذه قضية محسومة وواضحة . وعندنا نقص حقًا في المعلومات عن أماكن وجود المخطوطات . ولاشك أن المخطوطات العربية مبعثرة في أماكن كثيرة ، مما يجعل المهمة ثقيلة وصعبة .

عدم وجود فهرس شامل لمخطوطات المعهد ، هذا صحيح أيضًا ، وأعرفه حق المعرفة . وأعرف أيضًا أنه أيام انتقال جامعة الدول العربية الصعبة ، أُعد شيء قام به بعض المتخصصين والموظفين في معهد المخطوطات ، يشبه الجرد ، فكان هذا هو الوثيقة الوحيدة التي تدل على ما يحتويه المعهد من مخطوطات .

وهذا العيب ليس مقصورًا علينا ، فأرجو ألاّ نعذِّب أنفسنا . ففي مكتبة ميونيخ (في ألمانيا) التي عشت فيها ربع عمري ، ألف مخطوطة عربية غير مفهرسة حتى الآن . ولما سألتهم قالوا : نحن مشغولون بالمطبوعات ، فصنع الفهرس الشامل للمخطوطات العربية في العالم يعد مطمحًا .

منذ نصف ساعة ، وفي غرفة مجاورة ، دار حديث حول مخطوطات عربية في مدينة زغرب . ومنذ شهرين كانت هناك مشاورات بين دار الكتب المصرية وجهة دولية حول مخطوطات في ألبانيا، في عاصمتها تيرانا ، وهى غير مفهرسة . فقضية نقص الفهارس صحيحة .

وآن الأوان أن نقف وراء المعهد ونسانده حتى يقوم بدوره العظيم في التنسيق والتعاون ، وحتى نستطيع أن نتحـدث عن فهرس شامل للمخطوطـات العربية في العـالم . هـذه قضيـة أسـاسيـة . وفي دار الكتب المصـريـة بـدأنـا بمـافيهـا من مخطوطات .

□ د. عبد اللطيف عبد الحليم :

أحيي وأشكر د. محمود الطناحي على هذا العرض الجيد ذي الأدب العالي الذي لم يؤثر فيه شَرَكُ الإحصاءات والأرقام .

البحث تعرض لدقائق جيدة أفدت منها ، وكانت منصفة في تحيته للمعهد ، وفي جهود القائمين عليـه ، منذ إنشائه حتى الآن ، برغم النقـدات التي أبداها في وفاء ودقـة وإتقان . وأحب أن أنوّه بهـذا الجهد الذي بـذل ، وإن كنت أطمح كما يطمح كثيرون غيري أن يمتد هذا الجهد ، ويتسع ويزداد ثراء وغنى .

بعثات التصويـر التي تمت كانت موفقة وطيبـة . ولكن لى بعض التساؤلات سوف أوجزها فيما يلى :

في إسبـانيـا مثلاً وجـد مـا يسمى أدب الخميادة ، وهـو الأدب الـذي كتب بالحروف العربيـــة ، ولكنه للمورسكيين الذين بقـوا هناك بعـد سـقوط الأندلس . ولا أدرى هل البعثـات التي ذهبـت إلى هنـاك وضعت في حسبـانهـا مثل هـذه المخطـوطات أم لا ؟ وخـاصة في بعض الأديـرة ، فهناك أقـاليم تحوى كثيـرًا من وثائق أدب المورسكيين وعلمهم ، فهل استطاعت هذه البعثات أن تقف عليها ؟

أشارت البعثات إلى أسفار تمت إلى إيران ، وأنا أعرف أن هناك مخطوطات عن الشيعة ، وهم يبذلـونها لأصحابها أو للشيعـة أنفسهم ، فهل استطاعت البعثة أن تجتاز هذا الحاجز ، وأن تأتي ببعض المخطوطات الشيعية ؟ أعتقد أن فى هذا شيئًا طيبًا .

د. محمود ذكر عناية الأتراك بالألمان ، وأنا أقول : ليس الألمان وحدهم ، فإن أي (خواجة) يذهب إلى بلد عربي أو شرقي يعامل معاملة مختلفة للمعاملة التي يتلقاها أبناء المشرق أو العروبة على وجه الخصوص !

والأكاديمية التاريخية في مدريد ، وكان يشرف عليهاجارسيا جومس ، وكانت قد زارتها بعثة في الزمان الغابر ، قد أُغلقت في وجوه العرب ، لأن باحثًا عربيًا نشر كتابًا دون إذن من جارسيا . وأنا شخصيًا لم أستطع أن أحصل على الرغم من صلتي بجارسيا وغيره، على نسخة « حدائق الأزاهر» لابن عاصم الغرناطي من هذه المكتبة . وربما تُذلَّل مثل هذه الأمور إذا تقدمت جهة رسمية كمعهد المخطوطات العربية .

وهناك بعض المخطوطات في حوزة بعض المستشرقين ، لا يُسمح بها إلا للمستشرقين من تلاميذهم . وبعضهم توفي وفي حوزته بعض المخطوطات ، مثل هنرى بيرس الذي لديه مخطوطات آلت إليه من ليفي بروفنسال وغيره .

الحقيقة إن التجربة التي خاضها المعهد في إعداد جيل من الباحثين ، ينبغي أن تظل تقليدًا متبعًا ، فنحن في الجامعات لم ندرس المخطوطات ، ولم نُدَرّسها إلا بجهود فردية . فأنا أدرّس للدراسات العليا المخطوطات الأندلسية والخط الأندلسي . وهناك بعض الرسائل التي تتم في الجامعات ، لكن هذه المبادرات لا تفي بالطموح .

لم ألحظ فيما ذكر من البعثات أنها زارت عُمَان . وأنا زرتها وأقمت بها أربع سنوات ، وزرت بعض المكتبات العامة والخاصة . العامة لاشيء كثيرًا فيها ، وقد لفت نظري فيها أحد عشر ديوان شعر فقط ، لكن هناك مكتبات خاصة ، يضنُّ بها أصحابها على أهل التراث عمومًا ، منها مكتبة المستشار الديني والتاريخي لجلالة السلطان ، هو الشيخ محمد بن أحمد ، وقد دخلتها ، وفيها نوادر غريبة من المخطوطات . الخلاصة أن الكم هائل ، ويغري المعهد بزيارة عُمَان .

وهنـاك بعض القبائل كـالحُـرْث (الحارثـي) لديهـا مخطـوطات ، وقبـائل العَبْري كذلك ، ولا يسمحون إلا برؤيتها فقط .

وهناك حقيقـة أن مخطوطـات عمان لم ينشـر منها إلا القليل . وهـذا عامل مغر آخر .

د. محمود أثنى على الجيل المـاضي من عشرائه وأنداده ، وأنا معـه في هذا الثناء . وقد احتبستُ دمعة مثله ، ولكنني أقول له دائمًا هذا الذي قاله الأول :

ولـولا الأسى مـا عشتُ في النـاس سـاعـةً
ولـكنْ إذا مـا شـئـتُ جاوبنـــي مِثْلِـي

◻ د. محمود محمد الطناحي :

أود أن أرد على ما ذكره د. الحلوجي عن أهميـة تصوير المخطوطات من دار الكتب المصـريـة والمكتبة الأزهـريـة . الحقيقـة إن المعهد أراد عنـد إنشـائه أن يستفيد من خبرة فؤاد سيد وأبو الوفا المراغي في نوادر تلك المكتبتين وتصويرها ، وأقول : ليتهـم صـوروا جمـيع مخطوطـات دار الكتب المصريـة ، لأن هناك مخطوطات لايوجد منها الآن إلا صُورُها ، أما الأصل فهو في الخارج .

أما لماذا ركَّزت البعثات على بلاد دون أخـرى ، فهى مسألة مرتبطة بسماح تلك البلاد للمعهد ، الذي عانى عناء شـديدًا في الحصول على الموافقات ، كما كـان أعضاء البعثـة يعانـون من معوقـات التصـوير ، على الـرغم من الموافقـات المسبقة .

أما بشأن التنسيق فإنه لن يتحقق إطلاقًـا ، لأن بعض الجهات بدأت تستفيد من التراث ، فلنغلق هذا الباب .

فيما يتعلق بمخطـوطات إيران ، فإن الأستاذ علي عبـد المحسن زكي – وهو أحد الحاضرين – من الذين ذهبوا إليها ، ويستطيع أن يجيب بشأنها .

□ أ. عصام محمد الشَّنطي :

إن بعثات المعهد إلى إسبانيا لم تتوجه بالاختيار والتصوير ، إلاّ إلى مخطوطات باللغة العربية .

□ أ. علي عبد المحسن زكي :

إن المسئولين في إيران لم يحجبوا عن البعثة شيئًا ، لكنها المدة المحددة ، وتعطل آلة التصوير .

□ د. رانو خوجه بنت عمر (1) :

أنا مسرورة لمشاركتي في الاحتفال بالعيد الذهبي لمعهد المخطوطات العربية . وأود بهذه المناسبة أن أعرف بالمعهد الذي أعمل به ، والذي يعد واحدًا من أكبر معاهد المخطوطات في العالم .

يوجد المعهد في جمهورية أُوزبكستان ، التي تقع بين النهرين الكبيرين أمودريا وسيدريا . وكان العرب يطلقون عليها بلادَ ما وراء النهر . وهذه الجمهورية تعتبر من أكبر جمهوريات آسيا الوسطى ، ويصل تعدادها إلى قرابة عشرين مليونًا ونصف المليون ، وعاصمتها طشقند . وأُوزبكستان ذات تاريخ عريق تحكيه مدنها سمرقند وبُخارىٰ وخيوه وفرغانة في وادى خوارزم .

وتضم آثارًا قديمة ورائعة . وكانت مدنها مزدهرة قبل الإسكندر المقدوني ، بثلاث مئة وثلاثين سنة قبل الميلاد . وتمثل بلادي الحضارة الراقية القديمة . وهى موطن العلماء والأدباء مثل الإمام البخاري والترمذي والسمرقندي والبيروني والخوارزمي والفارابي وابن سينا والزمخشري والرازي ، وغيرهم من العلماء البارزين الذين طوروا الحضارة الإنسانية كلها ، ومؤلفاتهم محفوظة في مكتبات خاصة ، ومنها ما هو محفوظ في معهدنا .

---

(١) ضيفة الندوة ، وهى أستاذة في معهد أبي الريحان البيروني للدراسات الشرقية في طشقند ، التابع لأكاديمية العلوم في جمهورية أوزبكستان . وستتحدث عن معهدها ومقتنياته من المخطوطات .

يوجد في المعهد حوالي عشرين ألف مجلد ، يحتوى كل مجلد منها على ما يقرب من خمسة إلى مئة كتاب أو رسالة ، وجميعها بالعربية والفارسية والتركية القديمة . وبهذا يبلغ عدد مخطوطاتنا ما يقرب من مئة وخمسين ألفًا ، تزيد كل عام لأننا نشتري من الأهالي ، الذين كانوا يخفون المخطوطات ، ثم أفرجوا عنها وأظهروها .

ويشتغل الباحثون الأوزبكيون بدراسة المخطوطات وتحقيقها وشرحها ونشرها وترجمة بعضها إلى لغات أخرى مختلفة . وندرس التراث الإسلامي المشترك ، كما ندرس الشخصيات البارزة التي لها دور في العلم واضح . وعلى سبيل المثال احتفلنا في العام الماضي بشخصية أولغ بك ، وهو حفيد الأمير تيمور ، وكان أديبًا كبيرًا وملكًا ، أقام في عاصمته سمرقند مرصدًا فلكيًا كبيرًا ، وله حسابات فلكية وجداول ، تعرف بزيج أولغ بك ، ورصد آلاف النجوم المتحركة والثابتة ، وصَحَّح نظريات بطليموس . وتُرجم زيج أولغ بك إلى لغات مختلفة ، ودُرِّس في أوربا ، ونشر كتابه هذا في أكسفورد عام ١٦٥٢ باللغة اللاتينية ، أي منذ بضعة قرون .

في الماضي كنا ندرس تاريخ العلوم والجغرافيا ، أمافي الوقت الحاضر فإننا ندرس تاريخ الإسلام والفقه والتصوف وغيره .

وفي المعهد نهتم بحفظ المخطوطات في درجة حرارة معينة ، ودرجة جفاف ورطوبة مناسبة.

أسس معهدنا سنة ١٩٤٣ ، أي قبل معهدكم بثلاث سنوات . وقد احتفلنا بعيده الذهبي ، كما تحتفلون . ونشرنا إثنى عشر فهرسًا كبيرًا وُصف فيها حوالي ثلاثين في المئة من مخطوطاتنا في لغاتها المختلفة . ولجميع مخطوطاتنا قوائم وبطاقات فيها عناوين المخطوطات وأسماء المؤلفين .

كما يوجد في معهدنا معمل خاص لترميم المخطوطات ، يشتغل فيه خبراء متخصصون ، استطاعوا أن يصنعوا نوعًا جديدًا من الورق يشبه أوراق المخطوطات القديمة ، كالورق السمرقندي وغيره . وقد سافر بعض هؤلاء المتخصصين إلى عد من البلدان لعرض مخترعهم هذا .

ولمعهدنا إنجازات في إنقاذ المخطوطات وتعريفها وتحقيقها وشرحها . وعندنا أيضًا مشكلات ، منها الاهتمام بإعداد جيل جديد من المتخصصين الشباب . وتتوجه جهودنا الآن في إكمال فهرسة المخطوطات ووصفها وترتيبها هجائيًا .

وخزانتنا تحتوي – بحق – على كنوز للمعرفة والعلم ، ولهذا أدعو معهدكم للتعاون والتبادل مع معهدنا .

□ **الأستاذ عصام محمد الشَّنْطِي :**

بمناسبة كلمة د. رانو خوجه بنت عمر ودعوتها للتعاون والتبادل بين معهد المخطوطات العربية ومعهدها الذي تنتسب إليه ، أود أن أوضح أنني زرت ذاك المعهد لصالح معهدنا في يونيه ١٩٧٧ ، أي منذ حوالي عشرين عامًا ، وكان مديره آنذاك د. براتوف ، ونائبه بُلجاكوف ، الذي نشر له المعهد في مجلته في عهد د. طه حسين ، كتابًا حَقَّقَه في المسافات لأبي الريحان البيروني .

كان في المعهد آنذاك نحو خمسين ألف مجلد ، تحتوي على مئة ألف مخطوطة بالحرف العربي ، أي باللغة العربية والأوزبكية والفارسية والتركية القديمة ، جميعها لها بطاقات ، لكنها قاصرة . من هذه المخطوطات سبعة عشر ألفًا باللغة العربية ، وهو الذي يهمنا . وأصدر معهدهم من الفهارس عشرة مجلدات ، لتوصيف مخطوطات بجميع اللغات ، بلغت عدتها سبعة

آلاف مخطوطة ، جزء منها باللغة العربية . وذكرتْ د. رانو أن اثني عشر مجلدًا قد صدر من الفهارس ، ومعنى هذا أن جزأين صدرا على مدى عشرين عامًا مضت .

وقد لاحظت أن كثيرًا من مخطوطاتهم في التاريخ . وهم ينمّون مخطوطاتهم بالشراء . وقد أوضحت د. رانو هذه المسألة ، وبيّنت مدى نمو مخطوطاتهم في الحقبة الماضية .

* * *

الجلسة الثانية

البحث الثالث :

قضية التعريف بالمخطوطات :الجهود المبذولة ، وأوجه القصور

البحث الرابع :

قضية إحياء المخطوطات : منهج المعهد في نشر التراث

مداخلات وتعقيبات :

أ. إبراهيم الترزي .

أ. نصر الله مُبَشِّر الطِّرازي .

د. أحمد مختار عمر .

قضية التعريف بالمخطوطات :

الجهود المبذولة ، وأوجه القصور

أ. عصام محمد الشَّنْطِي(*)

(١)

تمهيـد : منذ أن أُنشئ معهد المخطوطات العربية ، في النصف الأول من عام ١٩٤٦ ، كانت - وما تزال - مهمتُه الأولى الرئيسةُ انتقاءَ المخطوطاتِ العربية حيثما وجدت في أنحاء شَتَّى من العالم ، وتصويرَها لصالح المعهد ، ومن ثَمَّ إتاحتَها للعلماء والباحثين والمراكز المتخصصة محققين ودارسين وناشرين .

وهكذا التصق منذ البداية بهذه المهمة التصاقًا قويًا عملان أساسان ، واحدٌ قبلها ، وآخرُ بعدها . أما الذي قبلها فهو إعدادُ تقاريرَ تكشف عن أماكن وجود هذه المخطوطات ، وأعدادها ، وموضوعاتها ، وحالتها ، ومدى نفاستها ، وتميّز بعض نسخها ، وفهارسها ، تمهيدًا للقيام ببعثات الانتقاء والتصوير .

وأما الذي بعدها فهو الكشف - أولاً بأول - عن محصول هذا الحصاد الذي يجمعه المعهد لاطلاع العلماء والباحثين عليه ، بإصدار الفهارس المناسبة ، ومن ثَمَّ يقرأونها ، أو يُصوّرون ما توسَّموا فيه استحقاقَ العمل .

وهذان الميدانان - التقاريرُ والفهارسُ - يمثلان توجّهَ المعهدِ الأعظم إلى

(*) المدير الثاني السابق للمعهد .

التعريف بالمخطوطات العربية . وهمـا ميدانان واسعان . الأول هو ميدان التقارير التي تكشف عن أماكنِ وجود المخطوطات العربية ، في مكتبات عامة وخاصة . والثاني هو الاهتمام بفهرسة هذه المخطوطات - في المعهد وخارجه - وتوصيفها توصيفًا كافيًا يدلُّ الباحثَ على ما ينفعُه ، ويحرص على الاطلاعِ عليه .

(٢)

التقارير والقوائم :

والحق أن المعهـد منـذ البداية كـان يحـرص على الحصـول على هـذه التقاريـر ، سواءً بإيفاد مَن يحـررها بنفسه ، أو يكلف مسـؤولاً ليزوِّدَه بالمعلـومات المطلـوبة من مخطـوطاتِ بلـدٍ بعينه ، أو مـدينةٍ ، أو مكتبـةٍ عامـة ، أو خاصَّـة ، تتضمن قوائم بمـا تحويـه من مخطوطات ، كلِّهـا أو بعضِها ، ومن ثَمَّ ينشـرُها في مجلته التي أنشأها عام ١٩٥٥ . وبهذا ينتفع المعهـدُ من هذه المعلومات تمهيدًا لبعثاته ، ويعرِّف المتخصصين بها للانتفاع منها على عجل .

ولا يستطيع البـاحثُ أن يعثـر على تقـاريـر لاشك أنهـا كُتبت وحُفظت في أضابير المعهد في فترة تسع السنوات الأولى الواقعة ما بين إنشاء المعهد وصدور الجزء الأول من مجلته . وغالب الظن أن المعهد في فترة الإنشاء هذه كان متوجهًا - في الدرجة ا لأولى - إلى انتقـاء وتصوير أكبر قدر من المخطوطـات ليكوِّن بها ثـروته المصـوَّرة ، دون أن يمهد لهـذا التصويـر بتقاريـرَ وافية عن المكتبـات التي يزورها لهـذا الغرض . وليس أدلُّ على قلة اهتمام المعهـد بجمع التقارير في تلك الحقبة أنني لم أصادف إلاّ تقريرين حول المخطوطات ، كانا قد حُرِّرا قبل صدور المجلة ببضع سنوات ، ثم أُدرجـا فيها بعد صدورها . ولو كـان لدى المعهد أكثرُ من هذين التقريرين لما فاته أن ينشرها في مِنْبَرِه .

لقد استطعتُ أن أصنع قـائمة ، ألحقتهـا بهذا المبحث ، ووسمتهـا باللَّحَق الأول ، رصدتُ فيها جميعَ ما نُشر في أجزاء المجلة منذ المجلد الأول منها ، إلى المجلد التـاسع والثلاثين بجزءيـه ، لعام ١٩٩٥ . وهي المجلـدات التي صدرت

في القاهرة أولاً (٢٦ مجلدًا) ، ثم في حقبة الكويت (٨ مجلدات) ، فعودتها إلى القاهرة منذ بضع سنين (٦ مجلدات)[١] . لم يفتني منها إلاّ جزءٌ واحد من إصدارات الكويت ، لم يخرج للنور لأنه تاه في المطبعة أثناء الأحداث[٢] .

ويلاحظ القارئ أنني لم أفصل في اللَّحَق الأول بين التقارير والقوائم ، وإن سُمِّيت الأخيرة في المجلة أحيانًا بالفهارس تجاوزًا ، فالصحيح أنها قوائمُ لا تحتوي – في الغالب – إلاّ على أقلّ القليل من البيانات عن المخطوطة . ويعود سببُ عدم الفصل إلى التداخلِ الكبير فيما بينهما ، فالتقارير تتضمن قوائمَ تلك المكتبات المتحدَّث عنها ، كلُّ مخطوطاتِها أو بعضُها . ففيها من هذا الجانب صفة القوائم . وكذلك القوائم تتضمن أحيانًا بعض المعلومات عن المكتبة المعنيَّة ، وفيها من هذا الجانب صفةٌ من صفات التقارير .

كما يلاحظ القارئ أنني أبقيتُ تتابع هذه التقارير والقوائم وَفْق ورودها في أجزاء المجلة ، فهذا الترتيب التاريخي سيفيدنا في التحليلات المقبلة من هذا المبحث .

ويكملُ اللَّحَقَ الأول اللَّحَقُ الثاني ، الذي صنعته للتقارير التي نشرها المعهد – وهو في مقره بالكويت – منفردةً في كُتيِّبات ، تخص المخطوطات العربية في يوغسلافيا ، والهند ، ونيجيريا الاتحادية .

ونظرةٌ عجلى إلى هذين اللَّحَقَيْن ، تُظهر أن عددَ هذه التقاريرِ والقوائمِ يبلغ سبعةً وثمانين عملاً قام بها المعهدُ في مدى خمسين عامًا ، بمعنى أن متوسطَ العام الواحد أقلُّ من عملين . وإذا نسبنا هذا الإنجازَ إلى أجزاء المجلة المنشورة وعِدَّتُها ثمانون ، كان نصيبُ كلٍّ منها عملاً واحدًا .

(١) يلاحظ القارئ أن مجموعَها أربعون مجلدًا ، لا تسعةٌ وثلاثون ، لأن المجلد السادسَ والعشرين صدر مرتين ، في آخر حقبة القاهرة الأولى ، وأول حقبة الكويت .
(٢) هو الجزء الثاني من المجلد ٣٣ ، يوليو ١٩٨٩ .

على أن هذا المتوسط لا يكشف عن حقيقة الواقع ، فأجزاء المجلة الأولى ، بسبب مبادرات المدير المتخصص ومتابعاته ، تكشف عن عدد وفير من هذه الأعمال المنجَزة . فالجزء الأول من المجلد الأول (عام ١٩٥٥) فيه اثنا عشر عملاً . والجزء الثاني منه احتوى على أربعة أعمال . وهكذا أخذتْ أجزاء المجلة تعلو وتهبط في نشرها مثل هذه الأعمال التي تُعَدُّ من أهدافها الأولى ، إلى أن وصلت في وقت من الأوقات لا تنشر نصًا صغيرًا فحسب ، بل كتبًا كاملة ، انتهت بنشر دواوينَ ضخمةٍ مثقلةٍ بفروق النسخ . والإشارات إلى أكثرَ من طبعة من طبعات مصادر التحقيق ومراجعه . وكان هذا ، دون شك ، جورًا شديدًا على نشر التقارير والقوائم .

هذا غيرُ معوقات أخرى تتصل بعدم استقرار المعهد ، وتطويحه من مكان إلى آخر . فخلوُّ المجلداتِ الخمسة الأولى التي صدرت بعد العودة إلى القاهرة ، فيما بين سنتي ١٩٩٠ ، ١٩٩٤ ، من التقارير والقوائم ، وظهورُ تقرير واحد ، وقائمة واحدة في المجلد الأخير بجزءيه عن عام ١٩٩٥ ، والتوجه إلى نشر الدراسات والنصوص ، لا تفسير له إلاّ احتياج المعهد إلى الاستقرار ، والمبادرة بتكليف الأكفاء لسدِّ هذا النقص واستدراك هذا القصور .

ومن المُلاَحظ تفاوتُ هذه التقارير تفاوتًا كبيرًا ، فبينما بعضُها لا يُكملُ صفحةً واحدة ، يتجاوز بعضُها صفحاتٍ وافرة . وكذلك تفاوتها في مادتها ما بين سطحية ، أو تقرير ضافٍ عميق ودقيق يهتم بنشأة المكتبة وأصولها ومجموعاتها وعدد مخطوطاتها وحالتها وفهارسها ، وما لم يفهرس منها ، وذكر بعض نفائسها من القرون الأولى ، أو أصالة مؤلفها ، أو أصالة موضوعها . ويفصل بين ذاك الإنجاز وهذا الإنجاز المُنجِزُ المتخصص ، أو الدخيلُ المتطفلُ عليه .

إن ما أنجز من هذه التقارير والقوائم على تنوعها ، واتساع رُقعتها ، لاتدل على أن للمعهد خطةً مرسومةً مُلزمةً بعيدةَ المدى ، أو متوسطةَ المدى ، لمسح أماكنِ المخطوطات العربية جميعِها . ولو كان له خطةٌ لأكمل هذا المسحَ بنظام

واضح ، ولجدَّدَ معلوماتِه عن المخطوطات العربية في أماكن غطّاها منذ سنين بعيدة .

ولا يخفى حاجةُ المعهد إلى تجديد تلك المعلومات . وإني لأذكر أن دار المخطوطات في صنعاء حين زرتها في يناير ١٩٨٥ كانت قد زادت مخطوطاتها -بالشراء والإهداء - ألفين وخمسِ مئة ، عَمّا كانت عليه قبل عشر سنين .

إن المعهدَ الآن ، وبعد مضي خمسين عامًا على تأسيسه ، وهو المعهد القومي المسؤول عن مجاله ، لا يملك خريطةً مفصَّلة تبيِّن أماكنَ المخطوطات العربية في العالم ، ومكتباتِها العامة وأعدادَها وما فُهرس منها ، وما لم يفهرس ، وبعضَ نفيسها ، ومعلوماتٍ أخرى أساسية وضرورية . هذا فضلاً عن المكتبات الخاصة التي يجهل الغالبيةَ العظمى منها . ونتج عن هذاالقصور أننا لاندري عددَ المخطوطات العربية في العالم ،ولو على وجه التقريب . فمن قائل إنها مليون أو أقلّ ، ومن قائل إنهاتصل إلى خمسة ملايين أو أقلّ ، وهذا الاتساع بينهما لا يأتي إلاّ من جُزافية وارتجالية .

(٣)

فهارس المعهد :

قلنا فيما مضى إن المعهد منذ تأسيسه لم ينتظر جمعَ التقارير عن المخطوطات العربية ، بل توجّه إلى المكتبات للانتقاء والتصوير ، منتفعًا بالمتوفر من فهارسها وسجلاتها وقوائمها وبطاقاتها ، وذلك ليكوِّن - على عجل - ثروةً من المخطوطات المصوَّرة لانتفاع العلماء والباحثين بها .

ولم يمضِ عامان على نشأته حتى استطاع أن يجمع ٢٥٠٠ مخطوطة مصوَّرة من دمشق وحلب والقاهرة والإسكندرية وسوهاج . وسارع بإخراج فهرسٍ تمهيدي أشبهُ بنظام القوائم ، طبعه على الآلة الكاتبة . في ٥٧٠ صفحة من القَطْع الكبير ، احتوى كلَّ ما تجمَّع لديه من العلوم والآداب والفنون ، دون أن يتخصص بعلمٍ أو موضوع واحد . وذكر في مقدمته أن هذا الفهرسَ ناقصٌ من وجوه عديدة ،

وأن أغلاطًا قد تكون تسربت إليه ، فالمفهرسون لم يكن لديهم الوقتُ الكافي لفحص كلّ مخطوطة فحصًا دقيقًا . وهو للكشف الأولى فحسب ، ووعد بتحرير فهرس مفصَّل مضبوط .

وفي عام ١٩٥٤ أصدر المعهدُ الجزءَ الأول من فهارسه مستعينًا بمفهرسَيْن من الخارج ، لأنه لم يكن في المعهد مفهرسون ، على الرغم من فوات ثمانِ سنوات على إنشائه .

لقد حُشِدت في هذا الفهرس موضوعاتٌ عديدة غيرُ متناسقة ، فجاء فيه علوم الدين، وعلوم اللغة العربية ، والأدب ، والسياسة والاجتماع ، والجغرافيا والبلدان . وقد عددتُ فروعَ هذه الموضوعات فوجدتها ثلاثةً وعشرين .

وواضح أن التقسيمَ العام لتصنيف فهارس المعهد ، قد جعل الجزءَ الأول لهذا المزيج من الموضوعات غيرِ المتجانسة ، والجزء الثاني للتاريخ ، والثالث للعلوم التجريبية من فلك وطب ورياضيات وكيمياء وطبيعيات ، والرابع (وهو الأخير) للمعارف العامة والفنون المتنوعة .

وقد تسبب سوءُ هذا التوزيع ، خاصة في الجزء الأول ، إلى تشابك واشتجار في نظام الفهارس . فلما أُريد سنة ١٩٧٩ إخراجُ فهرس للأدب جديد ، اضطُر إلى أن يُجعل ما ورد في الجزء الأول من الأدب قسمًا أول ، وما يليه يكون قسمًا ثانيًا من الأدب ، من الجزء الأول . وكذلك حين أُريدَ إخراجُ الجزء الثاني من الطب ، سُمِّيَ الكتابَ الثاني من القسم الثاني من الطب ، من الجزء الثالث الذي خُصِّص للعلوم التجريبية .

واستطاع المعهد أن يفك هذا التعقيد والاشتجار حين أصدر فهارسَه في الكويت ، فجعل السيرة النبوية والتاريخ والتراجم موضوعًا ، وأصدر منه الجزءَ الأول ، والأدبَ موضوعًا ، وأصدر منه الجزء الأول ، ومثلَهما في الفقه وأصوله ، وهكذا يمكن أن تتوالى الأجزاء في الموضوع الواحد .

ومن ناحية الشكل أيضًا جاء الجزءُ الأول خاليًا من فهرس أسماء المؤلفين ، وهو إهمال جسيم ؛ لأن المخطوطاتِ فيه مرتبةٌ على أسمائها وعناوينها ، وصنع فهرس للمؤلفين ضرورةٌ مُلِحَّة ؛ فضلاً عن إهمال صنع فهرسٍ للنُّسَّاخ لما فيه من فوائدَ للباحثين . وقد شاع هذا الإهمال في صنع الفهرسين في أكثرَ من جزءٍ من أجزاء الفهارس .

أما المضمون ، فإن فهارسَ المعهد بإصدار القاهرة ، الحقبة الأولى ، مالت إلى منهجية القوائم ، ولم يتّبعْ المعهدُ بوضوحِ المنهجَ الوصفيَّ المعتدل الذي لا يترك ملاحظة مفيدة على النسخة إلاّ ذكرها ، دون تطويل لا فائدة تُرجى منه ، إلاّ في مقرّه بالكويت ، وحين عودته إلى القاهرة .

ولم يأخذ المعهد منذ إنشائه حتى يومنا هذا بمنهج الفهرسة التحليلية التي تحتاج إلى جهدٍ ووقت ومجلدات من الفهارس . لا تساوي الفائدة المرجوة منها . وهي محمدة للمعهد بإزاء إشكالية فهرسة محصوله من المخطوطات المصوَّرة ، والتي سنعرض لها بعد قليل .

وبهذا نجد أن فهارس المعهد تأرجحت ما بين نظام القوائِم وبين الفهرسة الوصفية المعتدلة . وبين هذه وهذه مسافةٌ طويلة يقترب المفهرس من هذه حينًا ، ومن هذه حينًا آخر . ولم يستطع المعهدُ أن يضع - طيلة هذه السنين - منهجًا للفهرسة خاصًا به ، ولا أن يكوِّن مدرسة ذات أبعاد متميِّزة في هذا المجال ، ولا أن يعقد الندوات المتخصصة للوصول إلى بطاقة نموذجية موحَّدة يتبنّاها ويقدمُها إلى جميع المراكز والمفهرسين في العالم ، للاستئناسِ بها ، واتباع منهجها .

ونظرةٌ إلى اللَّحَق الثالث ، الخاصِ بفهارس المعهد ، تكشفُ عن عدد الأجزاء التي أصدرها على مدى نصف قرن ، وهو تسعةَ عشر جزءًا ، بمتوسط فهرسٍ واحدٍ لما يقرب من ثلاث سنوات . وأدسمُ فترة للفهرسة وإصدار الفهارس

هي فترة الخمسينـات التي صدر فيهـا ستةُ أجـزاء . يليها عَقْـد الثمانينـات الذي صدر فيه أربعةُ أجزاء . وهناك فترة ركود امتدت نحو أربعةَ عشرَ عامًا .

ونظرةٌ أخرى إلى اللَّحَق تكشف عن أن جميع الأسمـاء التي صنعت فهارسَه كلَّها من خارجـه . والقليل منها جاءت دون أسماء ، صنعها نفرٌ كـان قد تكوَّن في ظلِّ المعهــد ، واكتسب خبـرة طيبـة فـي هـذا المجــال . كــان ذلك في أوائل السبعينات . ومـا إن جاء آخـر ذلك العَقْد حتـى تفرَّق النفر بـانتقال المعهـد إلى تونس .

وفي أوائل التسعينات ، حين رغِب المعهدُ في استئناف العمل في الفهرسة ، في مقره بالقاهرة ، عاد إلى سيرته الأُولى مستعينًا بمفهرِسِين من خارجه .

ولنا أن نتصور فداحةَ هذا الإشكال ، إذا علمنا أن الفهارس التي صدرت عن المعهد ، لا تغطي إلاّ نحو ثمانِ آلاف مخطوطـة ، بنسبةٍ لا تتجاوز ثلثَ محصوله من المصوَّرات . والباقي منها قَلِيلُه - خاصـة بعثات السنوات الأخيرة - ظاهرٌ في قوائمَ قاصـرة . وكثيره لا ينظمه قوائمُ ، وبقى سرّاً من الأسرار ، لا يفيـد منه باحثٌ متخصص .

وحين نعـود إلى النظام الـدَّاخلي للمعهـد ، المؤرخ في أوائل عـام ١٩٥٦ ، نلقى فيه أن المعهـدَ يتألف من أربعة أقسام . وباستبعـاد ثلاثة منها إداريـة وفنية ، وهي قسم التصوير والسكـرتارية والمحاسبة ، يبقى القسم العلمي الـوحيد الذي نُصَّ عليـه ، وهو قسم الفهارس . استشعـارًا من المجلس الأعلى للمعهـد آنذاك - وهو واضع النظام - بأهمية هذا القسم . وقـد ظلَّ هذا القسـم مذكورًا على رأس جميع الأقسام ، حين تعددت وظائف المعهـد ، في جميع الأنظمة الداخلية التي تبعت ذلك النظام الـذي أشرنا إليه . وعلى الـرغم من ذلك فإن المعهد لم يستطع أن يكـوِّن لأعمـالـه مجموعـة من المفهـرسين الأكفـاء المنتمين ، ولا أن يفهـرس محصولَه في فهارس مطبوعة .

واتصل هـذا القصـور من المعهـد بعجـزه في أن يكـوّن رعيـلاً لفهـرسـةِ مخطوطات الوطن العربي ، على الرغم من أنـه أحسَّ بمسؤوليته والتزامه نحوها . فقد عَقـد سبعَ دورات تـدريبية في شـؤون المخطـوطات العـربية لأبنـاء الوطن العربي . هـدفُها الأول التـدريبُ على الفهرسة . الـدورة الأولى منها كـانت عام ١٩٧١ ، والأخيرة عـام ١٩٨٩ . وعُقدت جميعُها في القاهـرة ، ودمشق ، وبغداد ، والكويت . واتَّسمت الـدورات بالجِديـة والتكثيف ، وكانت مـدتُها كافيـة ما بين شهرين وثـلاثة شهور ، والأسـاتذة متخصصـون ، وكانت النفقات عـالية . وبإزاء ذلك لم يستطع المعهـد أن يكوّن ، في نحـو عشـرين عـامًـا ، جيـلاً عـربيًـا من المفهرسين .

والحقُّ أن الدولَ العربيـة المرشَّحة لمتدربيها تشارك المعهـدَ المسؤولية في هذا الإخفـاق . ولصلتي بكثير من هؤلاء المتـدربين ، فإن غالبيتَهم لم تكن تعمل في هذا الحقل حين رُشّحت ، ولم تعملْ فيه حين عادت .

ويَشيع القصـور في مكتبات العـالم التي تحتوي على مخطـوطاتٍ عـربية ، فجلُّها – إن لـم يكن كلُّها – غـالبُ مقتنيـاتِهـا غيرُ مفهرس ، وأحسـن الأحوال أن يكون لـديها سجلاتٌ أو بطـاقاتٌ ، كثيرٌ من بيانـاتها قاصـرةٌ ومضلِّلة ، لا تعطي الغرَض المقصودَ منها .

إن بضاعةَ فهـرسة المخطوطات العـربية بضاعةٌ نـادرةٌ وصعبة ، وتحتاجُ إلى شغفٍ بها ، وصبر وأنـاة ، وثقافة تراثية واسعة ، وخبرة طـويلة . ويتجسَّم حلُّ هذه الإشـكالية في مشـروع قـومي كبيـر ، ذي خطـةٍ مكثفة ، تُحْشَـدُ لـه الإمكـانـات المطلوبة ، لتربية رعيلٍ عربي متسعٍ ، يؤمن بتراثه ، مقبلٍ عليه ، يحذق العملَ فيه ، لتخرجَ هذه الألـوفُ من المخطوطاتِ إلى النور ، ويتعـرَّف المتخصصون عليها ، ويستفيدون منها .

(٤)

فهارس مكتبات لم تُفهرَس من قبل :

لم يكتفِ المعهدُ بالتعريف بالمخطوطات بنشر التقاريرِ والقوائِم ، ولا بإصدار فهارسِ مخطوطاته المصوَّرة ، بل توجّه إلى ميدانٍ ثالث أحسّ بمسؤوليته نحوه ، وهو الإعانة على فهرسةِ مكتبات لم تفهرس مخطوطاتها من قبل ، وإصدار هذه الفهارس ، وتحمّل نفقات الفهرسة والطبع . وأمامُه منها كمٌّ هائل على نحو ما أسلفنا .

والحق أن هذا التنبّه كان مبكرًا حين سافر مدير المعهد إلى مكتبة أمبروزيانا الشهيرة في مدينة ميلانو (إيطاليا) ، وفهرس منها ٢٢١ مخطوطة تنتمي بتصنيف المكتبة إلى حرف الدال . وأخرج عن المعهد هذا العمل المُنْجَز عام ١٩٦٠ ، في فهرسٍ انتفع به كثيرٌ من المتخصصين .

غير أن المستشرق الإيطالي جريفيني حين فهرس المكتبة فيما بعد وأصدر مجلداته ، استوعب هذا العمل الذي قام به الدكتور صلاح الدين المنجِّد ، وأفاد جريفيني منه فائدة كبيرة . وعلى الرغم من أن هذا العمل ظلَّ لسنين طوال وحيدًا دون أن يتكرر ، إلاّ أنه بقي محاولةً مبكرة ، بعيدةَ الهدف ، عميقةَ النظرة .

ولم يتجدد مثلُ هذا العمل إلاّ بعد خمسةٍ وعشرين عامًا ، في حقبة الكويت. فحين توفر المال مع الهمَّة والعزم ، تمكن المعهد من إصدار سبعة فهارس شملت مكتباتٍ في فرنسا وتركيا والمغرب والعراق والسعودية وسورية ، على نحو ما يفصِّل ذلك اللَّحَقُ الرابع في ذيل هذا المبحث .

وظلَّ هـذا المشروعُ مـدرجًا من بين مشـروعات المعهـد ، حين عودتـه إلى القاهرة ، فأصدر - تنفيذًا له - فهرسَ مخطوطات جامعة الإسكندرية في جزءين ، صدر الأول منهما سنة ١٩٩٤ ، والثاني سنة ١٩٩٥ .

ويُؤخذ على هـذه الفهارس أنها غيرُ موحَّـدة المنهج ، وليست على طريقة واحـدة ، وهي متأثرة بـالمفهـرس الذي قـام بـالعمل ، وهـو من خارج المعهـد ، وغالبهم ليس له دراية أو خبرة كافيـة به . وينبغي أن يخرج هذا العمل موحَّدًا على طريقة المعهد في الفهرسة التي سلكها في فهارسه في سنواته الأخيرة .

ونرجو أن يبقى هـذا المشروع متكررًا ، فالمكتبات التي تحتـاج إلى فهرسة - دون إمكانـات لديهـا - كثيرةٌ ومنتظِرة . بل نأمل أن يُتـوسَّعَ فيه ، ليعـرِّفَ المعهدُ بمخطوطات جديدة مجهولةٍ لدينا .

(٥)

خاتمـــة :

إنَّ جهدَ المعهد الذي بُذل في ميدان التعـريف بالمخطوطات لجهدٌ طيب ، كما تـوضِّحُ الألحاقُ الأربعة المُرفَقـة . ولكنه جهدٌ لا يتنـاسب مع عدد السنين ، ولا مع إمكانات أصحاب هذا المعهد القومي .

إنـني لم أقصـد بنقـدي هـذا إلاّ البنـاء ، فالمعهـد بيـتي ، والبيتُ عـريق ، لا يحتـاج إلاّ إلى تطويـرٍ وتنمية . وأعلم أن المشـرفين على المعهـد يريـدون أن يَســمَعوا ويُسمِعـوا أوجـهَ القصور ، قبـل سماع المُنجَـزات ، بهـدف الإصـلاح والتوسُّع ، خاصةً ونحن على مشارفِ قرنٍ جديد .

وهذا هو الذي حداني أن أقول الحقيقةَ . آخـذًا بالجزء الأخير من قول هنري

مونترلـون ، الكاتب المسرحي الفرنسي ، وهـو : « لقد نظّمْتُ حياتي ، فخصَّصتُ شبابي للحب ، ورجولتي للكتابة ، وشيخوختي لأقولَ الحقيقة » .

إنّ الصورةَ المأمـولةَ لهذا المعهـد ، أن يتحول – في وقتٍ غيـرِ بعيد – إلى معهدٍ فيه من النشـاط والإنتاج المتنوع ما يساوي نشاط خـلايا النحل ، في مجال التعريف بالمخطوطات ، وغيره من المجـالات ، ليخرج إلينا تراثُنا مصفّىً مما فيه من شوائب ، ملتحمًا بميادين العلم الحديث .

***

وبعيـدًا ، في الـوقت الحـاضر ، عن هــذه الصورة المُثلى المـرجـوَّة لهـذا المعهد ، فإن أمـورًا يمكن أن يتوجَّـهَ إليها ، ويقومَ بتنفيـذها في المـدىٰ القريب ، بنفقات يقدر عليها ، من مثل ما يلي :

١ – وضع خِطَّة عـاجلة مـدروسة ، وبـذل نشاط مكثف متـوالٍ ، للحصول علىٰ تقاريـر وقوائم للمخطـوطات في المكتبـات العامة والخـاصة ، ونشـرها في أجـزاء المجلة ، فـلا يخلو جـزء منها من عملين على أقل تقـدير ، لأن مثل هـذه الأعمال هي من الأهداف الأساسيـة الأولى للمجلة ؛ فضلاً عن أن هذا يُعين على مسح المخطـوطات العربيـة الموزَّعـة في أنحاء شتىٰ من العـالم ، ويساعـد على كشف أعدادها ، ومعرفة مقتنياتها ونفائسها .

٢ – الاهتمام بـوضع مشروع فـي أول ميزانية مقبلـة يكلَّف فيه خبيـر لجمع أسمـاء جميع المكتبات التي تحتـوي على مخطـوطات عـربية ، وبيـان أماكنهـا وعناوينهـا ، وعدد مخطوطـاتها ، وذكر فهـارسها المطبوعـة ، وكم وُصف فيها من المخطوطـات عددًا . على أن يُطبع هـذا العمل وينشر ، ثم يجـدَّد بعد كلّ بضع سنوات فـى طبعات أخـرىٰ مزيـدة ومنقحة . وبهـذا يكون لـدىٰ المعهد مـا يشبه الخريطة المفصَّلة الشاملة المتجدِّدة لأماكن المخطوطات وأعدادها .

٣ - عقد ندوة مصغَّـرة (لجنة) من متخصصين وخبراء لوضع منهـج موحَّد لفهرسة المخطوطـات العربية ، فهرسة وصفية ، بعيـدًا عن منهج القوائم القاصرة ، وعن الفهرسة التحليلية ، وتصميم بطاقة نموذجيـة موحَّدة يتبنَّاها المعهد ويقدمها إلى جميع المراكـز والمفهرسين في العالم ، لاتباع طـريقتها ، أو - على الأقل - للاستئناس بها والأخذ بمنهجها .

٤ - الاهتمام بالعودة إلى عقد الدورات التـدريبية لشؤون المخطوطات في الفهـرسة وغيـرهـا ، وجعلها متكـررة في كلّ عـام ، مع ضـرورة الالتزام ، وعـدم التهاون ، في وضع شـروط للمرشحين من الدول العربية ، ليكـونوا من المشتغلين بالمخطوطات حين يأتون للمشاركة في الدورة ، وحين يعودون إلى بلادهم .

* * *

اللّحَق الأول
تقارير عن المخطوطات العربية وقوائم نُشرت في مجلة المعهد

*** إصدار القاهرة :**

١ - مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق ، عمر رضا كحّالة (مدير الدار) ، مج ١ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٥ ، ص ٥ - ٧ .

٢ - المخطوطات وخزائنها في حلب ، د. محمد أسعد طلَس ، مج ١ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٥ ، ص ٨ - ٣٦ .

٣ - مخطوطات مكتبة المتحف العراقي ببغداد ، كوركيس عَوّاد (مدير المكتبة) ، مج ١ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٥ ، ص ٣٧ - ٤٨ .

٤ - مجموعة المخطوطات العربية في جامعة بيروت الأمريكية ، د. نبيه أمين فارس ، مج ١ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٥ ، ص ٤٩ - ٥٠ .

٥ - المخطوطات العربية في دار الكتب اللبنانية ، نور الدين بيهم (أمين الدار) ، مج ١ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٥ ، ص ٥١ - ٥٣

٦ - مخطوطات المكتبة العامة برباط الفتح بالمغرب الأقصى ، ي. س. علوش (محافظ القسم العربي بالمكتبة) ، مج ١ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٥ ، ص ٥٤ - ٥٥ .

٧ - المخطوطات في المكتبة الأزهرية ، أبو الوفاء المراغي (مدير المكتبة) ، مج ١ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٥ ، ص ٥٦- ٦١ .

٨ - مخطوطات دار الكتب المصرية ، فؤاد سيِّد (أمين المخطوطات بالدار) ، مج ١ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٥، ٦٢ - ٦٧ .

٩ - المخطوطات في المكتبة البلدية بالإسكندرية ، إبراهيم الشندي (مدير المكتبة) ، مج١ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٥ ، ص ٦٨ - ٦٩ .

١٠ - مخطوطات المكتبة الأحمدية بطنطا ، أحمد محمد الخطيب (أمين المكتبة) ، مج ١ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٥ ، ص ٧٠ .

١١ - المخطوطات في معهد دمياط الديني ، عبد الرحمن جلال (شيخ المعهد) ، مج ١ ، ج١ ، مايو ١٩٥٥ ، ص ٧١ .

١٢ - المخطوطات في دار الكتب بطنطا ، مدير البلدية في طنطا ، مج ١ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٥ ، ص ٧١.

١٣ - مخطوطات مكتبات البصرة - العراق ، كوركيس عَوَّاد ، مج ١ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٥٥ ، ص ١٦٣ - ١٦٩ .

١٤ - المخطوطات العربية في تطوان ، عبد الله كنون (وزير العدل في المغرب الأقصى) ، مج ١ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٥٥ ، ص ١٧٠ - ١٨٩ .

١٥ - المخطوطات في مكتبة سوهاج ، رشاد عبد المطلب (بالمعهد) ، تقرير عام ١٩٤٨ ، مج ١ ، ج ٢، نوفمبر ١٩٥٥ ، ص ١٩٠ -١٩٣ .

١٦ - مخطوطات اليمن ، فؤاد سيِّد (أمين مخطوطات دار الكتب المصرية) ، اهتم فيه أيضًا بالمكتبات الخاصة ، مج ١ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٥٥ ، ص ١٩٤ - ٢١٤ .

١٧ - المخطوطات العربية في أفغانستان ، للأب دي بور كوي ، مج ٢ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٦ ، ص ٣ - ٣٣ .

١٨ - المخطوطات العربية في باريس ، د. محمد حميد الله ، مج ٢ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٥٦ ، ص ٢٣٩ - ٢٤٥ .

١٩ - المخطوطات وخزائنها في حلب (٢ - الخزائن الخاصة) ، د. محمد أسعد طَلَس ، مج ٢ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٥٦ ، ص ٢٤٦ - ٢٦٣ .

٢٠ - قائمة مخطوطات دار الكتب بشبين الكوم ، عبد الرحمن عبد التواب ، مج ٢ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٥٦ ، ص ٢٦٤ - ٢٨٥ .

٢١ - نفائس المخطوطات العربية في إيران ، د. حسين علي محفوظ ، مج ٣ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٧ ، ص ٣ - ٧٨.

٢٢ - قائمة مخطوطات دار الكتب بالزقازيق ، عبد الرحمن عبد التواب ، مج ٣ ، ج١ ، مايو ١٩٥٧ ، ص ٧٩ - ١٠٤ .

٢٣ - نوادر المخطوطات في مكتبة طلعت بدار الكتب المصرية ، فؤاد سيِّد ، مج ٣ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٥٧ ، ص ١٩٧ - ٢٣٦ .

٢٤ - قائمة مخطوطات دار الكتب البلدية بطنطا ، عبد الرحمن عبد التواب ، مج ٣ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٥٧ ، ص ٢٣٧ - ٢٦٥ .

٢٥ - المخطوطات العربية في مكتبات الأناضول ، أحمد آتش ، مج ٤ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٨ ، ص ٣ - ٤٢.

٢٦ - المخطوطات العربية في العراق ، د. حسين علي محفوظ ، مج ٤ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٥٨ ، ص ١٩٥ - ٢٥٨ .

٢٧ - قائمة مخطوطات دار الكتب بالمنصورة ، عبد الرحمن عبد التواب ، مج ٤ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٥٨ ، ص ٢٥٩ - ٣٠٠ .

٢٨ - خزانة القرويين ونوادرها ، العابد الفاسي (مدير الخزانة) ، مج ٥ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٩ ، ص ٣ - ١٦ .

٢٩ - المخطوطات العربية في بولونيا ، للمستشرق البولوني كوبياك ، مج ٥ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٩ ، ص ١٧ - ٢٢ .

٣٠ - فهرس الخزانة الغروية بالنجف (في مشهد الإمام على بن أبي طالب) ، مج ٥ ، ج ١ ، مايو ١٩٥٩ ، ص ٢٣ - ٣٠ .

٣١ - نوادر المخطوطات في المغرب ، صلاح الدين المنجد ، مج ٥، ج ١ ، مايو ١٩٥٩ ، ص ١٦١ - ١٩٤ .

٣٢ - نوادر مخطوطات الخزائن الخاص بدمشق ، تقرير عام ١٩٤٧ ، مج ٥ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٥٩ ، ص ٢١١ - ٢٢٤ .

٣٣ - المخطوطات العربية في ألمانيا ، وما نشر منها في السنوات الأخيرة ، هـ. ر. رومر ، مج ٥ ، ج ٢ ، ١٩٥٩ ، ص ٢٢٥ - ٢٢٨ .

٣٤ - المخطوطات العربية في تشكوسلوفاكيا ،د. كارل بتراشك ، مج ٦ ، ج ١ ، مايو ١٩٦٠ ، ص ٣ - ١٤ .

٣٥ - خزانة الدكتور حسين علي محفوظ بالكاظمية (في العراق) ، د. حسين علي محفوظ ، مج ٦ ، ج ١ ، مايو ١٩٦٠ ، ص ١٥ - ٥٨ .

٣٦ - مخطوطات مكتبة روضة خيري [باشا] (١) ، عبد السلام محمد النجار ، مج ٦ ، ج ١ ، مايو ١٩٦٠ ، ص ٥٩ - ٦٦ .

٣٧ - نوادر المخطوطات في مكتبة مَلِك بطهران ، د. صلاح الدين المنجد ، مج ٦ ، ج ١ ، مايو ١٩٦٠ ، ص ٦٧ - ٧٦ .

٣٨ - تقرير : زيارة مدير معهد المخطوطات للاتحاد السوفيتي ، مج ٦ ، ج ٢، نوفمبر ١٩٦٠ ، ص ٣١٩ - ٣٢٤ .

٣٩ - مخطوطات الدكتور مهدي بياني في طهران ،د. حسين علي محفوظ ، مج ٧ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٦١ ، ص ٣ - ٦ .

٤٠ - بعض مخطوطات مكتبة روضة خيري باشا (٢) ، عبد السلام محمد النجار ، مج ٧ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٦١ ، ص ٧ - ١٤ .
٤١ - المخطوطات الغربية في دار الكتب القطرية (١) ، عبد البديع صقر ، ومحمد مصطفى الأعظمي ، مج ٩ ، ج ١ ، مايو ١٩٦٣ ، ص ٣ - ٤٦ .
٤٢ - خزانة سعيد الديوه جي (مدير متحف الموصل) ، مج ٩ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٦٣ ، ص ٢٠٣ - ٢٣٠ .
٤٣ - مخطوطات مكتبة روضة خيري باشا (٣) ، عبد السلام محمد النجار ، مج ٩ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٦٣ ، ص ٢٣١ - ٢٤٢ .
٤٤ - المخطوطات العربية في دار الكتب القطرية (٢) ، عبد البديع صقر ، ومحمد مصطفى الأعظمي ، مج ١٠ ، ج ١ ، مايو ١٩٦٤ ، ص ٣ - ٣٦ .
٤٥ - مخطوطات دار الكتب القطرية (٣) ، عبد البديع صقر ، ومحمد مصطفى الأعظمي ، مج ١٠ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٦٤ ، ص ١٩٥ - ٢٢٢ .
٤٦ - المخطوطات العربية في يوغسلافيا ، د. حسن قلشي ، مج ١٢ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٦٦ ، ص ٣ - ٢٠ .
٤٧ - الدكتور داود الجلبي : حياته ومخطوطات خزانته ، د. فيصل دبدوب ، مج ١٣ ، ج ١ ، مايو ١٩٦٧ ، ص ٣ - ٤٠ .
٤٨ - فهرس المخطوطات العربية في الخزانة الطلسية (١) ، د. محمد أسعد طَلَس ، مج ١٥ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٦٩ ، ص ٢٢٧ - ٢٦٨ .
٤٩ - فهرس المخطوطات العربية في الخزانة الطلسية (٢) ، د. محمد أسعد طَلَس ، مج ١٧ ، ج ١ ، مايو ١٩٧١ ، ص ٣ - ٤٢ .
٥٠ - المكتبة التونسية وعنايتها بالمخطوط العربي ، محمد عبد القادر أحمد ، مج ١٧ ، ج ١ ، مايو ١٩٧١ ، ص ١٧٩ - ١٨٧ .
٥١ - المخطوطات الجغرافية في المتحف البريطاني ، عبد الله يوسف الغنيم ، مج ١٧ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٧١ ، ص ١٩٩ - ٢٣٤ .
٥٢ - نفائس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية في تونس (١) ، هلال ناجي ، مج ١٨ ، ج ١ ، مايو ١٩٧٢ ، ص ٣ - ٨١ .
٥٣ - المكتبة الجزائرية وعنايتها بالكتاب العربي المخطوط ، د. محمد عبد القادر أحمد ، مج ١٨ ، ج ١ ، مايو ١٩٧٢ ، ص ١٨٩ - ٢٠٤ .

٥٤ - نفائس المخطوطات العربية في المكتبة الوطنية في تونس (٢) ، هلال ناجي ، مج ١٨ ، ج ٢، نوفمبر ١٩٧٢ ، ص ٢٠٩ - ٢٤٨ .
٥٥ - المخطوطات العربية في الخزانة الطلسية (٣) ، د. محمد أسعد طَلَس ، مج ١٨ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٧٢ ، ص ٢٤٩- ٢٥٤ .
٥٦ - مخطوطات مكتبة المؤرخ محمد بن محمد زبارة بصنعاء (١) ، عبد الله محمد الحبشي ، مج ١٩ ، ج ١ ، مايو ١٩٧٣ ، ص ٣ - ٢٠ .
٥٧ - عناية معهد الأبحاث الإسلامية (باكستان) بالمخطوطات العربية ، أحمد فاروق ، مج ١٩ ، ج ١ ، مايو ١٩٧٣ ، ص ١٤٣ - ١٥٦ .
٥٨ - مؤلفات ابن سينا المخطوطة في تركيا ، مقداد يالجن ، مج ١٩ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٧٣ ، ص ٢٢٧ - ٢٨٧ .
٥٩ - التُّحَف من مخطوطات النجف ، محمد حسين الحسيني الجلالي ، مج ٢٠ ، ج ١ ، مايو ١٩٧٤ ، ص ٣ - ٤٩ .
٦٠ - المراحل التنفيذية لمشروع تجميع التراث اليمني ، محمد عبد العال أحمد ، مج ٢٠ ، ج ١ ، مايو ١٩٧٤ ، ص ١٦٧ - ١٨٠ .
٦١ - تقرير عن مهمة استطلاع المخطوطات في الجمهورية العربية الليبية ، محمد مرسي الخولي ، مج ٢٠ ، ج ١ ، مايو ١٩٧٤ ، ص ١٨١ - ١٨٩ .
٦٢ - مخطوطات مكتبة المؤرخ محمد بن محمد زبارة بصنعاء (٢) ، عبد الله محمد الحبشي ، مج ٢٠ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٧٤ ، ص ٣ - ١٦ .
٦٣ - نفائس المخطوطات في المكتبة الوطنية في تونس (٣) ، هلال ناجي ، مج ٢١، ج ١ ، مايو ١٩٧٥ ، ص ٥ - ٢٨ .
٦٤ - بعثة معهد المخطوطات العربية إلى الاتحاد السوفيتي - للكشف عن المخطوطات ، والتعرف عليها ، وتبادل المعلومات والمصوَّرات ، مج ٢٣ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٧٧ ، ص ١٣٥ - ١٤٠ .
٦٥ - المخطوطات العربية في سلطنة عُمَان (جمع وإحياء التراث القومي المخطوط) ، محمد سعيد ناصر الوهيبي (مدير دائرة المخطوطات والمؤلفات العمانية) ، مج ٢٤ ، ج ١ ، مايو ١٩٧٨ ، ص ٣ - ٢٤ .
٦٦ - المخطوطات العربية في مكتبة العلاّمة محمد بن محمد بن إسماعيل المنصور في صنعاء ، عبد الله محمد الحبشي ، مج ٢٤ ، ج ١ ، مايو ١٩٧٨ ، ص ٢٥ - ٤٠ .

٦٧ - تقرير عن اجتماع الخبراء لدراسة أوضاع المخطوطات العربية في أفريقيا ، قاسم الخطاط ، مج ٢٤ ، ج ١ ، مايو ١٩٧٨ ، ص ١٤٣ - ١٦٢ .

٦٨ - لمحة عن المخطوطات العربية السنغالية ، في جامعة دكار ، مصطفى انجاي ، مج ٢٤ ، ج ١ ، مايو ١٩٧٨ ، ص ١٦٣ - ١٧٤ .

٦٩ - دراسة عن وضع المخطوطات العربية في جمهورية مالي ، د. محمود زبير (مدير مركز أحمد بابا للتوثيق - تمبكتو) ، مج ٢٤ ، ج ١ ،مايو ١٩٧٨ ، ص ٢٠٣ - ٢٠٧ .

٧٠ - بعض المخطوطات الموجودة في مكتبة الدكتور فريد حداد ، في بيروت ، مج ٢٥ ، الجزءان معًا ، ١٩٧٩ ، ص ٣ - ١٢ .

٧١ - بعض المخطوطات العربية في دار الكتب اليمنية بصنعاء ، زيد عنان (مدير عام دور الكتب) ، مج ٢٥ ، الجزءان معًا ، ١٩٧٩ ، ص ١٣ - ٢٧ .

٧٢ - تطور فهرسة المخطوطات في العراق ، كوركيس عَوّاد ، مج ٢٦ ، ج ١ ، مايو ١٩٨٠ ، ص ٣ - ٥٠ .

٧٣ - بعض مخطوطات مكتبة الأوقاف ، بطرابلس ، ليبيا ، د. محمد مرسي الخولي ، مج ٢٦ ، ج ٢ ، نوفمبر ١٩٨٠ ، ص ٣ - ١١ .

* إصدار الكويت :

٧٤ - حول المخطوطات العربية في جنوب يوغسلافيا ، د. محمد موفاكو ، مج ٢٦ ، ج ٢، يوليو ١٩٨٢ ، ص ٥٤١ - ٥٥٤ .

٧٥ - التراث العربي في المكتبة الوطنية بباريس ، د. محمد زهير البابا ، مج ٢٦ ، ج ٢ ، يوليو ١٩٨٢ ، ص ٦٤٥ - ٦٦٣ .

٧٦ - المخطوطات اليمانية في مكتبة علي أميري - ملّت ، باستانبول ، د. محمد عيسى صالحية ، مج ٢٦ ، ج ٢ ، يوليو ١٩٨٢ ، ص ٦٦٥ - ٧٢٣ .

٧٧ - المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة جامعة يوتا الأمريكية ، عبد الجبار عبد الرحمن (جامعة البصرة) ، مج ٢٧ ، ج ١ ، يناير ١٩٨٣ ، ص ٢٢٥ - ٢٤٤ .

٧٨ - المخطوطات العربية في خزائن كربلاء ، سلمان هادي الطعمة ، مج ٢٧ ، ج ٢ ، يوليو ١٩٨٣ ، ص ٥٤٧ - ٥٩٦ .

٧٩ - فهرسة مخطوطات مكتبة القاضي عبد الرحمن علي شيبان الخاصة ، النماص (السعودية) ، مج ٢٧ ، ج ٢ ، يوليو ١٩٨٣ ، ص ٥٩٧ - ٦٠٥ .

٨٠ - مخطوطات الظاء والضاد في مكتبة المتحف العراقي ببغداد ، د. طه محسن ، مج ٢٨ ، ج ١ ، يناير ١٩٨٤ ، ص ٢٩١ - ٣١٠.

٨١ - نوادر المخطوطات العربية (مذكرات عبد العزيز الميمني الراجكوتي) ، د. شاكر الفحام ، مج ٢٩ ، ج ١ ، يناير ١٩٨٥ ، ص ٦٧ - ١٢٥ .

٨٢ - المخطوطات الطبية والعلمية العربية في مكتبة وِلْكَمْ ، د. داود مزبان الثامري (كلية طب بغداد) ، مج ٣٢ ، ج ١ ، يناير ١٩٨٨ ، ص ٩ - ٣٢.

*** إصدار القاهرة :**

٨٣ - مراكز المخطوطات في الجزائر : أماكنها ومحتوياتها ، د. عبد الكريم عوفي ، مج ٣٩ ، ج ١ ، يوليو ١٩٩٥ ، ص ٧ - ٢٤ .

٨٤ - فهرس نظارة الشؤون الدينية بباتنة - الجزائر ، د. عبد الكريم عوفي ، مج ٣٩ ، ج ٢ ، يناير ١٩٩٦ ، ص ٧ - ٥٦ .

* * *

اللَّحَق الثاني
تقارير عن المخطوطات العربية
نُشرت منفردة في كُتيِّبات

*** إصدار الكويت :**

١ - المخطوطات العربية في يوغسلافيا ، عصام محمد الشَّنْطي ، ١٩٨٥ - (٤٠ ص ، قطع صغير) .

٢ - المخطوطات العربية في الهند ، عصام محمد الشَّنْطي ، ١٩٨٥ - (٤٨ ص ، قطع صغير) .

٣ - المخطوطات العربية في نيجيريا الاتحادية ، الطيب عبد الرحيم محمد ، ١٩٨٥ - (٧٥ ص ، قطع صغير) .

* * *

اللّحَق الثالث

فهارس مخطوطات المعهد المصوَّرة (1)

*** إصدار القاهرة :**

- **الفهرس التمهيدي :** في العلوم والآداب والفنون ، طبع على الآلة الكاتبة ، أكتوبر (تشرين أول) ، ١٩٤٨ - (٥٧٠ ص ، قطع كبير) .

- **الجزء الأول :** في علوم الدين ، وعلوم اللغة العربية ، والأدب ، والسياسة والاجتماع ، والجغرافيا والبلدان ، فؤاد سيد (بدار الكتب المصرية) ، ومحمد بن تاويت الطنجي (المغرب) ، ١٩٥٤ - (٥٦٩ ص ، قطع كبير) .
الأدب ، القسم الثاني (أ - خ) ، ١٩٧٩ - (٣٣٣ ص ، قطع متوسط) .
القسم الثالث (د - ذ) ، ١٩٨٠ - (٣١٠ ص ، قطع متوسط) .

- **الجزء الثاني : التاريخ :**
القسم الأول : د. لطفي عبد البديع ، ١٩٥٦ - (٣٠٦ ص ، قطع متوسط) .
القسم الثاني : فؤاد سيد ، ١٩٥٧ - (١٩٢ ص ، قطع متوسط) .
القسم الثالث : فؤاد سيد ، ١٩٥٩ - (٣٥٩ ص ، قطع متوسط) .
القسم الرابع : ١٩٧٠ - (٥٢٨ ص ، قطع متوسط) .

- **الجزء الثالث : العلوم :**
القسم الأول : الفلك - التنجيم - الميقات ، باوْل كوْنِيتْش ، ١٩٥٨ - (١١٦ ص ، قطع متوسط) .
القسم الثاني : الطب (الكتاب الأول) ، إبراهيم شَبُّوح ، ١٩٥٩ - (٢١٢ ص ، قطع متوسط) .
(الكتاب الثاني) ، ١٩٧٨ - (٣١١ ص ، قطع متوسط) .

---

(١) عِدَّتُها تسعةَ عشرَ جزءًا .

القسم الثالث : الرياضيات (الحساب - الجبر والمقابلة - الهندسة)، ١٩٦٠ - (١٠٦ ص ، قطع متوسط) .

القسم الرابع : الكيمياء والطبيعيات ، فؤاد سيد ، ١٩٦٣ - (٢٢٤ ص ، قطع متوسط).

- **الجزء الرابع** : المعارف العامة والفنون المتنوعة - فؤاد سيد ، ١٩٦٤ - (٢١١ ص ، قطع متوسط) .

*** إصدار الكويت :**

- سيرة نبوية ، تاريخ ، تراجم ، الجزء الأول ، ١٩٨٤ - (٤٣٦ ص، قطع متوسط) .
- الأدب ، الجزء الأول ، عصام محمد الشَّنْطِي ، ١٩٨٦ - (٣٨٨ ص ، قطع متوسط) .
- الفقه وأصوله ، الجزء الأول ، عبد الحفيظ منصور ، وعباس عبد الله كُنَّة ، ١٩٨٦ - (٥٣٨ ص ، قطع متوسط) .

*** إصدار القاهرة :**

- **الجزء الأول** : الأدب ، القسم الرابع (ر - ش) ، عصام محمد الشَّنْطِي ، ١٩٩٤ - (٢٤٤ ص ، قطع متوسط) .

القسم الخامس (ص - مج) ، عصام محمد الشَّنْطِي ، ١٩٩٥ - (٢٣٠ ص ، قطع متوسط) .

* * *

المُلحَق الرابع

فهارس مكتبات لم تُفهرَس من قبل

*** إصدار القاهرة :**

١ - فهرس المخطوطات العربية في الأمبروزيانا بميلانو(إيطاليا) ، الجزء الثاني - القسم الأول ، حرف د ، من رقم ٢٢٠ - ٤٤٠ ، د. صلاح الدين المنجد ، ١٩٦٠ - (١٤٦ ص ، قطع متوسط) .

*** إصدار الكويت :**

٢ - فهرس المخطوطات العربية في مكتبة ستراسبورغ الوطنية والجامعية (فرنسا) ، د. نزيه كسيبي ، ١٩٨٥ - (٢٠٤ ص ، قطع متوسط) .

٣ - فهرس الخزانة العلمية الصبيحية ، في سَلاَ (المغرب) ، د. محمد حجي ، ١٩٨٥ - (٧٢٤ ص ، قطع متوسط) .

٤ - مجموعات مخطوطة في مكتبات استانبول ، د. طه محسن ، ١٩٨٥ - (١٨٦ ص ، قطع متوسط) .

٥ - فهرس مخطوطات مكتبة السيد محمد باقر الطباطبائي في كربلاء (العراق) ، سلمان هادي الطعمة ، ١٩٨٥ - (٢٨٨ ص ، قطع متوسط) .

٦ - فهرس مخطوطات المتحف العراقي ببغداد ، الأدب ، أسامة النقشبندي ، وظمياء عباس ، ١٩٨٥ - (٧٨٤ ص ، قطع متوسط) .

٧ - فهرس المخطوطات العربية بمكتبة عبد الله بن العباس بالطائف (السعودية) ، عثمان محمود حسين ، ١٩٨٦ - (٤٤٦ ص ، قطع متوسط) .

٨ - فهرس مجاميع المدرسة العمرية في دار الكتب الظاهرية بدمشق ، ياسين محمد السَّوَّاس ، ١٩٨٧ - (٩٢٦ ص ، قطع متوسط) .

* **إصدار القاهرة :**

٩ - فهرس مخطوطات جامعة الإسكندرية ، د. يوسف زيدان ،

الجزء الأول (أ - س) ، ١٩٩٤ - (٤٢٢ ص ، قطع متوسط) .

الجزء الثاني (ش - و) ، ١٩٩٥ - (٤٣٤ ص ، قطع متوسط) .

* * *

قضية إحياء المخطوطات :

منهج المعهد في نشر التراث

د. رمضان عبد التواب(*)

نشطت حركة تحقيق المخطوطات ونشرها ، منذ أوائل القرن الحالي ، نشاطًا كبيرًا ملحوظًا وأسهمت فيه المؤسسات الحكومية ، ودور النشر الخاصة ، فقدم لنا القسم الأدبي بدار الكتب المصرية ، مجموعة كبيرة من الكتب الضخمة، محققة تحقيقًا جيدًا ، كالأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ونهاية الأرب للنويري ، وصبح الأعشى للقلقشندي ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ، وأمالي القالي ، ومعاني القرآن للفراء ، وتهذيب اللغة للأزهري، والمعرّب للجواليقي، وديوان جران العَوْد ، وديوان الهذليين ، وديوان زهير بن أبي سلمى ، وديوان كعب بن زهير ، وإنباه الرواة للقفطي ، والخصائص لابن جني ، والأصنام لابن الكلبي ، وغيرها .

كما أصدر مركز تحقيق المخطوطات بدار الكتب المصرية ، منذ إنشائه في أواخر الستينيات ، مجموعة أخرى من الكتب المحققة ، كالمذكر والمؤنث للمبرد ، والبلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث لابن الأنباري ، ونثر الدر للآبي ، وشرح السيرافي على كتاب سيبويه ، وتذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه للحسن ابن عمر بن حبيب ، والمنهل الصافي لابن تغري بردي ، ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية .

(*) العميد السابق لكلية الآداب بجامعة عين شمس .

وكذلك أسهم مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، بعدد غير قليل من الكتب المحققة ، كالجيم لأبي عمرو الشيباني ، والتكملة للصاغاني ، والأفعال للسرقسطي ، وديوان الأدب للفارابي ، وحواشي ابن برّي على الصحاح ، وغيرها .

وقد حذت المجامع اللغوية الأخرى في الوطن العربي ، حذو المجمع القاهري في تحقيق المخطوطات ونشرها ، فمن ذلك ما صنعه مجمع اللغة العربية بدمشق ، الذي أصدر تحقيقات كثيرة منها : الإبدال ، والاتباع ، والمثنى ، الثلاثة لأبي الطيب اللغوي ، وكذلك إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ، ونصرة الثائر على المثل السائر للصفدي ، والأمثال لأبي عكرمة الضبي ، والنوادر لأبي مسحل الأعرابي ، وشرح أبيات سيبويه لابن السيرافي ، وغيرها .

كما أسهمت دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن بالهند في هذا الميدان كذلك ، بتحقيق : المعاني الكبير لابن قتيبة ، والأنواء ؛ له ، والاقتراح للسيوطي ، وجمهرة اللغة لابن دريد ، والأزمنة والأمكنة للمرزوقي، والأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ، وأمالي ابن الشجري ، وأمالي اليزيدي ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ، والخيل لأبي عبيدة ، وغريب الحديث لأبي عبيد ، والمستقصي في الأمثال للزمخشري ، والحماسة البصرية ، والجماهر للبيروني ، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر ، وغيرها .

كما شاركت سلسلة جب التذكارية بلندن ، في إحياء التراث العربي ونشر المخطوطات ، فأخرجت إرشاد الأريب لياقوت الحموي ، ورحلة ابن جبير ، وديوان الطرماح ، وديوان طفيل الغنوي ، وديوان عامر بن الطفيل ، وديوان عبيد بن الأبرص ، وديوان القطامي ، وديوان حسان بن ثابت ، وتجارب الأمم لابن مسكويه ، والأنساب للسمعاني ، وغيرها .

وكـذلك أسهمت في هـذا المجـال مطبعـة بـولاق الأميريـة ، وكـان يقـوم بالتحقيق والتصحيح فيهـا عالمـان جليلان هما : الشيخ قطـة العدوي ، والشيخ نصر الهوريني ، فأشرفا على نشر الكتب التالية وتصحيحها :

خزانة الأدب للبغدادي ، كتـاب سيبويه وعلى هامشه شرح شـواهده للأعلم الشـــنتمري ، والمخـــصص في اللغة لابـن سِيْدَه الأنـدلسي ، ولسـان العرب لابن منظور المصـري ، وجمهرة أشعار العـرب للقرشي ، والأم للإمـام الشافعي ، وصحيح البخـاري ، وكـشف الظنون ، والأمـالي لأبي علي القـالي ، وسيـرة ابن هشام ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وغيرها .

وقـد قـامت لجنـة إحياء التـراث الإسـلامي بـالمجلس الأعلى للشـــئون الإسـلامية ، منـذ منتصف هـذا القرن وإلى يـومنـا هـذا ، بتحقيق الكتب التراثيـة الضخمة على مخطـوطاتهـا المختلفة ونشرهـا . ومن بين ما أخـرجته : المقتضب للمبرد ، وسبل الهـدى والرشـاد إلى سيرة خيـر العباد للصالحـي ، والسيل الجرار للشـوكانـي ، والمعلم بفوائد مسلم للمـازري ، والـوجـوه والنظائر للـدامغـاني ، والوسيط في تفسير الكتـاب العزيز ، وتحريـر التحبير لابن أبي الأصبع ، والمنازل والـديـار لأسامـة بن منقـذ ، وبصـائر ذوى التمييـز في لطـائف الكتاب العـزيـز للفيروزآبادي ، وموطأ الإمام مالك ، والموجز في الطب لابن النفيس ، والمحتسب لابن جني ، والمذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري ، وغيرها .

وقد أسهمت المكتبات الخاصـة بنصيب غير قليل في طبع الكتب المحققة ونشرها ، مثل مكتبـة الخانجي في تاريخها الطويل ، من أيـام الجد محمد أمين ، والابن محمـد نجيب ، والحفيـد محمـد أمين ، وكذلـك مكتبة التـراث ، ومكتبـة وهبة ، ومكتبة المثنى ، وغيرها .

فممـا نشـرته مكتبـة الخـانجي محققًـا في الـزمان القـديم : تـاريخ بغـداد

للخطيب البغدادي ، وهمع الهوامع للسيوطي ، والدرر اللوامع للشنقيطي ، وشرح شواهد المغني للسيوطي ، وحلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني ، ومجاز القرآن لأبي عبيدة ، وفقه اللغة للثعالبي ، والمزهر في علوم اللغة وأنواعها .

ومما نشرته في أيام الحفيد : ديوان حاتم الطائي ، وشعر الأحوص الأنصاري ، والممدود والمقصور للوشاء ، وماتلحن فيه العامة للكسائي ، وثلاثة كتب في الحروف للخليل وابن السكيت والرازي ، والفرق لابن فارس ، وكتاب الشعر لأبي على الفارسي ، وأمالي ابن الشجري ، ومعاني القرآن للأخفش ، والاشتقاق للأصمعي ، وسر الفصاحة لابن سنان ، وقواعد الشعر لأبي العباس ثعلب ، والأفعال لابن القوطية ، وما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج ، وغيرها .

وقد شارك معهد المخطوطات ، التابع لجامعة الدول العربية ، في إحياء الكثير من المخطوطات العربية ونشرها ، إذ أخرج في مقره بالقاهرة والكويت والقاهرة مرة أخرى (١٠١) مائة نص ونص ، منها (٢٧) سبعة وعشرون كتابًا مستقلاً والباقي وهو (٧٧) سبعة وسبعون نصًا ، تضمنته المجلة ، التي بدأت في عام ١٩٥٥ إلى عامنا هذا .

أما الكتب المستقلة ، فقد تنوعت موضوعاتها تنوعًا كبيرًا ، ففي اللغة (٦) ستة كتب هي : صفة السرج واللجام لابن دريد ، وغوامض الصحاح للصفدي ، ومجمل اللغة لابن فارس ، وخلق الإنسان لأبي محمد الحسن بن أحمد ، وتفسير رسالة أدب الكاتب للزجاجي ، والمحكم والمحيط الأعظم في اللغة لابن سِيْدَه الأندلسي . وهذا الكتاب الأخير صدرت منه الأجزاء السبعة الأولى فقط ، وتوقف صدوره منذ سنة ١٩٧٣ . ولعل معهد المخطوطات يفكر في طبع هذه الأجزاء مرة أخرى ، ويستكمل بقية الأجزاء تحقيقًا ونشرًا .

أما الشعر ومعانيه ، فقد نشر المعهد (٥) خمسة كتب في هذا الميدان هي : ديـوان المثقب العبـدي ، وديوان المتلمس الضبعـي ، وديوان عمـرو بن قميئـة ، وشعـر تغلب في الجـاهليـة ، وإصـلاح مـا غلط فيـه النمـري في معـاني أبيـات الحماسـة للأسـود الغندجـاني . والدوا وين الثـلاثة الأولى جمعها حسـن كامل الصيرفي ، ونشرها في أعداد مستقلة في مجلة المعهد سنة ١٩٧٠ - ١٩٧١م .

وفي ميدان التـراجم ، ظفرت المكتبـة العربية بثـلاثة كتب هي : سيـر أعلام النبلاء للذهبي (لم يظهر منه إلا الجزء الأول للأسف) ، وذيل الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني ، والآثار الرفيعة في مآثر بني ربيعة .

وهناك كتابان في النحو ، همـا : شرح المسائل المشكلة في أول المقتضب للفـارقي ، والنكت في تفسيـر كتـاب سيبـويه لـلأعلم الشنتمـري ، وكتـابـان في القـراءات همـا : التبصـرة في القـراءات لمكي بن أبي طـالـب ، والمـوضح في التجويد لعبد الوهاب القرطبي، وكتابان في الطب، هما : كتاب القولنج للرازي ، والمنصوري في الطب للرازي كذلك .

كما نشر المعهد في الأسلحة كتـاب : الأنيق في المجانيق للزردكاش . وفي الفلسفـة كتـاب : مختصـر آداب الفـلاسفـة لمحمـد بن علي الأنصـاري . وفي الحسـاب كتاب : التكمـلة في الحسـاب لعبـد القاهـر البغـدادي ؛ وفي الأدب كتاب : مختار الأغاني في الأخبار والتهـاني لابن منظور ، ويقع في ثمانية أجزاء . وفيه من الأخبار والأشعار ما لا يوجد في الأغـاني للأصفهاني ، كما هو الحال في الجزء المخصص لأبي نـواس . وقد نفدت نسخه . ولعل المعهد يفكـر في إعادة طبعـه مرة أخـرى . وفي فقه الغـزوات نشر المعهـد كذلك كتـاب : السِّير الكبيـر للسرخسي ، وفي الرياضة كتاب : أساس القواعد في أصول الفوائد . وفي الألغاز كتاب : ديوان الألغاز لأبي العلاء المعرّي .

وتلك هي الكتب المستقلة . أما النصوص التي نشرت في مجلة المعهد ، فهي - كما سبق أن ذكرنا - (٧٧) سبعة وسبعون نصًا . منها (٦٦) ستة وستون نصًا كاملاً . والباقي (١١) أحد عشر ناقصًا ، منها على سبيل المثال : مقدمة ديوان الأدب للفارابي، ومقدمة كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي ، والرد على الزبيدي في لحن العامة من كتاب المدخل إلى تقويم اللسان لابن هشام اللخمي ، وباب ما يحتمل الشعر من كتاب : النكت في تفسير كتاب سيبويه ، للأعلم الشنتمري (وقد حقق هذا الباب الدكتور خالد عبد الكريم جمعة في العدد ٢٩/ ٢ من المجلة سنة ١٩٨٥ . ثم نشر الكتاب كاملاً ضمن مطبوعات المعهد ، بتحقيق الدكتور زهير عبد المحسن سلطان ، كما ذكرنا من قبل) .

وكثير من هذه النصوص المنشورة في المجلة ، يعتمد على مخطوطات بالفعل ، وعددها (٦٤) أربعة وستون نصًا ، منها : كتاب الثلاثة لأبي الحسين أحمد بن فارس اللغوي ، ومختصر المذكر والمؤنث للمفضل بن سلمة ، وذم الخطأ في الشعر لابن فارس اللغوي ، ولوح الضبط في علم حساب القبط لابن المغربي .

أما باقي النصوص ، وعددها (١٣) ثلاثة عشر نصا ، فهي مجموعة جمعًا من المصادر المختلفة ، ولا تعتمد على مخطوطات وصلت إلينا ، وكلها نصوص شعرية جمعها المحققون من بطون الكتب العربية . وقد سبق أن ذكرنا منها ثلاثة دواوين، استقلت بها بعض أعداد المجلة ، وهي للمثقب العبدي ، والمتلمس الضبعي ، وعمرو بن قميئة . وأما العشرة الباقية ، فهي : لمالك بن الريب ، والحسين بن مطير ، والشمردل اليربوعي ، وعبد الله بن الزِّبَعْرَىٰ ، والأشهب بن رميلة ، وعبد الله بن المبارك ، والعماني الراجز ،وأبي وجزة السعدي ، وزهير بن جناب الكلبي ، ونصوص (شعرية) من الروضة للمبرد .

وتتنوع موضوعات هذه النصوص المنشورة في المجلة تنوعًا كبيرًا على النحو التالي :

١ - الشعـــــر	١٦	٢ - اللغـة	١٣
٣ - الحساب والهندسة والمساحة	٧	٤ - النحـو	٤
٥ - الحـديث وعلـومـه	٣	٦ - الفقـه وأصـولـه	٣
٧ - التـراجم والأنساب والتـاريخ	٣	٨ - العقيدة والتصوف	٣
٩ - الاجتماع والجغـرافيا البشـرية	٣	١٠ - الكتابـة والخطوط	٣
١١ - القــراءات	٢	١٢ - مناهج تحقيق النصوص	٢
١٣ - البـلدان	٢	١٤ - التسليح والحـروب	٢
١٥ - الطــب	٢	١٦ - الكيميـاء والعقاقيـر	٢
١٧ - الصيـد والطـرد	١	١٨ - ضـرورة الشعـر	١
١٩ - الشـطرنج	١	٢٠ - الألغـــاز	١
٢١ - الفـــلك	١	٢٢ - تقسيم العلـوم	١
٢٣ - الفهـرسـة	١		

وقد تعـددت جنسيات المحققين ، فمن مصر شارك في تحقيـق بعض هذه النصوص : الـدكتور عبد الـرحمن بدوى ، والـدكتور عبد الله درويش ، والـدكتور لطفي عبد البـديع ، وحسن كامل الصيـرفي ، والدكتـور محمد بـدوى المختون ، والدكتور رمضان عبد التواب ، والدكتور أحمـد مختار عمر ، والدكتور عبد الستار الحلوجي، والدكتور محمد عبد القادر أحمد ، والدكتور عبد الفتاح السيد سليم ، وغيرهم .

ومن سـوريا : الدكتـور صلاح الـدين المنجـد ،والدكتـور عبد الإلـه نبهان ، والدكتـور محمد علي سلطـاني ، والدكتور محمـد حسن هيتو ، والأستـاذ ياسين السواس ، والـدكتور صـلاح الخيمي ، والدكتـور عبد الكـريم حبيب ، والـدكتور محمد طـاهر الحمصي ، والدكتـور عادل عطا الله الفريجـات ، والدكتور عـدنان

درويش ، والدكتور صبحي حمّامي ، والدكتور محمد زهير البابا ، والدكتور مصطفى موالدي .

ومن العراق : محمود شيت خطاب ، والدكتور نوري حمودي القيسي ، والدكتور رشيد العبيدي ، والدكتور حاتم صالح الضامن ، والدكتور يحيي الجبوري ، والدكتور سامي مكي العاني ، والدكتور مجاهد مصطفى بهجت ، والدكتور محمد جبار المعيبد ، ومحمد قاسم مصطفى ، وظمياء السامرائي ، والدكتور حازم البكري الصديقي ، والدكتور هادي حسن حمودي .

ومن الأردن : الدكتور نهاد الموسى ، والدكتور حسين عطوان ، والدكتور محيي الدين رمضان ، والدكتور ناصر الدين الأسد ، والدكتور حنا جميل حداد ، والدكتور أحمد سليم سعيدان ، والدكتور زهير عبد المحسن سلطان .

ومن المغرب : عبد القادر زمامه ، وعبد الله كنون ، والدكتور محمد حجي ، والدكتور يوسف حبي .

ومن تونس : عبد الحفيظ منصور ، والدكتور محمد سويس .

ومن الكويت : الدكتور عبد الله الغزالي ، والدكتور عبد المحسن المدعج ، والدكتور خالد عبد الكريم جمعة .

ومن فلسطين : الدكتور زيان أحمد ، والدكتور محمد عيسى صالحية .

ومن السعودية : الدكتور عياد الثبيتي ، والدكتور عبد العزيز الهلابي .

ومن اليمن : القاضي حسين بن أحمد السياغي .

ومن لبنان : الدكتور حسن علي عاصي .

ومن ليبيا : الدكتور مناف مهدى محمد .

ومن باكستان : الدكتور أحمد خان ، وغيرهم .

ولم تكن مجلة المعهد في المستوى اللائق بها ، في الإصدار الأول بالقاهرة ، لا من ناحية جودة تحقيق النصوص ، ولا من ناحية الإخراج . ثم بدأت في التحسن في هاتين الناحيتين ، في الإصدار الأول بالكويت الذي تميز بغزارة المقالات والبحوث والنصوص المحققة . وتابعت مسيرتها في التحسن عن طريق الانتقاء وتحكيم البحوث ، في الإصدار الثاني بالقاهرة .

كما كثر فيها في الإصدار الأول بالقاهرة ، نشر النصوص الناقصة المشوهة ومن أمثل ذلك : مقدمة كتاب العين للخليل بن أحمد ، ففيها الكثير من الأخطاء والتصحيفات والتحريفات الشديدة . وفيما يلي بعض النماذج :

ص ١٠٨/ ١٩ ، أبو عمرو بن العلاء ، ليس من الموالي - كما ذكر المحقق - وإنما كان عربيًا خالصًا . انظرغاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٢٨٨ .

ص ١١٩/ ٣ : الخزرنجي (تكررت كذلك في ١١٩/ ٥) خطأ . والصواب : الخارزنجي

ص ١٣٠/ ١١ : أهل عصره . صوابها كما في المخطوط : أهل دهره .

ص ١٥٢/ ٦ : عبارة « أراد أن يعرف به العرب » بها سقط . والصواب : أراد أن يعرف (بذلك ما تكلمت) به العرب . كما في المخطوط .

ص ١٥٣/ ١١ : عبارة : « الأدوات والزجر » . لعل صوابها : الأدوات الأُخَر .

ص ١٥٦/ ٣ : عبارة : « جاءت سواكن وخلفها السكون » . صوابها : وخلقتها السكون » .

ص ١٥٩/ ١١ : بيت الشعر الذي يقول :

ودعشوقة فيها ترنج دهشم   تعشقتها ليلا وتحتي جلاهق

هو بيت محرف تحريفًا شديدًا . وصوابه :

وديمومة فيها ترنج وهينم   تعسفتها ليلا وتحتي جلاهق

والديمومة : الصحراء الواسعة ، والنيرنج : أخذ كالسحر . والهينمة : الصوت الخفي . وتعسفتها : خبطت فيها على غير هدى . والجلاهق : الطين المدوّر .

ص ١٦٢/ ٧ : « ألا ترى الحكاية » . صوابها : « في الحكاية » .

ص ١٦٤/ ٨ : عبارة : « لها أحياز ومخارج » صوابها كما في المخطوطة : « ومدارج » .

***

وهذه بعض الملاحظات على دواوين الشعر الضخمة ، التي حققها المرحوم الأستاذ حسن كامل الصيرفي ؛ فإن السبب الحقيقي في ضخامتها ، هو المنهج الذي اتبعه الصيرفي ، وهو منهج الأمالي ، الذي يكثر فيه الاستطراد ، وذكر الأبيات المشابهة لشعر الشاعر ، وشرح المفردات ، وشرح الأبيات ، والاستشهاد عليها بالشعر ، وشرح هذه الشواهد مرة أخرى ، وقد يستغرق كل هذا أربع صفحات أو أكثر ، في التعليق على بيت واحد . وهذا الأمر لا يتفق ومنهج التحقيق المتعارف عليه بين جلّة المحققين وأساطينهم .

وهذا مثال واحد من ديوان « المثقب العبدي » يتضح منه كل ذلك :

وقمتُ إلى البَرْكِ الهَوَاجد فاتَّقَتْ بكَوْماءَ لم يذهبْ بها النَّيُّ مَذْهَبَا

البَرْك : إبلُ الحيّ كلّهم . الهواجد : النيام . والهاجد ، من الأضداد . يكون للنائم ، وللمستيقظ بالليل . اتّقت : أي جعلتها بينى وبينها .

صدر هذا البيت وارد عند عمرو بن الأهتم في المفضلية ٢٣ (٢٥٠ بيروت ، ١٦٨ مصر) فى قوله :

وقمتُ إلى البَرْكِ الهَوَاجد فاتَّقَتْ مقَاحِيدُ كُومٍ كالمَجَادِلِ روقُ

المقاحيد : الإبل العظام الأسنمة . المجادل : القصور . شبه الإبل بها لعظمها وسمنها .

وقال الأسعر الجُعفي ، وهو شاعر جاهلي اسمه : مَرْثد بن أبي حُمران ، في الأصمعية ٤٤ [١٥٩ مصر] :

فنهضتُ في البَرْكِ الهُجُود وفي يدى   لَدْنُ المَهَـزَّةِ ذُو كُعـوبٍ كالنَّوَى

وقال طرفة بن العبد [ديوانـه ٦١ مصر ، ٣٤ قازان ، ٣٩ باريس ، ٢١٧ شرح القصائد السبع الطوال للأنباري أبي بكر] :

وبَرْكٍ هُجودٍ قد أثارتْ مَخَافتِي   نَوادِيَهُ أَمْشِى بعَضْـبٍ مُجَرَّدِ

ناقة كوماء : عظيمة السَّنام طويلته ، والجمع : كُوم .

قال ربيعة بن مقروم الضبي في المفضلية ١١٣ [٧٣٣ بيروت ، ٣٧٦ مصر] وانظر في شعر ربيعة بن مقروم [١٠] :

وأضـيافِ لَيْـلٍ في شَـمالٍ عَرِيَّةٍ   قَرَيْتُ من الكُوم السَّديفَ المُرَعَّبَا

يـريـد : أنه قَـرَى ضِيفـانـه في ليـلة بـاردة . والسَّـدِيف : شُطَب السَّنـام . والمُرَعَّب : المقطع . النَّيّ : الشحم .

ونخلص من العرض السابق ، عن نشـاط المعهد في تحقيق التراث ونشره ، إلى أن منهج المعهد قـام على أساس التنويع ، بحيث تغطى النصـوص المحققة مساحـة واسعة مـن المجالات التـراثية المختلفة ، سـواء ما يتصـل منها بـالعلوم الشرعية ، أو الأدبية ، أو اللغويـة ، أو العلمية في معظم مجالات العلوم من الطب والرياضة والفلك والمساحة وغيرها .

ولم يكن منهج التحقيق موحدًا في بداية عهد المعهد في هذا المجال ، فلم يلتـزم المحققـون بجمع نسخ الكتـاب المخطـوط ، تلك النسخ التي تفيض بهـا خزائن المخطوطات في بلاد العالم . وذكرهـا كارل بروكلمان في كتابه المشهور : « تاريخ الأدب العربي » .

ومن أمثلة ذلك كتاب « العين » للخليل بن أحمد ، الذي فات محققه الرجوع إلى مخطوطتين مهمتين ، وهما : مخطوطة مكتبة ملك بطهران (وقد وصفت بمجلة معهد المخطوطات ٦/ ٧٦ رقم ٥٣٤٨ سنة ١٩٦١م) ، ومخطوطة مجلس النواب الإيراني برقم ٦٨١٣ (وصفت بمجلة الإخاء الطهرانية في العدد ٣٧٠) .

وهاتان النسختان في غاية الأهمية ؛ لأنهما تمثلان رواية أخرى لكتاب « العين » غير رواية الليث بن المظفر ، فهما برواية النضر بن شميل ، وهي رواية ذكرها أبو حيان الأندلسي في كتابه : تذكرة النحاة (ص ٢٦) من بين ثلاث روايات مختلفة لكتاب « العين » للخليل بن أحمد الفراهيدي .

ومثله أيضًا كتاب « المقصور والممدود » لأبي عمر الزاهد (تحقيق محمد جبار المعيبد) ، منه نسخة في مجموعة بالخزانة العامة في الرباط رقم ١٨١٠ وهذه المخطوطة لم يرها المحقق .

ومن مظاهر عدم توحيد المنهج في المطبوعات القديمة للمعهد ، توجيه العناية إلى شرح بعض الكلمات الغامضة ، وحشد المعلومات التي لا تفيد في هوامش النص ، وعدم الاهتمام بتخريج النصوص النثرية والشعرية المختلفة . ويكفي أن تلقى نظرة على المجلد العاشر من المجلة ، لترى نماذج كافية لهذه القضية الخطيرة .

غير أن هذا الوضع تغير كلية ، بعد أن لجأت إدارة المجلة إلى نظام التحكيم ، ولم تعد تقبل إلا النصوص المحققة ، على المنهج العلمي الصارم للتحقيق .

وأما نظام الفهارس للنصوص المنشورة ، فإنه لم يكن على المستوى العلمي اللائق ؛ ففي تحقيق برنامج شيوخ الرعيني (العدد ٥/ ١ ص ١٠٣) جاءت

الفهارس هزيلة ، لم تتضمن الأشعار الكثيرة الموجودة بالنص ، كما أن فهرس الأعلام لم يراع الإحالات المختلفة ؛ ففي حرف الهمزة مثلاً ، وضع اسم (ابن الأبار) ، ، ولم يُشر المفهرِس في حرف الميم إلا اسم ابن الأبار ، الذي يذكر به أحيانًا في النص ، وهو : (محمد بن عبد الله القضاعي) .

حدث هذا وأمثاله في فهارس النصوص التي نشرت في الأعداد الأولى من المجلة .. ولكن المعهد درج بعد ذلك على الالتزام بأن تكون الفهارس شاملة مستوفية لكل مقومات الفهرس الجيد . ويكفي أن يطلع المرء على ما حقق أخيرًا ؛ ككتاب : « تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب » للفارقي ، أو كتاب: « تفسير رسالة أدب الكتاب » للزجاجي - ليعرف مدى الدقة والإتقان ، التي وصلت إليها الفهارس في أحدث ما أصدره المعهد من نصوص .

* * *

الملحق الأول

للكتب المستقلة

١ - سير أعلام النبلاء للذهبي (الجزء الأول) - القاهرة ١٩٧٩م .
٢ - ديوان المثقب العبدي - القاهرة ١٩٧١م .
٣ - ديوان المتلمس الضبعي - القاهرة ١٩٧٠م .
٤ - ديوان عمرو بن قميئة - القاهرة ١٩٧٠م .
٥ - صفة السرج واللجام ، لابن دريد - القاهرة ١٩٩٢م .
٦ - ذيل الدرر الكامنة ، لابن حجر العسقلاني - القاهرة ١٩٩٢م .
٧ - الأنيق في المناجيق ، للزردكاش - الكويت ١٩٨٥م .
٨ - غوامض الصحاح ، للصفدي .
٩ - كتاب القولنج ، لأبي بكر الرازي - الكويت ١٩٨٣م .
١٠ - المنصوري في الطب ، لأبي بكر الرازي - الكويت ١٩٨٧م .
١١ - إصلاح ما غلط فيه النمري في معاني أبيات الحماسة ، للأسود الغندجاني - الكويت ١٩٨٥م.
١٢ - الدلائل ، للحسن بن بهلول - الكويت ١٩٨٥م .
١٣ - التبصرة في القراءات ، لمكي بن أبي طالب - الكويت ١٩٨٥م .
١٤ - الآثار الرفيعة في مآثر بني ربيعة ، لابن الحنبلي - الكويت ١٩٨٥م .
١٥ - مختصر آداب الفلاسفة ، لمحمد بن علي الأنصاري .
١٦ - النكت في تفسير كتاب سيبويه ، للأعلم الشنتمري - الكويت ١٩٨٥م .
١٩ - خلق الإنسان في اللغة ، لأبي محمد الحسن بن أحمد .
٢٠ - المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ، لابن سيده - القاهرة ١٩٥٨ - ١٩٧٣م .
٢١ - مختار الأغاني في الأخبار والتهاني ، لابن منظور - القاهرة ١٩٦٦ .
٢٢ - شرح كتاب السير الكبير ، للسَّرَخْسي - القاهرة ١٩٧١ ، ١٩٧٢م .
٢٣ - أساس القواعد في أصول الفوائد ، لكمال الدين الفارسي - القاهرة ١٩٩٤م .
٢٤ - تفسير رسالة أدب الكتاب ، للزجاجي - القاهرة ١٩٩٣م .
٢٥ - شعر تغلب في الجاهلية - جمع أيمن محمد ميدان - القاهرة ١٩٩٥م .
٢٦ - الموضح في التجويد ، لعبد الوهاب القرطبي .
٢٧ - ديوان الألغاز ، لأبي العلاء المعري .

***

الملحق الثاني
للنصوص المنشورة في مجلة المعهد

١ - قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب ، عن كُوَر الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة - تحقيق : د. لطفي عد البديع ١/ ٢ (نوفمبر ١٩٥٥) ص ٢٧٢ - ٣١٠ .

٢ - كتاب المرشد أو الفصول ، لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي (الطبيب) توفي ٣١٣هـ - تقديم وتحقيق الدكتور ألبير زكي اسكندر ٧/ ١ (مايو ١٩٦١) ص ٣ - ١٢٥ .

٣ - تحقيق : مقدمة ديوان الأدب للفارابي اللغوي - للدكتور أحمد مختار عمر ٧/ ٢ (نوفمبر ١٩٦١) ص ١١١ - ١٥١ .

٤ - تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن ، لأبي الريحان البيروني (٤٤٠هـ)- تحقيق الدكتور بولجاكوف ومراجعة د. إمام إبراهيم أحمد ٨/ ١ - ٢ (مايو - نوفمبر ١٩٦٢) ٣ - ٣٢٨ .

٥ - مقدمة كتاب العين في اللغة ، للخليل بن أحمد - تحقيق د. عبد الله درويش ٩/ ١ (مايو ١٩٦٣) ص ١٥١ - ١٦٧ .

٦ - الفتح الأيوبي لليمن (نص من مخطوطة : السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن) لبدر محمد بن حاتم - تحقيق محمد عبد العال أحمد ١٠/ ١ (مايو ١٩٦٤) ص ١٣٧ - ١٦٦ .

٧ - نص في ضبط الكتب وتصحيحها وذكر الرموز والاصطلاحات الواردة فيها ، لبدر الدين الغزي - تحقيق محمد مرسي الخولي ١٠/ ١ (نوفمبر ١٩٦٤) ص١٦٧-١٨٤ .

٨ - قانون صنعاء اليمن في القرن الثاني عشر (قانون الإمام المتوكل القاسم بن الحسين) - تحقيق القاضي حسين بن أحمد السياغي ١٠/ ٢ (نوفمبر ١٩٦٤) ص ٢٧٣ - ٣٠٧ .

٩ - كتاب الثلاثة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس - تحقيق وتقديم الدكتور رمضان عبد التواب ١٠/ ٢ (نوفمبر ١٩٦٤) ص ٣٠٩ - ٣٧٨ .

١٠ - ديوان عمرو بن قميئة - جمع وتحقيق حسن كامل الصيرفي ١١/ ١- ٢ (١٩٦٥م) المجلد كله .

١١ - الرد على الزبيدي في لحن العامة من كتاب المدخل إلى تقويم اللسان ، لابن هشام اللخمي - تحقيق د. عبد العزيز مطر ١٢/ ٢ (نوفمبر ١٩٦٦) ص ٢١ - ١٠٩ .

١٢ - مُثْلَىْ الطريقة في ذم الوثيقة ، للوزير لسان الدين بن الخطيب - تحقيق عبد الحفيظ منصور ١٢/ ٢ (نوفمبر ١٩٦٦) ص ١١٠ - ١٣٢ .

١٣ - رسالتان في الحساب العربي : أصول حساب الهند لكوشيار بن ليان الجيلي ، والكفاية لأحمد بن علي الإربلي - تحقيق أحمد سليم سعيدان ١٣/ ١ (مايو ١٩٦٧) ص ٤١ - ١٥٨ .

١٤ - تسمية أزواج النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وأولاده ، لأبي عبيدة معمر بن المثنى - تحقيق د. نهاد الموسى ١٣/ ٢ (نوفمبر ١٩٦٧) ص ٢٢٥ - ٢٨٦ .

١٥ - ديوان مالك بن الريب : حياته وشعره - تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي ١٥/ ١ (مايو ١٩٦٩) ص ٤٩ - ١١٤ .

١٦ - شعر الحسين بن مطير الأسدي - جمعه وقدمه له الدكتور حسين عطوان ١٥/ ١ (مايو ١٩٦٩) ص ١١٥ - ٢٢١ .

١٧ - ديوان شعر الحادرة- إملاء أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي عن الأصمعي - تحقيق الدكتور ناصر الدين ا لأسد ١٥/ ٢ (نوفمبر ١٩٦٩) ص ٢٦٩ - ٣٨٨ .

١٨ - ديوان شعر المثقب العبدي - عنى بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه حسن كامل الصيرفي ١٦/ ١ (١٩٧٠) المجلد كله .

١٩ - ديوان المتلمس الضبعي - جمع وتحقيق حسن كامل الصيرفي ١٦/ ٣ (١٩٧٠) المجلد كله .

٢٠ - عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب ، المنسوب للمعز بن باديس (٤٥٤هـ) - تحقيق الدكتور عبد الستار الحلوجي وعلي عبد المحسن زكي ١٧/ ١ (مايو ١٩٧١) ص ٤٣ - ١٧٢ .

٢١ - فصل من كتاب الأدلة الرسمية في التعابي الحربية ، لنقيب الجيش محمد بن منكلي - تحقيق محمود شيت خطاب ١٧/ ١ (مايو ١٩٧١) ص ١٧٣ - ١٧٨ .

٢٢ - كتاب لحن العامة والخاصة في المعتقدات ، لأبي علي عمر بن محمد السكوني - تحقيق عبد القادر زمامة ١٧/ ٢ (نوفمبر ١٩٧١) ص ٢٣٥ - ٢٧٦ .

٢٣ - مختصر المذكر والمؤنث للمفضل بن سلمة (حوالي ٣٠٠هـ) - حققه وقدم له وعلّق عليه الدكتور رمضان عبد التواب ١٧/ ٢ (نوفمبر ١٩٧١) ص ٢٧٧ - ٣٤٦ .

٢٤ - كتاب الأربعين الطبية المستخرجة من سنن ابن ماجة وشرحها - من صنع تلميذه محمد ابن يوسف البرزالي - تحقيق عبد الله كنون ١٨/ ١ (مايو ١٩٧٢) ص ٨١ - ١٥٠ .

٢٥ - ثلاث أراجيز في رموز الجامع الصغير - تحقيق الدكتور محمد باقر علوان ١٨/ ١ (مايو ١٩٧٢) ص ١٥١ - ١٥٨ .

٢٦ - شعر الشمردل اليربوعي - تحقيق نوري حمودي القيسي ١٨/ ٢ (نوفمبر ١٩٧٢) ص ٢٦٣-٣٣٠ .

٢٧ - هجاء مصاحف الأمصار ، لأبي العباس أحمد بن عمار - تحقيق محيي الدين عبد الرحمن رمضان ١٩/ ١ (مايو ١٩٧٣) ص ٥٣ - ١٤١ .

٢٨ - فائت الفصيح ، لأبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد (٣٤٥هـ) - تحقيق الدكتور محمد عبد القادر أحمد ١٩/ ٢ (نوفمبر ١٩٧٣) ص ٣٠٧ - ٣٦٢ .

٢٩ - رسالة في حروف العربية ، لأحمد بن محمد بن المظفر بن المختار الرازي - تحقيق الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي ٢٠/ ١ (مايو ١٩٧٤) ص ٥١ - ١٢٤ .

٣٠ - المقصور والممدود المنسوب لأبي عمر الزاهد - تحقيق محمد جبار المعيبد ٢٠/ ٢ (نوفمبر ١٩٧٤) ص ١٧ - ٤٧ .

٣١ - رسالة مفكر النفس ، للحكيم الترمذي - تحقيق الدكتور عبد الفتاح بركة ٢٠/ ٢ (نوفمبر ١٩٧٤) ص١٣١-١٥٩ .

٣٢ - المنهل الرويّ في مختصر علوم الحديث النبوي ، لبدر الدين بن جماعة - تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان (القسم الأول) ٢١/ ١ (مايو ١٩٧٥) ص ٢٩-١١٦ (القسم الثاني) ٢١/ ٢ ص ١٩٦ - ٢٥٦ .

٣٣ - ضوء القبس المنير لرموز رجال الجامع الصغير ، لأحمد مكي الحموي الحسني - تحقيق الدكتور محمد باقر علوان ٢١/ ١ (مايو ١٩٧٥) ص ١٤٢ - ١٤٧ .

٣٤ - رسالة الطرد ، لابن أبي الطيب الباخرزي (٤٦٧هـ) - تحقيق محمد قاسم مصطفى ٢١/ ٢ (نوفمبر ١٩٧٥) ص ٢٥٦ - ٢٨٥ .

٣٥ - شعر مزاحم العقيلي - تحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي وحاتم الضامن ٢٢/ ١ (مايو ١٩٧٦) ص ٨٣ - ١٤٦ .

٣٦ - كتاب المشيخة المزعومة ، لإبراهيم بن طهمان (القرن الثاني الهجري) - تحقيق الدكتور محمد طاهر مالك ٢٢/ ٢ (نوفمبر ١٩٧٦) ص ٢٤١ - ٣٠٠ .

٣٧ - كتاب يوم وليلة في اللغة والغريب ، لأبي عمر الزاهد (٣٤٥هـ) - تحقيق محمد جبار المعيبد ٢٤/ ٢ (نوفمبر ١٩٧٨) ص ٢٢٩ - ٣٣٨ .

٣٨ - ذم الخطأ في الشعر ، لابن فارس اللغوي - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ٢٥/ ١-٢ (١٩٧٩) ص ٢٩ - ٥٩ .

٣٩ - كتاب نظم الفصيح ، لابن أبي الحديد - تحقيق الدكتور محمد بدوى المختون ٢٥/ ١-٢ (١٩٧٩) ص ٦١ - ١٦٧ .

٤٠ - شرح ما يكتب بالياء من الأسماء المقصورة والأفعال ، لابن درستويه - تحقيق الدكتور محمد بدوى المختون٢٣/ ٢ (نوفمبر ١٩٧٧) ص ٤٩ - ٩٦ .

٤١ - عبد الله بن الزبعرى : حياته وشعره ، للدكتور يحيي الجبوري ٢٤/ ١ (مايو ١٩٧٨) ص ٤٣ - ٦٨ .

٤٢ - الأشهب بن رميلة شاعر أموي مغمور - تحقيق ودراسة للدكتور نوري حمودي القيسي ٢٦/ ١ (يناير ١٩٨٢) ص ٢٠٩ - ٢٨٨ .

٤٣ - قواطع الأدلة في الأصول ، لابن السمعاني - تحقيق (المقدمة) الدكتور محمد حسن هيتو ٢٦/ ١ (يناير١٩٨٢) ص ٢٠٩-٢٨٨ .

٤٤ - علم الخواص للمدائني - تحقيق الدكتور سامى مكي العاني ٢٦/ ١ (يناير ١٩٨٢) ص ٢٨٩ - ٣٣٦ .

٤٥ - صلة الخلف بموصول السلف ، للروداني - تحقيق الدكتور محمد حجي (القسم الأول) ٢٦/ ١ (يناير ١٩٨٢) ص ٣٣٧ - ٣٩١ (القسم الثاني) ٢٧/ ٢ (يوليو ١٩٨٣) ص ٣٨٥ - ٤٥٤(القسم الثالث) ٢٨/ ١(يناير ١٩٨٤) ص ٩ - ٩٨ (القسم الرابع) ٢٨/ ٢ (يوليو ١٩٨٤) ص ٣٣٧ - ٣٣٨ .

٤٦ - رسالتان في الهندسة تنسبان إلى أرشميدس - تحقيق الدكتور أحمد سليم سعيدان ٢٦/ ٢ (يوليو ١٩٨٢) ص ٥٧١ - ٦٢٣ .

٤٧ - مسائل نحو مفردة ، لأبي البقاء العكبري (٦١٦هـ) - تحقيق ياسين السواس ٢٦/ ٢ (يوليو ١٩٨٢) ص ٦٢٥ - ٦٤٣ .

٤٨ - شعر عبد الله المبارك - حمع وتحقيق الدكتور مجاهد مصطفى بهجت(القسم الأول) ١٢٧ (يناير ١٩٨٣) ص ٩ - ٧٢ (القسم الثاني) ٢٧/ ٢ (يوليو ١٩٨٣) ص ٤٥٥ - ٥٠١ .

٤٩ - العماني الراجز - جمع وتحقيق الدكتور حنا جميل حداد ٢٧/ ١ (يناير ١٩٨٣) ص ٧٣-١١٩ .

٥٠ - تثليث الزاوية في العصور الإسلامية - تحقيق الدكتور أحمد سليم سعيدان ٢٨/ ١ (يناير ١٩٨٤) ص ٩٩ - ١٣٧ .

٥١ - كلمات الصوفية بين ابن سينا والسهروردي - تحقيق الدكتور حسن علي عاصي ٢٨/ ١ (يناير ١٩٨٤) ص ١٣٩ - ١٨٦ .

٥٢ - تحفة المجاهدين في العمل بالميادين ، لحسام الدين الطرابلسي (٧٣٨)- تحقيق الدكتور محمد عيسى صالحية ٢٨/ ٢ (يوليه ١٩٨٤) ص ٣٨٩ - ٤٢٤ (القسم الرابع) ٢٩/ ١ (يناير ١٩٨٥) ص٤٣٣ - ٥٠٦ (القسم السادس) .

٥٣ - الأصول والضوابط ، للإمام النووى - تحقيق الدكتور محمد حسن هيتو ٢٨/ ٢ (يوليه ١٩٨٤)ص ٤٢٥-٤٥٥.

٥٤ - الرِّفده فى معنى وَحْدَه ، لأبى الحسن السبكى الشافعى (٧٥٦هـ) - تحقيق الدكتور زيان أحمد الحاج إبراهيم ٢٨/ ٢(يوليو١٩٨٤) ص ٤٥٧-٤٨٩ .

٥٥ - الأشكال المساحية ، لأبى العباس أحمد بن البنا المراكشى - تحقيق محمد سويس ٢٨/ ٢ (يوليو ١٩٨٤) ص ٤٩١-٥٢٠ .

٥٦ - بيان السبب الموجب لاختلاف القراءات ، وكثرة الطرق والروايات ، لأبى العباس أحمد بن عمار المهدوى - تحقيق الدكتور حاتم الضامن ٢٩/ ١ (يناير ١٩٨٥) ص ١٢٧ - ١٦٢ .

٥٧ - رسالة فى تعيين محل دخول الباء من مفعولى بَدّل وأبدل وما يرجع إليهما فى المادة ، لأبى سعيد الغرناطى - تحقيق الدكتور عياد الثبيتى ٢٩/ ١ (يناير ١٩٨٥) ص ١٢٧-١٦٢ .

٥٨ - رسالة فى مساحة المجسّم المكافئ ، للشيخ أبى سهل القوهى - تحقيق الدكتور عبد المجيد نصير ٢٩/ ١ (يناير ١٩٨٥) ص ٢٨٧-٢٠٨ .

٥٩ - باب مايحتمل الشعر من كتاب : النكت فى تفسير كتاب سيبويه ، للأعلم الشنتمرى - تحقيق الدكتور خالد عبد الكريم جمعة ٢٩/ ٢ (يوليه ١٩٨٥) ص٥٧٦-٦١١ .

٦٠ - قلع الآثار من الثياب وغيرها ، ليعقوب بن إسحاق الكندى (٢٦٠هـ) - تحقيق محمد عيسى صالحية ٣٠/ ١ (يناير ١٩٨٦) ص ٨٣-١١١ .

٦١ - نيل العُلا فى العطف بلا ، لتقى الدين السبكى - تحقيق الدكتور خالد عبد الكريم جمعة ٣٠/ ١ (يناير ١٩٧٦) ص١٣-١٣٤ .

٦٢ - محاورة أدبية بين مدن بلاد الشام ، لمصطفى التونسى - تحقيق صلاح الخيمى ٣٠/ ١ (يناير ١٩٨٦) ص ١٣٥-١٥٥ .

٦٣ - رسالة فى القولنج وتعديد أصنافه وأسبابه وعلاماته - تحقيق الدكتور داود مزبان الثامرى ٣٠/ ٢ (يوليه ١٩٨٦)ص ٤٤١-٥٠٠ .

٦٤ - لباب الإعراب المانع من اللحن فى السنة والكتاب . تحقيق الدكتور زيان أحمد الحاج إبراهيم ٣٠/ ٢ (يوليه ١٩٨٦) ص ٥٠١-٥٧٤ .

٦٥ - بيان العيوب التى يجب أن يجتنبها القراء ، لأبى على الحسن بن البنا (٤٧١هـ) ٣١/ ١ (يناير ١٩٨٧) ص ٧-٥٨ .

٦٦ - أرجوزة فى الشطرنج ، للشاعر أحمد بن حسين الكيوانى - تحقيق الدكتور عبد الله الغزالى ٣١/ ١ (يناير١٩٨٧)ص١٤٧-١٨٧ .

٦٧ - رسالة فى فضل جدة وشىء من خبرها ، لجار الله محمد بن فهد - تحقيق الدكتور عبد المحسن المدعج ٣١/ ١(يناير١٩٨٧)ص١٨٩-٢١٠.

٦٨ - رسالة فى استخراج المعمّى ، لابن طباطبا العلوى - تحقيق الدكتور محمد عبد الرحمن الهدلق ٣٢/ ١ (يناير١٩٨٨)ص٦١-٩٩.

٦٩ - فى معرفة الكرة والعمل بها ، لحبش بن عبد الله الحاسب (٢٧٧هـ) - تحقيق عدنان الفراجى ٢٣/ ٢ (يوليو ١٩٨٨) ص٢٤١-٢٦٥ .

٧٠ - الطلبة والمدرسون فى بغداد أيام وزارة داود باشا - تحقيق ظمياء السامرائى ٣٢/ ٢ (يوليو ١٩٨٨) ص ٢٦٧-٣١٧ .

٧١ - شعر أبى وجزة السعدى (١٣٠هـ) - جمع وتحقيق وليد السراقبى ٣٤/ ١ -٢ (يناير / يوليو ١٩٩٠)ص٣٣-٩٠.

٧٢ - لوح الضبط فى علم حساب القبط ، لابن المغربى - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ٣٦/ ١-٢ (يناير/ يوليو١٩٩٢) ص١١٩-١٣٧.

٧٣ - رسالة فى بيان أقسام الحكمة على سبيل الإيجاز ، للطوسى - تحقيق الدكتور عباس سلام ٣٦/ ١-٢ (يناير / يوليو ١٩٩٢) ص١٣٩-١٦٨ .

٧٤ - نصوص من الروضة للمبرد - جمع وتحقيق عبد الكريم حبيب ٣٧/ ١-٢ (يناير / يوليو ١٩٩٣) ص١٥٣-٢٠٢ .

٧٥ - زهير بن جناب الكلبى ، أخباره وما تبقى من شعره - جمع الدكتور عادل عطا الله الفريحات ٣٨/ ١-٢ (يناير / يوليو ١٩٩٤) ص١٢٩-١٨٢ .

٧٦ - من ديوان المثالث والمثانى فى المعالى والمعانى ، لصفى الدين الحلى - تحقيق محمد طاهر الحمصى ٣٨/ ١-٢ (يناير / يوليو ١٩٩٤) ص١٠٩-١٢٧ .

٧٧ - الإبانة والتفهيم عن معانى بسم الله الرحمن الرحيم - تحقيق الدكتور عبد الفتاح السيد سليم ٣٩/ ١ (يوليه ١٩٩٥) ص ٤٩ - ١٠٦ .

* * *

مداخلات وتعقيبات

□ **أ. إبراهيم الترزى :**

يطيب لى أن أهنئ المعهد بعيده الذَّهبي ، الذى هو عيد لنا جميعًا ، نحن أهلَ اللغة ، لأن إنشاء هذا المعهد مقرون بإنشاء جامعة الدول العربية . وكان ذلك ضروريًا ، إذ كان لابد أن تستعيد الأمة ذاكرتها ، والتراث هو ذاكرة الأمة ، واستعادة الذاكرة هو رجوع إلى الجذور ، وبالرجوع إلى الجذور نتصل بهُويتنا وأصولنا ، ونحقق لأمتنا العربية وجهها العربى الحضارى .

لقد ظل المعهد فى حضانة الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية سنين ثمانيًا ، وبعدها شب عن الطوق وأيفع . وصار لابد له أن يستقل وأن ينهج نهجه الخاص .

وحقيقةً ، موضوع التراث شديد الوعورة ، لابد العودة إلى مخطوطات تراكمت وتناثرت وتبعثرت وانتهكت حرماتها فى الشرق والغرب ، وهى - كما قلنا ذاكرتنا - لابد لها من إعداد مادى وموارد مالية ، ثم إعداد الخبراء الذين يعملون فى هذه الحقول ، على أن يُعَدُّوا إعدادًا جيدًا ، ولابد أيضًا من الاستعانة بالعلماء ذوى الخبرة الطويلة فى مجال تحقيق التراث .

وكان لابد لهذه الرحلة الطويلة العسيرة من جنود يجاهدون فى رباطها ، ويبذلون من أنفسهم وحياتهم الكثير . لابد لهذا الجندى الذى يعمل فى التراث أن يكون حاذقًا باللغة العربية ، بمختلف فروعها ، حذقًا تامًا . وأن يكون حاذقًا كذلك بعلوم العربية من فقه وتوحيد وفلسفة وأدب وشعر وغيرها . والمحقق لابد أن يكون مسلحًا - بل مدججًا - بكل هذه العلوم والمعارف ، حتى يستميل إليه العَصِيَّ من التحقيقات ، وينهج نهجه السليم فى هذا السبيل .

والمعهد فى عيده الخمسينى لايحتفل احتفالاً يكون فيه معرضًا للثناء ، بل شاء - على وقاره وجلاله - أن يكون فى هذا الاحتفال التفات إلى الماضى ، ليرى ماتَمَّ ، ويقوِّمه ، أو يقيِّمه - واللفظان صحيحان - ثم يستشرف المستقبل .

□ أ. نصر الله مُبَشِّر الطِّرازي :

أشكر المعهد الذى تواضع كثيرًا لكى يدعونى إلى هذا الحفل الكبير ، وأنا رجل مازلت أتعلم ، وسوف أتعلم إلى اللحد ، ومن أصل تركستانى ، وإن كنت أصلا حسينيًا ، أى قرشيًا .

المحاضرة التى ألقاها الأستاذ عصام أحاطتنا بمعلومات كثيرة ، ولم تقتصر على الرغم من أنه كان مديرًا سابقًا للمعهد ، على أوجه القصور ، بل شملت جوانب التقصير أيضًا .

وأود أن أشير بداية إلى نقطة هامة هى أنه إذا ساغ لنا أن نشبه التراث الإسلامى بأنه طائر ، وليكن «العنقاء» وهو طائر مبارك ، يسميه الفرس والترك (هُمَا) ، ومن هنا جاءت كلمة «الهُمايونى» أى المبارك ؛ فإن جسم هذا الطائر عربى، أما جناحاه فهما فارسى وتركى ، وبدون الجناحين لايمكن أن ينتشر التراث العربى الإسلامى . أقول هذا لأؤكد أن هذا التراث تراث عربى إسلامى ، ويجب أن نضع هذه النقطة دائما نصب أعيننا .

وشىء آخر ، ربما يكون غير معروف ، أن الترك والفرس بعد أن أسلموا ، أصبحوا مسلمين حقيقيين مؤمنين بالتراث والحضارة الإسلامية ، فالأتراك مثلاً نزحوا من موطنهم الأصلى تركستان إلى مصر ، وقامت دولة تركية هى الدولة الطولونية ، وبعدها الدولة الأخشيدية ، ثم جاءت دولة المماليك ، تلتها الدولة العثمانية ، وهم تركمان هاجروا من تركستان إلى الأناضول .

وأنا رجل مسلم من تركستان ، أحب التراث العربى الإسلامى، فقد صنعه العرب والمسلمون . وهناك حركات مضادة يقوم بها الأعداء، وهى باتجاه الشعوبية ، يقولون إن ابن سينا من أهل بخارىٰ ، فأصله تركى . وأنا أقول إنه عالِم إسلامى عربى ، وكذلك الفارابي والبخاري والترمذي والنَّسَائي والخوارزمي والبيروني والزمخشري ، وكلهم من هناك . والأتراك كانوا عندما يُسأل أحدهم مَن أنت ؟ لايقول أنا تركى ، بل يقول أنا مسلم . فتراثنا إسلامى .

ووجود السيدة الدكتورة رانو بيننا فرصة عظيمة . ونحمد الله أنه قد أنقذ بلاد آسيا الوسطى والقوقاز الإسلامية ، التى كانت تحت احتلال روسيا الشيوعية .

والمخطوطات والمطبوعات الإسلامية ، والدين أيضًا ، كانت شيئًا ممنوعًا فى العهد الشيوعى . فمثلاً أحرق الشيوعيون مكتبة والدى المحتوية على خمسين ألف مطبوع ومخطوط إسلامى . ولكن هذا الشعب تمسك بدينه ، وهرّب المخطوطات والمطبوعات الإسلامية ، أو احتفظ بها ، إلى أن جاء عام ١٩٤٣ ، الذى احتاج الروس فيه إلى جنود من تركستان ، فأعطوهم حرية فى فتح الإدارة الدينية فى أوزبكستان .

وفى بخارىٰ مدرسة اسمها مير عرب ، تخرج فيها كثير من الطلبة الذين يجيدون العربية ويعرفون التراث الإسلامى . والآن فى الإدارة الدينية فى طشقند يوجد أكثر من خمسة وأربعين ألف مخطوطة ، منها عشرة آلاف لها بطاقات ، والباقى لم يفهرس بعد . وكما قالت السيدة الفاضلة د. رانو إن فى معهدها عشرين ألف مجلد .

تكلم الأستاذ عصام عن اهتمام المعهد بمسح الأماكن التى يوجد بها مخطوطات ، وكتابة تقارير عنها ، ونشر بعض الفهارس أو القوائم لها ، وانتقد الجزء الأول من فهارس المعهد ، وأنه خال من الكشافات ، وتكلم

مـرارًا عن المنهج فى عدة صفحـات ، وأننـا نفتقد إلى منهج مـوحَّـد فى فهرسـة المخطوطات .

وأشيـر هنا إلى أنّى ألقيتُ فـى استانبـول محاضـرة بعنـوان :« إطلالـة على المكتبات والفهارس فى إيران وتركيا » وكنتُ قرأت الفهارس التى صدرت عنهما ، وبعد المقارنة وجدتُ أن كل مفهرس له أسلوبه . هناك مفهرس يترك أشياء كثيرة ، يـذكر اسـم الكتاب والمـؤلف دون إشـارة إلى مـرجع أو مصـدر . ويذكـر أول الكتاب ، وعـدد الأوراق ، وتاريخ النسخ ، ولايشيـر إلى التملكات وإلـى الأختام وإلى الحِلية الفنية وغيرها .

وجـاء فى ورقة الأستـاذ عصـام أن فهرسـة معهد المخطـوطـات لمصوراتـه تأرجحت بين الاختصـار والتفصيل . وهذا التأرجح حـدث فى أوروبا أول الأمـر ، عند فهرستهم المخطوطات الإسلامية ، ثم استقروا على منهج معين .

ورأيت فى ملحق بحثـه أن المعهـد لـم يـذهب إلى الاتحـاد السـوفييتى إلا مـرتين ، ولم يتضح إلى أين ذهب ؟ هل إلى مـوسكـو أم إلى جمهـوريات آسيـا الـوسطى . وهذه منـاسبـة لأدعو المعهـد إلى إيفاد بعثـة إلى جمهـوريات آسـيا الـوسطى ليرى المخطـوطات هنـاك ، خـاصة فى تـاجيكستان . فهى بـالآلاف المؤلفة ، ولاندرى عنها شيئًا .

وفى الختام ، أقول: إن وضع منهج لفهرسة المخطـوطات فى بطاقة موحدة أصبح مسألة ملحة .

□ أ. إبراهيم الترزى :

نشكـر للمعقب الكريم حِرصـه على مخطوطـاتنا العـربيـة الإسلاميـة فى الجمهوريات الإسـلامية الست ، وفى غيرها من بلدان أوروبـا الشرقية التى تتكلم

الفارسية والتركية . ولاشك أنه تراث عـزيز جدًا علينا ، وأعتقد أن المعهد سيعنى بهذه المخطوطات ، ويوجِّه إليها همته واهتمامه .

□ د . أحمد مختار عمر :

أولا : أوقعنى د. رمضـان فـى مأزق ، ورغم سـرورى لاختيــارى معقِّبًـا على محـاضرتـه ، فقـد وقعت فى مشكلـة ، وهى أن النص الذى جـاءنى كـان يحمل عنوانًـا ، والنص الذى طُبع حمل عنوانًـا آخر . وهى مشكلة أوقعنى فيهـا الأستاذ فيصل الحفيان .

العنوان الـذى وصلنى كـان : قضية إحياء المخطـوطات ونشـرها فـى معهد المخطوطـات العربيـة . والذى طُبع الآن : منهج المعهـد فى نشر المخطـوطات العربية . وأنـا أقول إن د . رمضان كان ذكيًا فى اختياره العنـوان الأول ، لأنه يتلاءم مع مضمون ماأعده وذكره .

إن د . رمضـــان حين أسقط كلمـة المنهج من العنـوان الذى اختـاره ، كـان محقًا ، ولعله أحسَّ أن المنهج غـائب ، فلم يُرِد أن يتعرض لهذه القضيـة الشائكة التى تعرض لها د . الحلوجى ، والأستاذ عصام الشنطى . وله الحق فى تجنبه كلمة المنهج .

ثانيًا : إننى أشعـر بشىء كبير من الـدهشة حين أجـد معهد المخطـوطات العربية ، وجميع الذين تحدثوا لـم يشيروا إلى التحقيق بشىء ، مع أنهم جميعًا من كبـار المحققين . أعنى أنـه فى جميع المحـاضرات التى ألقيت ، جـاءت كلمـة إنقاذ ، أو تعـريف ، أو إحياء أو نشر ، وكأن التحقيق شيءٌ يُتَبـرَّأُ منه ، أو كأن كلَّ الذى أُدِّى مـن خلال معهد المخطـوطات لايـدخل تحت التحقيق ، ولا يصح أن يُسمى تحقيقًا .

ثالثًا : تحيّرت فى قـراءة العنوان الـذى وصلنى فى المرة الأولى ، وهـو قضية إحياء المخطـوطات ونشرُهـا فى المعهد . أنا قرأتهـا برفع الراء أى ونشـرُها ، على أسـاس أن المـوضـوع الـذى تناولـه د . رمضـان شمل الجـانبين : قضيـة إحيـاء المخطوطـات بوجه عـام ، ثم بعد ذلك نشرُها فى معهـد المخطوطات العـربية . وأتوهَّم أن د . رمضان ضبطها بالضم لا بالكسر ، وبالتالى فإن هذه الضمة أنقذته وأخرجته من مأزق ، كان قد أوقع نفسه فيه لو قرأها بالكسر .

إذن د . رمضان فتح لى جبهـة واسعة استطعت أن أنفذ منهـا ، بعد أن ظننت أنى لن أجد ما أقول بعـد ما قاله فيما نشره معهـد المخطوطات من كتب التراث . الضمة أنقذتنى ، فجعلتنى أُعـرِّج على هذا الموضوع بوجـه عام ، دون الإشارة إلى جهود معهد المخطوطات وحده ، أو منهجه .

وتحت العنوان الذى اختـرته ، وهو تحقيق المخطوطـات اللغوية ، لى أربع ملاحظات :

١ - غيبة التخطيط . وهذه ملاحظة قائمة سواء كانت فى المؤسسات أو بين الأفراد . وقد أدت إلى وقوع أمرين خطيرين :

الأول ، اشتغال أكثر من بـاحث بتحقيق المخطوط الواحد ، وأحيـانًا يصدر المخطوط فى عام واحد ، وفى بلد واحد ، وهـذه فى الحقيقة مأساة ، فمثلا كتاب الشوارد فى اللغة للصاغانى صـدر فى مصر والعراق سنة ١٩٨٣ ، وكتاب أسباب حدوث الحـروف لابن سـينا ، تكـرر تحقيقه وطبعه مع تـرجمته إلى لغـات أجنبية عدة ، ولاأدري ما السر فى ذلك ؟!

والثـانى ، هـناك مخطـوطات كثيـرة ماتـزال تنتظر مَن يتقـدم إليها ، فمثـلاً كتـاب مجمع البحرين للصـــاغانى ، لاأدرى مـا السر فى عـدم تحقيقـه ؟ ربمـا يكون ذلك راجعًا لضخامته ، وكتـاب العباب للصـاغانى أيضًا ، طبع منـه أجزاء

صغيرة ثم تُرِك بعد ذلك ، و « إضاءة الراموس فى شرح القاموس » لابن الطيِّب الفاسى ، وهو أستاذ الزَّبِيدى صاحب تاج العروس فى شرح القاموس ، يُطبع الفرع ، ويُترك الأصل . وكان أستاذنا د . إبراهيم أنيس يقول : الكتب كالبشر تسعد وتشقى .

٢ - نقطة هامة ، وهى أن بعض المحققين يحتجز الكتاب بتحقيق جزء منه ثم يسكت . وأول من شرع هذا - ولاأذيع سرًا - هو د . صلاح الدين المنجد ، الذى حقق منذ ثلاثين سنة تقريبًا الجزء الأول من كتاب تاريخ دمشق ، وهو كتاب ضخم ، فى أكثر من عشرين مجلدًا ، ثم ترك بقية الأجزاء . فترك المخطوطة كالمعلقة ، تنطبق عليها الآية الكريمة ، فلابد من ميثاق شرف نتفق عليه جميعًا لعدم الوقوع فى مثل هذا .

٣ - هناك قضية الاستسهال فى التحقيق ، أى الوقوع فى السهولة . وهذا يؤدى ببعض الباحثين إلى تحقيق الكتب الصغيرة التى لاقيمة لها ، مثل كتاب كفاية المتحفظ لابن الأجدابى ، طُبع مرات عديدة ، وهو كتاب صغير لاقيمة له .

٤ - ويدخل في باب الاستسهال أيضًا التحقيق على نسخ مطبوعة ، وقد سنَّ هذه السنة السيئة الذين حققوا معجم تاج العروس ، طبعة الكويت ، فكانوا يرجعون فى تحقيقهم إلى الطبعتين السالفتين المملوءتين بالتحريفات والأخطاء . ولم يرجعوا إلى مخطوطة واحدة من مخطوطات المعجم أثناء التحقيق .

هذه ملاحظات قادتنى إليها الضمة الصغيرة التى توهمتُ أن د . رمضان قد وضعها .

□ **إبراهيم الترزى :**

لى تعليق على الندوة بثلاثة أمور أطالب بها المعهد :

أولها : أن يحقق المعهدُ المضمون من اسـمه . الاسم معهد ، فلابد أن يتجه إلى التعليم والتدريب فى مجال التحقيق ، لأن الكثيرين من المحققين فى متاهة ، وكلٌّ يجتهد ، وكلٌّ يتَّبع شيخًا له ، أو يتَّبع ما يتراءىٰ له ، فوجود المعهد فى إطار جامعة الدول العربية يحمله تحت مسئولية كبيرة . وفى إطار كلمة «المعهد» عليه أن يعلِّم ويدرِّب .

ثانيها : أن يجتمع كبار المحققين فى رحاب هذا المعهد ، الذى هو فى رحاب جامعة الدول العربية ، وأن يعرضوا ويدرسوا مناهج التحقيق المختلفة ، ويجتمعوا على كلمة سواء فى منهج التحقيق . ولابد من أن تُعقد ندوة أو ندوات لوضع منهج للتحقيق . فوضع المنهج مهم ، حتى يكون للتحقيق سبيل معروف ، لايُخرج عنه .

وثالثها : العمل على التنسيق فيما يُحقَّق ، على الأقل فى إطار المعهد . وقد سمعنا ما أشار إليه الإخوة من التضارب والتكرار ، وهو أمر سيِّئ جدًا .

هذه هى الأمور الثلاثة التى أطالب بها المعهد ، ولعله يستجيب لتحقيقها .

* * *

الجلسة الثالثة

البحث الخامس :

أزمة العمل التراثى فى ضوء مفهوم الثقافة : رؤية تاريخية

البحث السادس :

أزمة العمل التراثى : الملامح والأبعاد والمسؤولية

مداخلات وتعقيبات :

د . حسين نصّار .

د . محمود محمد الطناحى .

أ . فيصل عبد السلام الحفيان .

أ . عصام محمد الشّنْطِى .

أزمة العمل التراثي في ضوء
مفهوم الثقافة : رؤية تاريخية

د . أحمد درويش (*)

تنتمي كلمة « الثقافة » إلى مجموعة المصطلحات الشديدة الشيوع من ناحية ، والمفتقرة إلى التحديد الدقيق القابل للتنوع والتطور من ناحية ثانية ، وهي في ذلك ، شأنها شأن « الحرية » و « الديمقراطية » و « العدالة » و « المساواة » و « الحقوق » و « الواجبات » تمثل مفاهيم ضرورية تتحدث عنها الجماعات المختلفة وحتى المتباينة، سواء أكان هذا التباين أفقيًا ، على مستوى الجماعات التي تعيش في زمن واحد و أو رأسيًا على مستوى الأجيال المتعاقبة .

ومع أن هذه المرونة في تحديد المفاهيم ، قد ترتب عليها مفاهيم للثقافة متعددة حسب اختلاف الحضارات واللغات ، ومتطورة حسب حاجات الكائن البشري الراقي ، فإن هذه المفاهيم تلتقي حول شيئين في رحلة التطور وتحديد المفاهيم .

أولهما : اتجاه الخط التطوري من عالم المحسوسات إلى عالم المجردات .

ثانيهما : اشتمال الجانب الحسي في مفهوم الثقافة ، على تهيئة المواد الطبيعية لتكون في خدمة الإنسان وحضارته .

(*) أستاذ بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة .

ومن هـذا المنطلق الأخير ، تمتـد الدائرة الحسيـة التي انطلقت منها مـادة الثقـافـة في اللغـة العـربيـة واللغـات الأوربيـة ، فإذا كـانت مـادة الثقـافـة عنـد «المحارب» العربي القديم ، كانت تعنى تهيئـة أغصان معينة مما تنبته الطبيعة ، لتكون صـالحة لاتخـاذها قِسيًّـا ورماحًا تسـاعد الإنسـان وتعينه على النصـر كما يتصـوره ، وكأن معنى « الثقاف » كمـا يقول صـاحب اللسان « حـديدة تكـون مع القواس والرماح يقوّم بهـا الشيء المعوج » ، فإن نفس الدائرة هى التي ينطلق منها المفهوم في اللغات الأوربية لمادة الثقافة Culture التي تعنى الزراعـة في الأصل ، والتي ماتـزال مستخدمة في بعض اشتقـاقاتها ، فعنـدما يراد الحـديث عن زراعة الزهور في الفرنسية يقال La Culture des Fleurs ، ولا تزال الأرض المزروعة تسمى Terain Cultivé ، فالثقافـة التي هيأت الطبيعة من خلال المزارع لكـي يستفيد بها الإنسـان في حياتـه ، هي التي هيأتها في مجتمع آخـر للمحارب لكي يـدافع عن هذه الحياة .

ولقد تطـور هذا المعنى الحسي من تهيئـة الطبيعة إلى تهيئة الإنسـان ذاته ، فأصبح تهذيب الطـاقات البشرية وشـحذ الملكات يسمى في العربيـة ثقـافة ، فكان يقـال : « ثقف الرجل ثقافة » أي صـار حاذقًا خفيفًا . وفي حديث الهجرة : « وهو غلام لقِنٌ ثَقِفٌ» أي ذو فطنة وذكـاء ، وفي حديث أم حكيم : « إني ثَقاف فما أُعلّم» . وأصبح توجيه هذه الطاقة توجيهًا معنويًا يحمل أيضًا ما كان يحمله .. التوجيه الحـسي من المصطلـح ، فتقول عائشـــة في حديثهـا عن أبي بكر وأقام « أوده بثقافة » تريد أنه سوى عوج المسلمين .

وقادت هذه الحلقة الوسطى مفهوم الثقافة من مجرد « تهيئة القدرات وشحذ الملكـة » إلى الإلمام بحصـاد ملكـات الآخرين ، ممـا دخل بـالثقافـة إلى دائرة المعـرفة الإنسانيـــة المنظمـة ، وأصبح معناهـا في العـربيـة كما يعبـر « المعجم الوسيط » : « العلوم والمعـارف والفنون التي يطلب الحذق فيها » وأصبـح معناها في الحضـارة الغـربيـة ، كمـا يعبـر عن ذلك معجم «لاروس » : « مجمل البنيـة

الاجتماعيــة والـدينية في تجلياتهــا الثقافيــة والفنيـة والتي يتميز من خــلالهـا مجتمع ما » .

وهذه الـدائرة الأخيرة هي التـي جعلت « الثقافة » تـدخل - كما ألمحنـا من قبل - في دائرة المفاهيم المشتركة التي يشتد شيوعها وتفتقر دائمًا إلى المناقشات الـرامية إلى الاقتـراب من حركـة تطورهـا الداخليـة ، وهي حركـة تبدو أقـرب إلى التيارات المـائية العميقة ، أو التقلصـات الجيولوجيـة غير المرئيـة ، تترك السطح هادئًا ، لا يكاد يحس بما يجرى تحته ، قبل أن تنشق فجأة عن تحولاتها الجذرية، وهذه التحولات هي التي تشكل ما نطلق عليه اليوم « التراث » ونعنى بالبحث عنه وتحقيقه .

إن الثقافـة العربية الإسـلامية ، شهدت كثيـرًا من مراحل التحـولات التي قد تبـدو في بعض المراحل هـامشية أو جـزئية ، ولكنهـا من خلال التـراسب تشكل تحولات رئيسية ، وهي من خلال هذه التحـولات تحدد موقعها المرحلي أو الدائم من الثقـافات الأخـرى فيتم التحـديد التلقـائي ، وربمـا غير المعلن في كثيـر من الأحايين ، لمـا يمكن أن يسمى بالثقـافات المكملة ، في الثقـافات المحـايدة ، والثقافات المضادة ، وهو تحديد يسـرى على مستوى الحاضر والماضي ، ويمتد تأثيره إلى تخطيط أهداف المستقبل .

ولقد بدأت التحولات مـن لحظة التقاء « الثقافة » العربيـة بالإسلام ، وتحول مفهوم المثقف بمعنى « الحاذق الفطن » كما كان يـألفه تراث ما قبل الإسلام إلى معنى « العـالم » بحصاد تفكيـر غيـره ، أي تحولت الثقـافـة من مجرد تفكيـر في الذات وقَـدْح لشرارتها إلى استضـاءة بشرارات الآخـرين وتجميع لها لكي تصبح نورًا تستفيد منه الجماعة ، وجاء إعلاء الإسـلام لكلمة « العالم » وفضـل الذين « يعلمـون » وقيمة « العلم » في كثيـر من مواطـن الكتاب والسنة ، بمثابـة حافـز دُفِعت الثقـافة بـه من مجرد كـونها تميـزًا فرديًـا إلى تحاور جمـاعي ، كما كـانت النصوص الـدينية نفسهـا إضافـة رئيسية كبـرى من حيث الكم لـرصيد الجمـاعة

الثقافي ، من حيث الحاضر ، وتوجيهًا لمسار التفكير الثقافي من حيث المستقبل ، ومن هنا اختلف مفهوم الثقافة العربية الإسلامية ، عن مفهوم الثقافة العربية فقط ، وهو اختلاف تحددت على الفور درجاته ، فهو ليس اختلافَ تضادٍّ بالضرورة ، ولكنه اختلاف يكون أحيانًا في درجة التكامل ، وأحيانًا في درجة الحياد ، وأحيانًا في درجة التضاد ، ولقد وقع معظم الجانب اللغوي الفني من الثقافة العربية (الجاهلية) في دائرة التكامل بالنسبة للثقافة العربية الإسلامية، وحظي الشعر على نحو خاص بدور مرموق في تفسيرات القرآن الأولى . فأدرج من خلال التكامل في تراث الإسلام ، ونُظر إلى المضامين الوثنية الصرف ، والمضامين الحاثّة على القيم الاجتماعية التي جاء الإسلام مُغيّرًا لها ، نظرة تضادية فلم تعد في تراث الإسلام حتى وإن تسرب بعضها إلى التشكيل الثقافي ، وترك الباب مواربًا أمام ثقافات أخرى حيادية كثقافة أهل الكتاب ، التي أصبح جزء منها يُشكل جانبًا من صلب الثقافة الإسلامية من خلال ورودها في الكتاب والسنة ، على حين تسرب جانب آخر من خلال « الإسرائيليات » التي لم تخل من العناصر المضادة والفيروسات التي تحاول تدمير الخلايا ، ولكن الجسد الحضاري كان في عنفوان صمته وكان قادرًا على الاستيعاب والإفادة والتجاوز .

مع حركة الاتساع للثقافة (العربية الإسلامية) التي تشكلت من مجمل الحوار الخلاق مع العناصر السابقة ، واجهت حركة « الثقافات الأخرى » وقد تمثلت بدورها في شريحتين :

(أ) شريحة الثقافة الهيلينية وعائلة الثقافات الشارحة أو الناقلة لها مثل الثقافة السريانية ، وهي ثقافات تتميز من حيث الشكل بالاختلاف اللغوي التام عن الثقافة الإسلامية (على عكس ثقافة الجاهلية الوثنية) وتتميز من حيث المضمون ، للوهلة الأولى ، باختلاط العناصر الوثنية والمسيحية بها ، وهي عناصر كان يمكن في مجملها أن تقود هذه الثقافات إلى دائرة الثقافة المضادة ، ولكن سعة النظرة ورحابة الأفق عند المثقف الإسلامي ، جعلته يلتفت إلى عناصر

التراث العقلي والفكري والفني ، وهي عناصر أهّلت كثيرًا من مفردات هذه الثقافات إلى التصنيف في الدائرة المحايدة أو الدائرة المكملة .

(ب) شريحة تراث ثقافات الشعوب الإسلامية غير العربية ، وهي شريحة تختلف عن الشريحة السابقة من حيث أنها لم تكن تعيش في بطون الكتب والترجمات فقط ، ولكنها كانت تحيا في خلايا العقول الحية وذكريات الماضي القريب ، ومن ثم فقد تم الحوار بين عناصر التضاد والتكامل الكامنة بها إزاء الثقافة الإسلامية ، وبقيت كثير من العناصر غير المرئية وغير المدونة التي شكلت مذاق ثقافة « المسلمين غير العرب » ثم تخللت هذه المزايا الثقافة العربية الإسلامية ، فأصبحت جزءًا منها ، وأصبح نتاج علماء كسيبويه وابن سينا وعبد القاهر وغيرهم جزءًا رئيسيًا من الثقافة العربية .

لقد بلغت الثقافة العربية الإسلامية أقصى درجات نضجها من خلال هذا الحوار الخلاق مع عناصر الثقافات الأخرى ، وأصبحت تشكل الصورة المشرقة لمجمل تراث الحضارات الإنسانية على مشارف عصر النهضة ، ومن هنا فقد نُظر إليها نفسها على أنها جزء رئيسي من مناطق إشعاع ترات الإنسانية على حاضرها وتشكيل مستقبلها ، ومن هذه الزاوية فإنه لا يمكن إنكار تأثير هذا التراث في نهضة الغرب ، وإسهامه في تشكيل يقظة العقل وإبعاد الخرافات وتوسيع قاعدة الاتصال الواعي بالماضي التي عدت من أسس النهضة الغربية المعاصرة .

غير أنه في أعقاب بلوغ هذه الجذوة مداها ، وانتقالها للتأثير الإنساني الواسع ، وصيرورتها جزءًا فاعلاً في نهضة أخرى ، تعرضت هذه النهضة في مواطنها الأساسية إلى ألوان من التجمد والانكماش وضيق الدائرة .

تعرضت أولاً لفترات من التوقف عن الاستمرار في العطاء المتجدد ، واكتفت في كثير من الأحايين بالاجترار ، وإن كانت بعض هذه الفترات قد أدت للتراث ذاته خدمة جليلة ، عندما لخصت أو اقتبست من كثير من المؤلفات

الكبيـرة التى تعرضت هي نفسهـا للتلف أو الضياع ، ولم يبق منهـا إلا ما حملتـه فترات التلخيص والاقتباس تلك .

ثم كـان التعرض لتقليص الـدائرة الواسعة التـي كانت مسـرحًا طبيعيًـا لهذه الثقافـة العربية الإسـلامية ، وهو مسـرح الدولـة الإسلامية ، التي اختفت صـورتها السيـاسية نهـائيًا في أعقـاب الحـرب العالميـة الأولى ، وتشكلت على أنقاضهـا تجمعـات سيـاسيــة ينطلق معظمهـا من أحـد العنصــرين فقط ، أو يتخلّى عن العنصرين جميعًا .

ثم كانت محاولـة « العرب » إنشاء لون من التجمع تحت مظلـة « الجامعة العربيـة » سنة ١٩٤٥ ، بعـد نحو ربع قـرن ، مضت بين الحرب العـالمية الأولى وقيام الجـامعة العربية ، وخـلا فيها هذا التجمع الذي ينتمي إلى تـراث واحد من كل صِيغ التنسيق المشتـركة ، ومن اللافت للنظـر إيجابيًـا ، أن يكون قـرار إنشاء معهد المخطوطـات العربية من أوائل القرارات التـي اتخذتها هذه الجـامعة سنة ١٩٤٦ ، وأن يقوم هذا المعهد الجليل خلال خمسين عـامًا من عمره بدور رئيسي وهـام في المحافظـة على فكـرة « التـراث المشترك » حيّـة ونـابضة ، وأن يحـاول إنعاشها دائمًـا من خلال رصد المخطوطات وتصـويرها وترميمها وكتابـة التقارير عن تجمعاتهـا في المناطق البعيـدة ، وطبع ما يستطيع أن يطبعـه منها ، والتنسيق مع المكتبـات العـالميــة والعـربيـة في هـذا الصـدد ، وإصـدار مجلـة علميـة للمخطـوطات ، والمشـاركة في إعـداد أجيال جـديدة من المحققين من خـلال دورات علمية جادة .

غير أن التـراث ومجال الحـركة فيـه رغم ضيقها خـلال الفترات المـاضية ، يتعرض الآن لموجـة قاسية من الهجوم المخطـط له بعناية ، وهو هجـوم ينبع كثير من دوافعه وخطواتـه من خارج هذا التراث وعلى يد من لا ينتمـون إليه لكن جزءًا آخر خطيـرًا يتم على يد أبنـاء هذا التراث نفسـه بوعي أو دون وعي ، وجـذور هذه

الموجة تمتد إلى سنوات الصراع الطويل منذ زمن الحروب الصليبية إلى سنوات الحرب بين دولة الخلافة الإسلامية والتجمعات السياسية في أوربا مرورًا بالعصر الاستعماري الذي كانت الدولة الإسلامية مسرحه الرئيسي وطعامه الملتهم ، وتنتهي في جولتها الأولى باقتسام تركة الرجل المريض ، اقتسامًا لم يُصَفِّ كل الخلاف بين المهاجمين أنفسهم فظلوا في تجمعات تتقابل في حذر وتتخذ بعضها بعضًا عدوًا لشحذ الأسلحة ، ويتخذون معًا أرض التراث العربي والإسلامي منطقة صراع تجرى عليها لعبة الشد والجذب ولا تنخلع فيها غالبًا إلا أذرع الضعفاء من أبناء عالمنا .

لكن هذه الخلافات وقد حُسمت الآن - ولو مؤقتًا - على نحو أو آخر ، اتفق الجميع على أن يكون « التراث العربي الإسلامي » هو العدو المعلن ، وأن توجه إليه كل قوى التدمير ، واتفق على أن يكون معنى « الأصولية » و « السلفية » و « الإرهاب » مرتبطًا بهذا التراث ، وأن يتم إقناع العالم بالتوحد ضده و إقناع أبنائه بالنفور منه والتبرأ من الانتماء إليه ، ليشرُف بصفة الانتماء إلى دائرة « المواطن العالمي المتحضر » ، في الوقت الذي يُشجع فيه التراث اليهودي الملاصق والمواجه والمنافس ، بأن يمثل الأصلَ البعيد للحضارات العتيقة ، والصورة العربية لاندماج الحضارات الحديثة .

وذلك الخطر الذي يشكل أزمة حقيقية للعمل التراثي ، ينبغي أن يواجه بتخطيط ثقافي واعٍ يوجه إلى الداخل قبل أن يوجه إلى الخارج ، ويفرق بين مفاهيم الأصالة والجمود ، ويتوجه إلى العمل التراثي نفسه بالتجلية والتحليل واستقصاء العناصر التي يمكن أن تواجه عقل المثقف اليوم وليس عاطفته فقط ، والحرص في المستويات الأكاديمية العالية على رموز هذا التراث وروحه ، والنهوض بفكرة التحقيق وقيمتها العلمية ، واعتبارها هدفًا ينبغي التخطيط له في وعي من أجل الحصول على نتائج معينة محدودة في مجالات تعرف سلفًا وتغطي جوانب الآداب والعلوم الدينية والاجتماعية والتراث العلمي والفني ، ويتم

التنسيق بين المجهودات في هذا الصدد من خلال الوسائل العلمية الحديثة ، كما ينبغي الاعتناء بمكانـة تحقيق المخطوطات في الرسـائل الجامعية التي ينبغي في بعض التخصصات أن يوجه الطالب إليها فى إحدى رسالتيه على الأقل ، وكذلك في الترقيات الجامعية التي ينبغي أن تفسح مجالاً لائقًا لجهد التحقيق العلمي ، بل إنـه قد يكـون علينا التفكير فـي الطريقـة التي نقرب بهـا التراث والمخطـوطة القديمـة إلى التلميذ الصغير لكيلا تفلت مـن روح الأمة قيمة التراث الـرئيسية في تشكيل ثقافتها .

* * *

أزمة العمل التراثي :

الملامح والأبعاد والمسؤولية

د. الطاهر أحمد مكي (*)

يضم التراث القومي العربي عنصرين أساسيين متكاملين لا يغني أحدهما عن الآخر : التراث المادي ممثلاً في المساجد والقلاع والحصون والمدارس والمشافي والأسبلة ، وغيرها من المقتنيات الفنية ويبقى شاهدًا ملموسًا على منجزات الحضارة العربية ، وما أسهمت به في مختلف العصور الإسلامية في تقدم الحضارة الإنسانية .

ويتمثل العنصر الثاني في التراث الثقافي الذي أبدعه أسلافنا ، درسًا أو تأليفًا ، في مجالات الفكر والعلم والأدب ، وتحمله آلاف المخطوطات العربية القابعة في المكتبات ، على امتداد العالم ؛ طبعت أو لما تزل مخطوطة ، في مكتبات عامة ، معروفة ومفهرسة ، أو في مكتبات خاصة ، نعرف الكثير منها ، ولكننا نجهل الكثير أيضًا . وهذا التراث الثقافي جدير بالحماية ، وأن نضفي عليه من الأهمية والرعاية ما نضفيه على التراث المادي ، وربما كانت حاجته إلى هذه أكثر ، لأنه أكثر تعرضًا للتلف والهلاك والضياع .

في التراث العربي المكتوب تتجلى حضارتنا واضحة هذه التي تضرب بجذورها في أعماق التاريخ ، كانت في البدء حضارات شتّى ، ثم انصهرت

(*) أستاذ بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة .

جميعها ، عبر القرون ،في الحضارة الإسلامية ، التى جمعت شمل هذه الأمة ، وجنبتها الفرقة والضياع .

وفي هذا التراث تلتقي القضية المثارة الآن : الأصالة والمعاصرة بشقيها .

فالوجه الأول : وهو الأصالة ، يتمثل جليًا واضحًا في تراثنا المكتوب ، ونملك منه قدرًا هائلاً استقر في عشرات الألاف من المخطوطات ، موزعة في حواضر المدن الإسلامية كلها ، لا نستثني منها مدينة كبيرة ، رغم ما اندثر من هذه المخطوطات نتيجة الفتن والاضطرابات والحروب ، خلال الغزوين المغولي والصليبي ، وما أحدثاه من تدمير في مكتبات العراق والشام ، وما سببته الفتن خلال عصر الطوائف في الأندلس ، أو ما أحرقه الإسبان غداة انتصارهم النهائي في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي إلى جانب ما سُرق أو نُهب من أعداد ضخمة ، وانتهى به المطاف في المكتبات والمتاحف الأوربية بخاصة .

وأما المعاصرة ، وهي الوجه الثاني ، فتتمثل في أننا يجب أن نصل إلى هذا التراث الضخم بكل ما استجد في عصرنا الحديث من أجهزة ومناهج ، تصويرًا وبحثًا وتحقيقًا ونشرًا ، حتى نزيل عنها غبار النسيان ، ونردها إلى صورتها الأصيلة ، ونجعل منها موضعًا للدراسة الجادة ، فتصبح جسرًا إلى الحاضر ، وتربط بين ماض مجيد ، ومستقبل نأمل أن يكون زاهرًا ، وتصبح سجلاً للتطور الفكري والثقافي وحصاد مئات السنين من المعرفة الجادة المتعمقة ، وأن نبعث الحياة في القوة الكامنة فيها ، لتكون لنا مرشدًا وهاديًا .

أول ما يجب أن يسترعي اهتمامنا في المخطوطات التي نملكها ، عامة وخاصة ، أنها في حاجة قصوى إلى مزيد من الصيانة والحفظ السليم ، وأن يرمم علميًا ما وهن منها ، لأن المخطوطات حساسة بطبيعتها ، ويؤثر عليها مرور الأيام تأثيرًا سيئًا فيعرضها للتلف ، ولعوامل ضارة متعددة ، تعمل منفردة أو مجتمعة ، وترتبط بالتفاعلات التي تحدث بين مادة المخطوطات والبيئة المحيطة بها ، ويبدو ذلك واضحًا حين تكون ظروف تخزينها أو عرضها غير ملائمة لطبيعتها ،

كعدم توفر درجة الحرارة الصالحة للحفظ ، وعدم التحكم في الرطوبة والإضاءة غير المناسبة ، وعدم تجديد الهواء ، وتحلل الغازات ، وكلها تترك أثرها في مادة المخطوط نفسه فتظهر فيه البقع ، وتتحلل الأحبار .

وقد يتعرض المخطوط لعوامل حيوية شديدة الخطر ، تنجم عن تأثير الجراثيم والفطريات والحشرات . وكل هذه العوامل أوجد لها العلم الحديث علاجًا ، ووسائل مقاومة ، علينا أن نتابعها في مصادرها ، وأن نأخذ بها .

وهناك عوامل وليدة الإهمال والتقصير في التناول والعرض ، والتعامل مع المخطوطات ، يمكن القضاء عليها أو التخفيف منها ، بتنمية الوعي بأهمية المخطوط وضرورة المحافظة عليه .

إن ترميم المخطوطات عندنا لا يزال يجرى بطريقة قديمة ، على حين أن هذا الجانب العملي المهم تقدم كثيرًا عند غيرنا ، فهو عندهم يرعى طبيعة المخطوط ونوعيته ، وخصائص الحالة المطلوب ترميمها ، وتوفير معالجة خاصة للمخطوطات المزخرفة والمذهبة وذات التصاوير الملونة ، ويحرص على ألا يمس الترميم خصائص المخطوط . وهو أمر لن نتوصل إليه إلا عن طريق توفير الخبراء المتميزين ، من ذوى الخبرة الواسعة ، والتجربة التطبيقية ، و إيفاد العاملين في هذا المجال في بعثات لتلقي الدراسات العلمية الحديثة ، والتدريب العملي المثمر ، إلى جانب إقامة معامل حديثة ، تستخدم طرائق التكنولوجيا المتقدمة .

ذلك فيما يتصل بالحفظ والصون والرعاية ، وهي خطوة أولى يجب أن تتبعها خطوات .

الأولى : الحاجة إلى التسجيل والفهرسة لما عندنا على نحو عصري ، لأن ما نملكه من مخطوطات أكثر ، دون تسجيل علمي أو فهرسة أو جدولة ، أو تصنيف يسمح بالتعرف عليه والتعامل معه ، وبهذا نيسر للعلماء البحث في

محتـويات هـذه المخطوطـات أو تحقيقهـا ، والقليل المفهرس يتم بطـريقة لمـا تســتخدم أجهـزة المعلومـات المتطـورة في الـرصـد والوصف والإعـارة وتقـديم المعلومة ، إلا في بعض المكتبات الحديثـة جدًا ، والتي لا تتضمن شيئًا يذكر من المخطوطات .

وبهذه المناسبة أذكـر بأن القوانين الدولية ، والاتفاقيات العلميـة ، كاتفاقية منظمة اليونسكـو لعام ١٩٧٠ تشترط لاسترداد التراث المنهـوب أن يكون مسجلاً في وطنـه تسجيلاً يـوضح معـالمه ، ليكـون بمنـزلة مستنـد قـائم بملكية التـراث المنهوب أو المهـرَّب ، ومن ثم يجب فهـرسة كـافة المخطـوطات العـربية عـامة وخاصـة ، فهرسة تعتمد على التكنـولوجيا الحـديثة ، تسمح عند الحاجـة بتقديم بيانات كاملة عن هذه المخطوطات ، تشمل اسم مؤلف المخطوط واسم ناسخه ، وعنوان المخطـوط واللغة المستخـدمة ، وأسلـوب الخط ، ونـوع الحبر ، وطـريقة المسطرة وكيفية الاستهلال والخاتمـة ، وتاريخ النسـخ إن وجد ، بجانب الأوصاف الأخرى التي يلزم تسجيلها والتعريف بها .

الثانية : تطوير الاهتمام بالمخطوط ، فالطـريقة المتبعة عندنا تكاد تنحصر في تصويرها على الميكروفيلم مقاس ٣٥م . في نسخ سلبية أو موجبة ، يستخدمها الباحثـون مستعينين بآلات قراءة المصغرات ، وبمـا أن الأفلام لها عمـر افتراضي محدود ، وتحتـاج إلى الحفظ في درجـات حرارة ورطـوبة مـلائمة ، وإلى رعـاية خاصة عند تداولها والتعامل معها ، فقد أدى ذلك إلى فساد وتلف الكثير من هذه الأفـلام ، التي لا تتوافـر الآن إلا في أمـاكن محدودة ، لأن معظم المكتبـات التي لديها مخطوطات ليس لديها نسخ لها سلبية أو موجبة .

وأطمح أن نصل إلى طريقة الأقراص المليزرة وغيـرها من الطرق المشابهة ، والتي تسمح لنا بـالتعرف على المخطوط على أكمل وجه ، ولا تحتـاج إلى أماكن متَّسعـة للحفظ ، ويمكن أن تستخـدم بدل المخطـوطـة الأصليـة عند الـدراسـة والتحقيق ، مما يحفظها من التلف .

الثالثة : تصوير المخطوطات الموجودة في مكتبات العالم عن طريق رسمي، وتيسير سبل الحصول عليها للباحث العربي ، لأن وصول الباحثين العرب إليها بصفتهم الشخصية فوق طاقتهم أحيانًا ومرهق أحيانًا أخرى ، ومستحيل في بعض الحالات ، على أن تتضمن المعاهدات الثقافية المتبادلة بين البلاد العربية والدول الأجنبية المختلفة مواد تنص على تيسير هذا التبادل . ولا أود أن أفيض في الحديث عن مخطوطاتنا الموزعة عبر جهات الدنيا الأربع ، ويكفي أن أشير إلى أن مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي التي أنشأها في لندن الأستاذ أحمد زكي يماني قامت بعمل مسح شامل للفهارس التي عرضت للمخطوط الإسلامي ، المكتوب بالحرف العربي ، منشورًا وغير منشور ، قام على تصنيفه جماعة من العلماء العارفين ، ظهر منه ، جزءان كبيران ، تضمنا وصفًا لفهارس هذه المخطوطات في ست وستين دولة ، ثم قال الناشرون إن وصف فهارس ليبيا وموريتانيا والفلبين ، سوف يتضمنه الجزء الثالث .

الرابعة : هناك مسئولية كبرى تجاه ما وصلنا من مخطوطات لا تقل أهمية عن صيانتها والترجمة لها وتصويرها ، وهي العمل على تحقيق هذه المخطوطات ونشرها ، لأن ذلك هو الثمرة الحقيقية لكل ما سبق . ويقتضي ذلك توفير المتخصص القادر الكفء ، عن طريق إعداد كوادر متمرسة متمكنة من العلوم المتخصصة المرتبطة بالتحقيق ، كعلم الخطوط القديمة ، وأشكال الخطوط العربية وهي كثير ، وبعضها معقد فنيًا ، ومعرفة تاريخها ، والتمكن من الثقافة العربية والحضارة الإسلامية ، والوعي بطريقة صناعة المخطوطات في العصور المختلفة ، والبيئات المتنوعة ، والإلمام بعصر المؤلف سياسيًا واجتماعيًا وثقافيًا، وبسيرته الذاتية ، حياتيًا وفكريًا ، وبلغة العصر وأسلوب المؤلف ، وأن يكون المحقق قادرًا على تقديم المخطوط وتصنيف مادته ، وإضافة ما يحتاجه المخطوط من علامات وترقيم ، وضبط الأسماء والمصطلحات ، والتعريف بالأعلام الواردة فيه ، وشرح الألفاظ الغريبة ، أو ذات الدلالات الخاصة ، في

الهـامش . وكل ذلك يتطلب مـواهب خاصـة وقـدرات عاليـة ، ومعـرفة واسعـة ، وتدريبًا خاصًا ، وتفانيًا مخلصًا .

ويـدخل في هــذا النطـاق أن تهتم الجـامعـات بأمــر المخطـوطـات في الدراسـات العليا ، تعـريفًا وبحثًـا وتحقيقًا ، وأن تشجع وزارا ت الثقـافة ، أو من يتولى أمـرها ، على عقـد المؤتمـرات والحلقات الدراسيـة ، والندوات التـدريبية المتعلقة بها ، وأن تجعل هذه الكتب المحققة في تناول الراغبين من القراء تواجدًا وأسعـارًا ، وأن تعيـد طبـاعة مـا حقـق ونـفدت طباعتـه . وأن تستصدر كل دولـة عربية من القوانين ما يحمي تراثها الثقافي ، بما فيه المخطوطات ، وهو ما تضمنه في مصـر القـانون رقم ١١٧ لسنـة ١٩٨٣ ، الخـاص بحمـاية الآثـار ، إذ نصـت المادة الأولى منـه على مايلي :

« يعتبر أثـرًا كل عقار أو منقـول أنتجته الحضـارات المختلفة ، أو أحـدثته الفنـون والعلوم والآداب والأديـان من عصـر مـا قبل التاريـخ ، وخلال العصـور التاريخيـة المتعاقبة ، حتى مـا قبـل مئة عـام ، متى كانت له قيمـة أو أهمية أثرية أو تاريخية باعتباره مظهرًا من مظـاهر الحضارات المختلفة التي قامت على أرض مصر ، أو كـانت لها صلة تـاريخية بها » . وتنـص الماة ٤١ من هذا القـانون على معـاقبة من يقـوم على تهريب أثـر إلى خارج الجمهـورية ، أو كمشتـرك في ذلك بالأشغـال الشاقة المـؤقتة وبغرامـة لا تقل عن خمسة آلاف جنيه ، ولا تـزيد على خمسين ألف جنيه . كما تعاقب المادة ٤٢ مـن ذلك القانون بالسجن مدة لا تقل عن خمس ولا تزيد على سبع سـنوات ، وبغرامـة لا تقـل عن ثلاثة آلاف جنيـه ، ولا تزيـد على خمسين ألف جنيه على كل من سـرق أثرًا أو جزءًا من أثـر مملوك للـدولـة ، أو قـام بإخفـائه ، أو اشترك في شيء من ذلك . ويحكم في المـادتين السـابقتين بمصادرة الأثـر محل الجـريمـة ، وكذلك الأجهـزة والأدوات والآلات والسيارات المستخدمة في الجريمة لصالح الهيئة .

وتبقى الخطوة الأخيرة :

نحن أمة واحدة ، ذات حكومات متعددة ، تملك تراثًا واحدًا ، ومن ثم يتطلب الأمر قيام جهة واحدة على مستوى العالم العربي كله تنسّق وتوجّه وتعاون ، ومعهد المخطوطات العربية في جامعة الدول العربية أهلٌ لهذه الرسالة ، وأنشئ لهذا الغرض .

لقد أصدرت جامعة الدول العربية قرارًا بإنشاء المعهد في ٤ إبريل ١٩٤٦، وأن تكون مهمته جمع فهارس المخطوطات العربية ، وتوحيدها في فهرس عام للمحافظة عليها ، كما قرر مجلس الجامعة في عام ١٩٥٥ توصية الحكومات العربية بتسجيل ما لديها من مخطوطات تسجيلاً علميًا دقيقًا وشاملاً ، مع وضع فهرس شامل لجميع مصادر الثقافة العربية ومراجعها المحفوظة . وقد قام المعهد بدور رائد في مجال التراث العربي والإسلامي ، واضطلع بتصوير كثير من المخطوطات العربية التي في كثير من المكتبات الأوربية والعربية ، وكانت مجلته نافذة مضيئة وهادية على حركة المخطوطات العربية في العالم كله ، عربيًا وأجنبيًا ، وأدى مهمته في كفاءة عالية ، بالقدر الذي سمحت به إمكاناته وحداثة عمره ، وكان الأمل فيه كبيرًا .

ولكن الأحداث السياسية التي لفّت حياة الأمة العربية في الثلاثين عامًا الأخيرة ، وشغلت جامعة الدول العربية نفسها حينًا ، وأدت إلى اختلاف الرأي أحيانًا ، ألقت بظلّها على حركة المعهد ، في وقت يشهد فيه العالم تفجر المعرفة ، وتقدم التكنولوجيا المذهل ، فلم يستطع اللحاق بكل ذلك ، لم ييأس ولم يتوقف ، ولكن حركته أبطأت في وقت كان يجب فيه أن تسرع ، في عالم يلهث وثبًا إلى الأمام ، وأن يوظف الآلة التي تختصر الزمن .

والآن ، ونحن نحتفل باليوبيل الذهبي للمعهد ، أملنا كبير في أن يتجاوز الحاضر إلى مستقبل أرحب وأزهر ، فيؤكد بدوره ورسالته وحدتنا الثقافية ، التي

هي طريقنا إلى توحيد الوجدان العربي ، وحين يتحقق وجداننا تتحقق وحدتنا الشاملة ، تحت أية راية قانونية كانت .

والدعوة موجهة إلى كل مؤسساتنا الرسمية والشعبية ، محليًا وقوميًا ، أن تبذل كل ما في وسعها لدعم المعهد بمختلف الوسائل المادية والأدبية ، وننتهز الفرصة لنذكر بالشكر والتقدير والعرفان صفوة العلماء العرب الذين عملوا في المعهد جنودًا مجهولين على امتداد نصف قرن من الزمان منذ إنشائه ، حتى يومنا ، وخَلَفَهم الذي يضطلع بالرسالة نفسها ، وأن يكتب الله لهم التوفيق في مهمتهم السامية النبيلة .

* * *

مداخلات وتعقيبات

□ **د. حسين نصّار**

في الحقيقة لا أدرى ماذا يُراد بكلمة التعقيب ، لأني أرىٰ أن ما قاله الصديقان المحاضران غاية في الأهمية والوضوح والصواب . ويبدو أنني سأفعل ما فعله د. أحمد درويش ، وأتحدث عما يجاوز موضوع المخطوطات إلى موضوع التراث بعامة .

النهضة الحديثة ، بدأت بعصر محمد علي ، أو القرن التاسع عشر ، وبدأت بإنشاء مطبعة بولاق الأميرية ، وعندما ننظر إلى أول ما أنتجته هذه المطبعة ، نجد صنفين من كتب تخرجهما : كتب التراث ، وكتب العلوم الحديثة .

وكأن النهضة لابد أن تقوم على رجلين اثنتين ، لا رجل واحدة ، وأنا أعتقد أن عبارة شاعت بيننا في السنوات الأخيرة كانت السببَ في بلبلة كثيرة ، وسوءِ فهم لكثير من الأمور ، هذه العبارة هى الأصالة والمعاصرة ، باعتبار أنهما متناقضان ، وإن لم يكونا - على حد تعبير د. درويش - متكاملين ، فلن توجد حضارة .

نحن في مصر - أتكلم عن الصعيد بالذات - لم نكن نفرق بين عربي ومسلم على الإطلاق ، سواء أكان من الصين أو من وسط إفريقيا ، أو من أي مكان من العالم ، مادام أنه مسلم نتعامل معه على أنه عربي .

وأذكر أنى دُهشت دهشة كبيرة حينما زارني أحد طلبتي في الجامعة ، وكان مسلمًا من السنغال ، وتحدثت معه على أنه عربي ، فإذا به ينتفض قائلاً : إننى لست عربيًا . فقلت له : إننا في مصر لا نفرق ، ونعتبر كل المسلمين عربًا ، إلا إذا عادَوْا العروبة .

فكل التراث العربي تراث مشترك ، هو عربي باللغة ، ولكن الذين أنتجوه من جميع أنحاء العالم ، إن لم يكونوا غير عرب أصلاً ، أى من أب وأم غير عربيين ، أو جد غير عربي ، أو جدة غير عربية .

أذكر من أجل العناية بالمخطوطات والعناية بالتراث ، أن أستاذنا أمين الخولي ، أيام أن كنتُ أعد الماجستير ، فرض على كل واحد منا ألاّ تناقش رسالته ، مهما كان موضوعها ، إلاّ إذا قَدَّم جزءًا مخطوطًا محققاً . وعلى الرغم من أن رسالتي كانت عن نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي ، قدمتُ جزءًا مخطوطًا محققًا من كتاب الممتع في الصرف ، لابن عصفور أو لأبي حيان ، لا أذكر . وأذكر هنا أن مما يؤسف له حقًا أن بعض الجامعات المصرية ، إلى عهد قريب ، كانت لا تَقبل أن تُؤَدَّىٰ الرسالة فيها تحقيقًا لمخطوط .

الحقيقة ، إن الحضارة الإسلامية أو العربية في عزِّ قوتها ، استطاعت أن تطهِّر ما وصل إليها ، كما فعلت في الحضارة الجاهلية ، فاستطاعت أن تنفِيَ ما يتعارض مع المبادئ الأساسية للإسلام ، وأن تتقبل غير ذلك ، وأن توجِد تراثات مختلفة في الأمصار العربية المختلفة . والزملاء الثلاثة يعرفون كلمة الحِداد ، وهو لبس السواد في المشرق ، ولبس البياض في الأندلس ، ولا هذا ولا ذَاك يتنافر مع الإسلام . إذاً هناك قيم قد تختلف ، ولا يعارضها الإسلام في شيء ، مادامت لا تعارض مبدأً أساسيًا فيه .

أنا أعُدُّ من أحسن الكتب التي أصدرها د. طه حسين ، كتاب « صوت أبي العلاء » . والأمر الذي آسف له ، أنني بدأت أقرأ ديوان أبي العلاء صغيرًا في المدرسة الثانوية ، ففزعت منه وتركته وصدَّت نفسي عنه ، ولم أستطع أن أعود إلى أبي العلاء ، إلا بعد أن قرأت كتاب د. طه حسين . وهذا مصداق ما قاله الزميل د. أحمد درويش .

وأحب أن أُقسِمَ التـراث – في الحقيقة – إلى قسمين آخريـن ، تراث داخلى وآخـر خارجي . وأقصـد بالتـراث الداخلي ، ذلك التـراث الذي يجعل المصـري يسلك سلوكـه المعروف . إنـه التراث المـوجود فى وجـدانات كل منـا ، ويجعلنا نفكر ونسلك اجتماعيًا سلوكًا يختلف عن غيرنا .

أذكـر في يـوم من الأيام ، كنت أتحـدث مع أحـد الألمـان ، فطلب مني أن أعمل شيئًـا ، فقلت له : « إن شـاء الله » . فإذا بـه يُذعـر ، فقلت : لماذا ؟ فقـال : معنى ذلك أنك لن تفعله ، فقلت لـه : لا ، المسلم الحق إذا قال « إن شاء الله » ، معناه أنه سيفعل .

ونرجع إلى التراث الخارجي ، التراث بجميعـه الذي أعطانا د. الطاهر مكي تصنيفًـا له في أول كلمتـه . الهجمة الأخطـر ليست على تراثنـا الخارجي ، وإنمـا على تراثنـا الداخلي ، مجموعة القيم التي نـؤمن بها والتي توجهنا في سلـوكنا هي المهاجَمة ، وهي مهاجَمـة قد تكون خفية أكثر من الهجوم علىٰ تـراثنا الخارجي ، وإذا أضعنا قيمنا الداخلية ، ضاع بالتالي تراثنا الخارجي دون أن نشعر .

لدي بعض الأمنيات ، بـاعتباري تولّيت معهد المخطوطات العـربية في يوم من الأيام ، فقد أوصيت منذ السبعينات ، ومـا زلتُ أوصِي ، ألا يكون هناك اختيار في التصوير ، وأن تصور جميع المخطوطـات . وأنا أقول : لا يوجد على الإطلاق مَن أطمئن وأكِل إليـه عملية الاختيار . سيختـار ما هـو متخصص فيه ، أو مـا هو قادر علىٰ أن يحكم عليـه ، ويترك الآخر ممَّا قـد يكون له قيمـة في تخصص آخر تفوق جميع ما اختاره .

لذلك عنـدما عقـدتُ ندوة للمخطـوطات في بغـداد في السبعينات ، قـررنا تصوير جميع المخطوطات الموجودة في العالم تدريجيًا .

ومن أكبـر النقـائص التي وقع فيها معهـد المخطـوطـات ، أن بدأ بتصـويـر المخطوطـات الموجـودة في دار الكتب المصرية ، وكـان يجب أن يصور مـا هو

خارج مصر ، فالخطة التي يجب أن توضعَ ، تـوضعُ لتصوير المخطوطات العربية في العالم ، ويُبدأ بجزء فجزء ، والبلد التي يُذهب إليها تصور جميع مخطوطاتها ، أو جميع مخطـوطات مـدينة من مـدنها ، ثم مـدينة أخرى ، وهكذا . أمـا عملية الاختيار هذه فعملية تضليل .

□ د. محمود محمد الطناحي :

د. أحمد درويش في آخر بحثه اقترح أن يُفسح لتحقيق المخطوطات مجال للدراسات العليا في إحدى الرسالتين ، وفي الترقيات الجامعية .

في الحقيقة ، الجامعـات المصرية فتحت صدرهـا منذ زمن لقبول التحقيق في سبيل الحصول علـى الشهادات العليا ، ولكنهـا ترفض التـرقيات على تحقيق النصوص .

وأمـر آخـر ، إن د. أحمـد درويش يـدعـو إلى العنـايـة بتـدريس علم المخطوطـات في الـدراسات العليا . والحـق أن الأستاذ عبـد السلام هـارون كان يـدرس تحقيق النصـوص ونشـرها في الخمسينـات بكليـة دار العلـوم ، ثم عُطل تـدريس هذا العلم . وفـي الجامعـات مَن حـاربوا تـدريس هـذا العلم والعنايـة بـالتراث ، ويقـولـون : إن من يقـرأ التـراث ، ويترك كتب المُحـدَثين ، كمن يتـرك الطبيب ويذهب إلى حلاق الصحة .

وبجانب ذلك يـوجد أساتذة جامعيـون ممن يعتنون بهذا العلم ، كـالدكتور الطاهـر مكي في كتابـه « دراسة مصـادر الأدب » ، فقد كتب مئـة صفحة في أول كتابـه عن علم المخطوطات وجَمْعها وتـوثيقها ونسخها . ويُدَرَّس هـذا بكلية دار العلوم لشعبة الدراسات الأدبيـة فقط ، والحق أن يُدَرَّس للدراسات العليا بجميع شعبها وتخصصاتها .

وكذلك د. رمضان عبد التواب ، في جامعة عين شمس ، يُدَرِّسُ هذا العلم ويدرِّب طلبته على قراءة المخطوطات .

أما مسألة اختيار المخطوطات للتصوير التي يرفضها د. حسين نصار ، فمن خلال تجربتي في بعثات معهد المخطوطات ، أرى أنه من الصعب علينا أن نصور كل ما نجد ، لأن الوقت ضيق والركام كثير . لابد من معايير الانتقاء ، كالندرة والنفاسة ، والنسخة التي كُتبت بخط المؤلف ، والنسخة التي كُتبت في عصره ، والنسخة التي عليها قراءات وسماعات . أما لمن نَكِل هذا الاختيار ، فإن الذي يختار يجب أن يكون ذا نظرة شمولية . فالأستاذ رشاد عبد المطلب والأستاذ عصام الشَّنْطِي ود. عبد الفتاح الحلو ، خرجوا بعلم عن نفاسة المخطوطات ، وكانوا يختارون من النحو ، كما كانوا يختارون من التاريخ والطب . فالاختيار مطلوب ، لكنه موكول إلى ثقافة المفهرِس ، وثقافة المفهرِس الأساس فيها أن تكون عامة ، ويختار النفيسَ في كل علم .

□ أ. فيصل عبد السلام الحفيان :

إن الدورات التدريبية التي ينظمها المعهد ، مازالت قائمة ، ومدرجة في مشروعاته. ونَفَّذ المعهد منها سبع دورات حتى الآن ، في شئون المخطوطات من فهرسة وتحقيق وغيرها من شئون التراث العربي . وإن هناك مَن انتفعوا منها من المتدربين العرب .

□ أ. عصام محمد الشَّنطِي :

إن قصور الدورات التدريبية لا ينصرف إلى المعهد ، في الدرجة الأولى ، كما أوضحتُ أمس ، فالمعهد يصرف نفقات عالية جدًا على الدورة ، ويختار أساتذة متخصصين ، لكن الطلابَ غير متخصصين ، ولا مؤهلين لهذا العلم . الدول العربية كانت ترشح من لم يعمل في المخطوطات ، وحين يعودون لا يعملون فيها . وهذه معرفة شخصية لكثير ممن تدربوا على أيدينا . الحل

الصحيح - في رأيي - هو مشروع قومي عام ، يسّط التراث كما قال د. أحمد درويش ، مع التزام الدول العربية بشروط الترشيح للدورات التدريبية ، وعدم تهاون المعهد في ذلك .

□ د. محمود محمد الطناحي :

إن آفة الدورات أن الدول العربية كانت ترشح لها موظفين ، والموظف يحرص على أن يقدم تقريرًا ، لا أن يحصل عِلمًا .

□ أ. فيصل عبد السلام الحفيان :

ليس كل المتدربين موظفين ، وأنا أعرف متدربين عَادوا إلى بلادهم وفي جَعْبتهم الكثير من الفوائد ، وهم الآن يحققون كتبًا في التراث ، على مستوى جيد ، وينشرونها .

* * *

الجلسة الرابعة

البحث السابع :

معهد المخطوطات العربية :
معالم جديدة على طريق المستقبل

البحث الثامن :

علاقات المعهد مع مراكز التراث
ودوائر الاستشراق : واقع وآفاق

مداخلات وتعقيبات :

د. محمود محمد الطناحي .

د. يوسف زيدان .

د. عادل سليمان جمال .

د. عبد اللطيف إبراهيم .

أ. أحمد محمد عيسى

تغريد داود .

د. حامد عبد الرحيم .

معهد المخطوطات العربية :
معالم جديدة على طريق المستقبل

د. يوسف زيدان(*)

تمهيـــد : أعتقـد أن كل مشـتغلٍ بالتراث في الوطن العربي ، يعتـرف على نحـوٍ مـا ، بفضـل معـــهد المخطـوطـات العــربية في دفـع العمليـة التـراثيـة (فهرســـةً وبحثًـا وتحقيقًا) على امتـداد العقود الخمسـة الماضيـة . فمن خلال نشـرات المعهد ، وإصـداراتـه مـن الكتب المحققـة ، وبحـوث مجلتـه ، وفهـــارس المكتبـات، وخدمات الإطلاع والاستنســاخ .. إلخ ، استطاعت هذه المؤسسة الثقـافية العربية أن تظلّل الباحثين تحت سقفٍ واحدٍ من العمل التراثي الجاد . حتى إنه بمقارنة ما قدَّمه المعهد علىٰ أرض الواقع ، بما قدَّمته المؤسسات السياسية ، يدفعنا للقول بأن ما حقّقته الجـامعة العربية – منذ نشأتها – على صعيـد العمل الثقافي ، يفوق بمراحل ما قدَّمتـه في المجال السياسي .. وما ذلك بالمستغرب ، فـالبلاد العربية توحّـدها (الثقـافة) بأكثر ممـا تتَّحد تحت مظلـة السياسات ! والثقـافةُ بـاقيةٌ ، والسياسـاتُ عُرضـةٌ للتبدُّل ومـداومة التغيُّـر في المواقف .. وعلـى أيِّ الأحوال ، فليس موضـوعنا هنا هو المقـارنة بين « السياسي » و « الثقافي » العـربي ؛ وإنما هى محض إشـــارة إلىٰ أولـوية الثقـافي علـــى السيـاسي ، كمقدمـة للكـلام عن المستقبل .

(*) مستشار التراث والمخطوطات بهيئة مكتبة الإسكندرية .

والبُعْدُ المستقبليُّ ، بوجهٍ عام ، من الأبعاد المهمَّشة في منظومة فكرنا العربي المعاصر ، رغم أهميته البالغة - خاصةً في عصرنا الراهن - ولذا فقد شعرتُ ، ونحن نتعرَّض لمسألة (معهد المخطوطات) بأهمية تناول هذا البعد المستقبلي بالنسبة للمعهد ، وضرورة طرح مجموعة من التصورات التي أطمح أن تكون بمثابة برنامج عمل للمعهد في خمسين سنةٍ تالية ، بعد خمسين سنةٍ فاتت .

ولا يمكن تقديم (تصورات مستقبلية) على نحوٍ ذي بال ، أعني على نحوٍ يستحق النظر ، والمناقشة ، ثم التنفيذ .. دون انطلاق هذه التصورات المستقبلية من حقائق العصر وملامح المستقبل . فلابد أولاً من إلقاء نظرةٍ شاملةٍ على واقع الحال ، واحتمالات الآتي ، وفي ضوء ذلك : نرسم خطوات المستقبل .

أولاً : في طبيعة العصر الحالي وملامح العقود المقبلة :

يتَّسم المشهدُ (العالمي / العربي) اليوم بجملة صفات ، هي الناتجُ الطبيعيُّ لحركة التغيُّر الإنساني على الصعيد القطري والعالمي .. فمن جملة الملامح العامة للمشهد الثقافي :

(أ) المعلوماتية :

نحن نعيش ، بحق ، عصر المعلومات . فمن تدفُّقٍ هائل للمعلومات عبر الشبكات المحلية والعالمية ، إلى حشدٍ هائل لملايين المعلومات في قواعد البيانات الكمبيوترية (الحاسوبية) إلى آلاف الساعات من البثّ التلفزيوني المنهمر من الأقمار الصناعية ، إلى قدرةٍ فائقة على استحضار المادة المعلوماتية عبر قنوات اتصال فائقة السرعة كالفاكس والبريد الإلكتروني ، إلى عشرات الكتب ودوائر المعارف المضغوطة على قرصٍ أسطواني رقيق .. إلى غير ذلك من تجليات عصر المعلومات .

وبإمعان النظر في هذا الملمح الأساسي للعصر ، يتضح لنا أن «المعلوماتية» ليست منجزات تقنية في تلك المجالات ، فحسب ، بل المعلوماتية

أولاً : أسلوبٌ للتفكير ، ونظامٌ إدراكي ؛ يخالف ما درجنا عليه طيلة المراحل السابقة . ولقد عانيت ذلك وعانيته بالفعل حينما ابتدأت في العمل على الكمبيوتر ، في مجال التراث ذاته ، فوجدتُ الأمرَ يمتد في غوره حتى يصل لنظام التفكير ذاته .. مثال ذلك : أننا فيما سبق ، كنا نرتكن إلى الدور الكبير للذاكرة الفردية ، فمن مئات الأبيات الشعرية التي نحرص على حفظها ، إلى آلاف المعلومات التراثية التي نحرص على إمساكها ذهنيًا ، إلى ترتيب معين للمعارف يبدأ بالكليات ويتعرَّف إلى (الكتاب) ابتداءً من (العنوان) .. وهكذا ! بيد أن الأمر مع الكمبيوتر (الحاسب) مختلف ، فالذاكرة الفردية لا يعوَّل كثيرًا عليها ، إنما المعوّل على الإتقان الآلي للمدخلات والمخرجات ، ما نضعه داخل الجهاز وكيف نستخرجه منه ، ما تحت أيدينا من بيا نات وما يمكن أن نصل إليه من بيانات أخرى ، وكيف يمكن توسيع الحقول وتخصيص البرامج الإلكترونية لاستيعاب المزيد من ذلك كله ؟ والناتج النهائي لهذه العملية الآلية : ذاكرةٌ تتسع في الجهاز مقابل ذاكرة تضمحل في الفرد ، إعادةُ تركيبٍ للمعلومات في الجهازمقابل نسق محدَّد للاستدعاء عند الفرد ، حركةُ اليد على الأزرار مقابل حركة العين بين سطور الكتب .. وغير ذلك .

ولسنا هنا في معرض نقد هذا (الجديد) أو نقضه ، للانتصار لأسلوب قديم في مقابل نظام جديد للفكر ، فالأمر فات أوانه ، ونفذ السهم ، إذ صار العالم وصارت حركة التاريخ وفقًا لهذا الجديد .. الجديد الذي ، إن لم نتواءَم معه، صرنا خارج العالم وطرحتنا حركةُ التاريخ .

تلك واحدةٌ .

(ب) التحـــولية :

وتلك واحدةٌ أخرى ، من السمات العامة للحاضر والمستقبل ، على الصعيد القطري والعالمي ، على الصعيد النظري والعملي .. ولنمعن النظر فيما

كنا قد درجنا عليه من إعطاء الأولوية للثبات في مقابل التغير ، وللرسوخ في مقابل التحول .. فنحن : أُمَّةُ السَّنَد (كما قال الإمام الشافعي) ونحن : المستمسكون بالأصول (في الدين واللغة والتقاليد الاجتماعية) ونحن الثابتون على المبادئ (حتى لو كان المبدأ تليدًا غير معاصر) .. وهكذا ؛ وذلك هو الذي يعطينا في النهاية الأساس العميق لما نسميه : الهوية .

بيد أننا ، نحن المستمسكين ، الثابتين ، الإسناديين .. لابد أن نلاحظ أن العالم قد اختلف أمره إلى النقيض من ذلك ، فعلى الصعيد السياسي نسمع عن العالم ونظامه (الجديد) الذي هو في الحقيقة : تنظيم غربي (متجدِّد) بحسب الأغراض والأحوال ، وتحت مظلة هذا التنظيم المتجدد للعالم ، نرى أعداءَ الأمسِ اليوم أصدقاء .. ونرى معاركَ اليومِ تنشب بين حلفاء الأمس .. ونرى التقاربات بين الأقطاب التي كانت متباعدة ، والتباعد بين ما كان مقتربًا ، ومقترنًا ،من الأقطاب .. باختصار : نرى المسرح الدولي تتبدَّل فيه الأدوار وتتحول إلى نحوٍ نفعيٍّ يمكن وصف العالم معه بالهوس البراجماتي (النفعي) .

وعلى الصعيد الثقافي نجد ذات الملمح ، فهذا المفكر الذي ظلَّ طوال عمره كثير الذود عن الفكر الاشتراكي ، يتحول بالكلية إلى حيث اليمين (كما فعل الكثيرون من مفكري العرب) .. وهذا الفيلسوف يقضي عمره في الكلام عن الوجودية ثم يتحول تمامًا إلى الماركسية (كما فعل سارتر) .. وهؤلاء المساكين من مفكري السلطة في كل بلد عربي ، يهيم بهم التوجُّه السياسي كل يوم في وادٍ جديد .. وتتسع مقولة « **التغيُّر جوهر الحياة** » لتبرِّر ما لا حصر له من تحولات فكرية واجتماعية ! باختصار : نرى ساحة الفكر المعاصر وقد صارت ميدانًا لتبدُّل المواقع ، وللمعارك المحدودة ، وللتنقُّل بين المذاهب والرؤى .

هل نزيد من الأمثلة الدالة على سمة التحولية التي صارت ملمحًا أساسيًا للعالم اليوم ؟ وهل نحن بحاجة للتدليل على ذلك بالنماذج التي لا حصر لها من تحولات تبدأ من تغيير اللغة وتعديلها في بعض البلدان ، وتنتهي بتغيير الشخصية ولون البشرة لدى بعض الأفراد ؟ أظن أن المسألة ليست بحاجة لمزيد إيضاح .. وما المراد هنا ، إلا بيان أن العالم : متحولٌ .

ومرةً أخرى ، فإن ذلك لا يعنى الانتصار لهذا الملمح العالمي الجديد ، على حساب نقيضه الذي درجنا نحن عليه فَوَهَبْنا هويتنا .. كما لا يعنى الدعوة إلى المساومة بين ما في أيدينا وما هو في العالم (إذ نحن جزء من هذا العالم) وإنما البيان هنا ، لاستبيان الواقع وتبصُّر خطواتنا في المستقبل .

(جـ) العولمة / المثاقفة :

تنحو حركة العالم اليوم إلى المزيد من العولمة أو الكوكبية (وكلتاهما ترجمة لكلمة : Globalism) بمعنى أن تتزايد درجة الترابطية بين شعوب العالم سواء من طريق الاتفاقيات الدولية في مجال الثقافة (كمشروع اليونسكو : ذاكرة العالم) أو مجال الاقتصاد (كالسوق الأوروبية واتفاقية الجات) أو المجال السياسي (كالتجمعات القطرية العربية) .. أو عن طريق وسائل الاتصالات التي تلغي المسافات بين الأفراد والأمم ، وتتجاوز بسرعتها الفائقة تباعد الأماكن .

وفي إطار العولمة هذه ، تتم عملية المثاقفة (وهي ترجمة لم تستقر بعد لكلمة Acculturation) بمعنى أن يتم التفاعل الثقافي بين الجماعات ، لا على النحو القديم المعتاد - حيث كانت ثقافتان تقتربان ، فتؤثر إحداهما في الأخرى أو تسود عليها - وإنما على نحو جديد ، تحتشد فيه الثقافات المتعدِّدة لتدخل بشكل سريع في عملية تفاعل تطرح فيه كل ثقافة ما لديها من رؤى ونظم

واتجاهات ، فتتماس الخيوط (أعنى : المكونات الثقافية) لتصنع ضفيرةً ثقافية جديدة، تكون لها صفة العالمية .

وفي عملية المثاقفة الحالية ، نرى على سبيل المثال الثقافة الغربية سواءً في إطارها الأوروبي الكلاسيكي أو في تجليها الأمريكي الجديد ، تطرح نفسها من خلال كافة قنوات الاتصال : الكتاب - البرنامج التليفزيوني - الفيلم - الدراما .. إلخ .. جنبًا إلى جنب ثقافات أخرى آتية من الشرق الأقصى والأدنى والأوسط (ولا أدرى أقصى عن مَنْ ، وأدنى لمن ، وأوسط بالنسبة لمن) فتتداخل هذه الثقافات لتشكل مزيجًا ثقافيًا يتم من خلاله تفكيك التماسك العضوي بين عناصر الثقافة الواحدة ، لصالح المزيج الثقافي الجديد .. فمثلاً : الثقافةُ العربية الإسلامية، نمطٌ ثقافي كان حتى وقت قريب ، له عناصره ومكوناته المترابطة عضويًا ، فاللغة ، والدين ، والتقاليد ، والأزياء ، وطرائق التفكير والسلوك .. ينتظمها جميعًا إطارٌ واحدٌ هو المسمى بالثقافة العربية الإسلامية ، لكن عمليات المثاقفة الدءوب أدت إلى خلخلة هذا الترابط العضوي ، بحيث تَمَّ استبقاءُ بعض العناصر (كاللغة والدين) من الثقافة الأصلية ، واستعارةُ عناصر من الثقافة الغربية (كالأزياء وبعض أنماط السلوك) ليدخل ذلك في مزيج جديد ، بفعل عمليات المثاقفة التي لا تقتصر على ثقافتين فقط ، وإنما - كما أسلفنا - تحتشد خلالها ثقافات العالم المعاصر ، محمولة على أجنحة الإعلام بوسائله الحديثة المتعددة ، وفقًا لبرامج طرح خاصة تختارها هذه الجماعة ، أو تلك ، لتشارك بثقافتها الخاصة في عملية تشكيل الثقافة الإنسانية الجديدة !

(د) تصنيع المعرفة :

حتى وقت قريب ، وعلى امتداد التاريخ المعرفي للإنسان ، كان ينظر إلى المعرفة على أنها (اكتشاف) بمعنى أن الحقائق كامنة في العالم ، وعلى الذهن البشري وحركة العلم ، اكتشاف هذه الحقائق الكامنة .. بيد أن الأمر اليوم صار مختلفًا ، إذ صارت المعرفة إنتاجًا وتصنيعًا مبرمجًا !

في العالم المعاصر ، يتم توجيه الذهن نحو إطارٍ معرفيٍ معين ، وفقًا لمنظومةٍ محدَّدةٍ للبحث .. فلم تعد حركة المعرفة تسير وفقًا للتلقائية القديمة ، وإنما صارت هناك برامج محددة للمعرفة . فهناك مشكلات بعينها مطروحة أمام العقل ، وهناك مسارات محددة لتراكم الخبرة ، وهناك مؤسسات تقود حركة العلم ، ومؤسسات أخرى تُوجِّه الفكر . وفي مقابل الرؤية المعرفية الكلية ، صارت الأولوية للإنجازات التقنية المتخصصة . وفي مقابل الكشف العلمي ، صار المهم هو التطوير الجزئي وتحسين التطبيقات .. في مقابل العلماء ، أصبح لدينا : المشتغلون بالبحث العلمي .

والمأزقُ المعرفة الخطير الذي تعاني منه البلاد غير المتقدمة اليوم ، هو عدم مقدرتها على اللحاق بالدول المتقدمة في سيرها الحثيث لإنتاج المزيد من المعرفة ، ناهيك عن الاستغلال الغربي لحالة اللهاث الذي لا تجد الدول المختلفة بُدًّا منه .. باختصار : كانت المعرفة دومًا هي الشيء المتاح ، فصارت اليوم في يد الغرب سلاح .

ولكي تُنتنج المعرفةُ ، فلابد من منظومة فكرية سابقة ، يسميها بعض فلاسفة العلم المعاصر : النموذج Paradigm .. وهذا جانبٌ آخر من المأزق المعرفي الخطير الذي تعانى منه البلاد غير المتقدمة ، إذ لا تملك هذه البلاد نموذجها المعرفي الذي يمكن – وفقًا له – إنتاج المعرفة في سياق مغاير لسياق الإنتاج المعرفة الغربي ، بل لا يمكنها أن تطرح المشكلات المعرفية الأساسية إلا في الإطار الذي تسمح به المنظومة الغربية .

وبعد .. فما تلك إلا إطلالة سريعة على واقع الحال ، لاستبصار **التصورات المستقبلية** التي نطمح أن يكون إليها المآل.. ليس في مسألة معهد المخطوطات فحسب ، بل في العملية التراثية كلها ؛ ناهيك عن الثقافة بمفهومها الشامل .

ثانيًا : في المعالم العامة على طريق المستقبل :

في ضوء ما تقدَّم ، نعاودُ طرح تلك السمات العامة للواقع ، والمستقبل ، العالمي ، مرةً ثانية ، لتكون منطلقًا أساسيًا لعملية التخطيط السليم لمستقبل معهد المخطوطات العربية ، الذي هو جزء من مستقبل العملية التراثية ، بل مستقبل الثقافة ، في البلاد العربية .

(أ) المعلوماتية :

من المحال أن نتصور مستقبل مؤسسة علمية ، مثل معهد المخطوطات ، بعيدًا عن المسألة المعلوماتية التي هي أُولى سمات العصر الحالي والقادم . والتوجه المعلوماتي بالنسبة لمعهد المخطوطات سوف يسهم إسهامًا كبيرًا في دفع العملية التراثية كلها للأمام .. وسأضرب أمثلة من واقع الاهتمامات العامة لمعهد المخطوطات :

في الفهرسة :

المراد من الفهرسة استكشاف المنزوي من المخطوطات وإظهاره للنور ووضعه بين أيدى الباحثين . ولقد قام المعهد ، خلال الخمسين سنة الماضية ، بتصوير ما يقرب من أربعة وعشرين ألف مخطوطة نادرة من شتى بقاع العالم ، وأصدر لها فهارس ورقية تقع في آلاف الصفحات . هذا جهدٌ طيب ، ولكن السؤال : إذا أراد باحثٌ أن يحصر عدد المخطوطات المصورة على ميكروفيلمات المعهد على نحو تفصيلي ، ليحصر مثلاً تلك المخطوطات التي كُتبت في القرن الثامن الهجري ؛ فكم يكلفه ذلك من وقتٍ وجهد ؟ وكيف له أن يحصر ، مثلاً ، قائمة النُّسَّاخ ؟ وهل بالإمكان معرفة عدد المخطوطات المكتوبة بالخط الفارسي أو المغربي أو غيرهما ؟ وما هو قطع الورق المعتاد الكتابة عليه في عصرٍ معين ، أو في بلد من البلدان ؟ وكم مخطوطة للغزالي ، أو غيره ، بمعهد المخطوطات ؟

تلك المتطلبات التي قد يستلزمها بحثٌ ما ، لا تفي بها النظم الحالية لفهارس المعهد في أقل من شهور وبكثير من الجهد .. أما بالاعتماد على الحاسب ، فيمكن استيفاء كل ذلك في دقائق معدودة ؛ وبأقل مجهود !

وتجدر الإشارة هنا إلى أن قواعد البيانات لا تلغي عملية الفهرسة الورقية ، بل الأخيرة شرطٌ لإنجاز قاعدة بيانات مخطوطات المركز ، أو أية مجموعة خطية . فأولاً تتم الفهرسة يدويًا ، ويصدر الفهرس ورقيًا ، ثم يأتي دور البرمجة الإلكترونية لاختزال الوقت والجهد .. وتجدر الإشارة ، أيضًا ، إلى أن هذه العملية الجديدة غير مكلفة بالمرة ، فبرنامج الفهرسة متاح ، وإدخالُ البيانات عليه أمرٌ هين بالمقارنة للخطوات الكثيرة التي تستلزمها عملية الفهرسة .. وتجدر الإشارة ، أخيرًا ، إلى أن المعهد نفسه كان سبّاقًا إلى استخدام هذه التقنيات الجديدة ، حينما بدأ – منذ بضعة عقود – في استخدام الميكروفيلم ، الذي كان وقته عملية (متقدمة جدًا) ومن هنا تمكن من إنجاز هذا الكم الكبير من المصورات ، ولو كان المعهد يومها قد اعتمد فقط ، على الوسائل التقليدية في الاستنساخ ؛ لما تمكن من إنجاز شيء ذي بال في هذا المجال .

في التحقيق :

نعرف أن هناك مقتضيات لا غنى عنها لإصدار طبعة محقَّقة ، فمن ذلك : حصر النسخ الخطية للكتاب ، تخريج الآيات والأحاديث ، الترجمة للأعلام .. وغير ذلك . كل ذلك يمكن إعداد قواعد بيانات دقيقة له ، بل إن بعض هذه القواعد معدٌّ بالفعل الآن .. فلسنا مضطرين ، عند تخريج آية ، أن نعود للمعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم ، ثم نتثبَّت من ذلك بالرجوع إلى المصحف الشريف .. ولسنا بصدد تخريج الحديث النبوي مضطرين للرجوع إلى معجم فِنسنك أو مصادره من الكتب التسعة .. فكل ذلك يتم أثناء عملية التحقيق بضغطة واحدة على لوحة تشغيل الحاسب .

وقِسْ على ذلك العديد من الخطوات الضرورية للتحقيق ، خاصةً أنه بالإمكان إعداد المزيد والمزيد من قواعد البيانات ، بحسب الحاجات المتعددة للتحقيق العلمي ، ووفقًا للقواعد والأصول المتفق عليها .. وبمناسبة تلك القواعد والأصول ، نعرف أن معهد المخطوطات حريصٌ على تحديد الأطر العامة لعملية التحقيق التراثي ، وهو يصدر ذلك في نشرات قد لا تصل إلى الكثيرين .. فلماذا لا يوضع ذلك الإطار الذي ارتضاه المعهد على شبكة الإنترنيت ، ليتعرَّف إليه كل إنسان في أي مكان بالعالم ؟

في التنسيق :

من المهام الرئيسية التي يضطلع بها المعهد ، عملية التنسيق بين الأفراد والمؤسسات ، ممن لهم اشتغالٌ بالتراث العربي .. وتتم عملية التنسيق حاليًا بشكل متواضع لا يزيد عن الإشارة الخبرية لكتابٍ صدر ، أو نية باحثٍ إصدار كتاب . ولا يمكن للمعهد أن يجيب عن سؤال : كم مشتغلٍ بالتراث في الوطن العربي أصدر كتبًا محققة أو دراسات ؟ وما مقدار مساهمة بلد معين في تزويد المكتبة العربية المعاصرة بالنصوص التراثية ؟ وما هي اتجاهات العمل التراثي في قطر عربي أو في مرحلة زمنية من واقع الإصدارات ؟.. وغير ذلك الكثير من الأسئلة المهمة ، التي لا يمكن الإجابة الدقيقة عنها ، إلا بإنشاء قاعدة بيانات للتنسيق التراثي .. وأكرر : هي ليست مسألة مكلفة .

(ب) التحــولية :

إذا كان العالم « متحوِّل » على هذا النحو الخطير الذي أشرنا إليه ؛ فلا أقل ، من أجل مسايرة هذا العالم ، من « التطور » وملاحقة التغيرات .. ويبدأ التطور من مفهوم (التراث) ذاته .

تحدَّدت دلالة لفظة التراث واقتصرت ، دومًا ، على المفهوم التاريخي لهذه الكلمة ، فالتراث هو القديم ، والبعض يصرُّ على أنه « ما مضى عليه أكثر من مئتي عام » وعلى أن المخطوطة المعتبرة هي « ما كُتب قبل سنة ألف للهجرة » وعلى أن العمل التراثي هو « البحث في القديم » .. وهذه المفاهيم تحتاج إلى تطويرٍ ومعاودةِ نظرٍ . فالتراث بعامة ممتدٌّ حتى الوقت الحاضر ، في لغة المعاصرين وثقافتهم ، فلماذا نصر على قطع المتصل التراثي متوقفين قبل قرنين مضيا ، وألا يمثل ذلك قطعًا وهميًا لما هو موصول بالفعل ، ولماذا تكون الحملة الفرنسية هي المعيار التاريخي لتحديد ما هو تراث ، أليس ذلك بمثابة خروج عن المسألة التراثية ذاتها واستعارة شيء من خارجها للتدليل عليها .. ولماذا تُعتبر المخطوطة التي كتبت قبل سنة ألف من الهجرة ، وما بال الأمر بالنسبة لتراث جماعة من أعلام النبلاء الذين عاشوا بعد القرن العاشر الهجري : مرتضى الزَّبِيدي – أحمد الدمنهوري – حسن العطار – حسن الجبرتي وولده عبد الرحمن المؤرخ .. وغير ذلك الكثير من كبار المؤلفين ، هل مخطوطاتهم غير معتبرة لأنها تأخرت في الزمان ؟

والنظر إلى العمل التراثي على أنه يخص القديم . أليس ذلك بحاجة إلى إعادة نظر ؟ فلماذا لا يتم البحث التراثي انطلاقًا من مقتضيات الواقع وشروطه وهمومه ، بل : لم لا تراعىٰ احتمالات المستقبل .. إن العمل التراثي ينبغي تطوير مفهومه كي يلائم حاجات ثقافية فعلية ، ويلبي متطلبات الدخول إلى مرحلة تالية . فإن كنا في عصر العلم ، والعلم هو مستقبل العالم ، فلم لا نعتنى أكثر بالتراث العلمي العربي ، باعتباره سبيلاً إلى تهيئة العقل العربي المعاصر لاستيعاب لغة العالم المعاصر وأساليب التفكير المنهجية السائدة فيه .

تلك تساؤلات كثيرة ، ترمي إلى بيان ضرورة المعاودة إلى المفاهيم العامة للتراث ، ومحاولة تطوير هذه المفاهيم . ومعهد المخطوطات ، فيما أرى ، أحد أهم الجهات التي يجب أن تضطلع بهذه المهمة .

إن مسايرة التحولات تقتضي ديناميكية ذهنية وتطويرًا دائمًا ، ليس للمفاهيم العـامة للتـراث فحسب ، وإنمـا يجب أن يصل التطـوير إلى تفصيـلات العمل التـراثي ؛ فنظم الفهرسـة الوصفيـة ، لابـد لها من تطـوير دائم ؛ ومنـاهج تحقيق التراث ، لا ينبغي لهـا أن تتوقف عنـد الأطر القديمـة - التي وضعها المستشـرقون أصلاً - بل لابد من تطوير دائم لهذه المناهج ؛ وقاعدة المشتغلين بالتراث ينبغي أن تتسع لتشمل الأجيال الجديـدة . باختصار : نحن بحاجة إلى تطـوير المفاهيم العامـة للتراث ، ومداومـة تعديل نظم العمل التراثي ، حتى يتـلاءَم ذلك مع إيقاع العصر .

(جـ) العولمة / المثاقفة :

في الوقت الـذي يتجه فيه العـالم إلى الكوكبيـة والمثاقفة ، لا تـزال العملية التراثيـة عندنا ، وقفًـا على المتخصصين ، والالتزام - فقط -بالـدائرة التخصصية الضيقـة للتــراث ، ممـا يعني احتجـاب الثقــافـة التي ننتمي إليهـا بيـن جـوانح المتخصصين ، بينما تتدفق على القاعدة العريضة من أهلنا ألوانُ الثقافة الأخرى ، ترفرف بها أجنحة الـوسائط الإعلامية المتعددة Multymedia مما يعنـى احتمالات غير سارة بدأت بوادرها تلوح في أفق حيـاتنا المعاصرة . فقد صار العنصرالثقافي الغربـي - مثلاً - أكثـر حضورًا في حيـاتنا من مكـونات ثقـافتنا الأصليـة ، ورحنا نتباكى على الهوية ونتشكىٰ الغزو الثقافي وغير ذلك من هموم الزمان .

هذا على صعيد الداخل ، أما في الخارج - أعنى في الدائرة العالمية - فلا أظن أننا قدَّمنا حتى الآن صورةً جيدة لتراثنـا وثقافتنا ، باستثناء جهود قليلة لا تفي بمقتضيات المثـاقفة .. وهذا يعني إفساح المجـال لثقافات أخرى ، تـود أن تزيح الجوانب الأصيلـة من ثقافتنا ، وتحتل مكانهـا . وشيئًا فشيئًا تزداد حـالة الاغتراب

عن الذات لدى الإنسان العربي / المسلم ، ويصير أكثر عرضة للاندياح في ثقافة الآخرين ، فلا يقتصر أمره على معرفة هذه الثقافات وتطوير ذاته بهذه المعرفة ، وإنما يصير كالبقلة الحمقاء ! ذلك النبات الذي دعاه العَشَّابون العرب بهذا الاسم ، لأنه وفقًا لتعريفهم : نبتةٌ صغيرةٌ لا جذور لها تنمو في مجرى السيل ، فإذا جاء السيل انتزعها ومضى بها .

ولمعهد المخطوطات دورٌ كبير ، ننتظره ، في عملية المثاقفة . فهو - فيما أرى - أحد أهم المؤسسات المسؤولة عن تقديم صورة معاصرة للتراث ، تقديمها للعرب وللعالم في نفس الوقت ، وهذا يقتضي برامج عمل وجهود متواصلة (ولا تكفي توصيات المؤتمرات كبديل عن ذلك) .

(د) تصنيع المعرفة :

رأينا فيما سبق ، كيف ينحو العالم المتقدم إلى طرح منظومة معرفية يصنِّع من خلالها (المعرفة) في كل آن . وتلك عملية معقدة لا مجال هنا للخوض في تفصيلاتها ، بيد أن المهم ، الذي نودُّ تأكيده ، هو ضرورة الوعي بعمليات الصياغة المعرفية المطروحة من حولنا ، وضرورة المبادرة إلى اتخاذ موقفٍ خاص بنا .

وتبدأ عملية (تصنيع المعرفة) بخطوة أساسية هي (تشكيل العقول) .. وهنا يجب أن يلعب التراث دوره الكبير ، بغرس الخلاصات التراثية المنتقاة بعناية ، ودمجها في برامج التعليم . وإلا ، فلماذا يتعرَّف التلاميذ عندنا إلى أُقليدس بأكثر مما يتعرَّفون إلى ابن سينا ، هل لأن أُقليدس يمثل تراثًا عالمياً ؟ إن ابن سينا ، هو الآخر يمثل هذا التراث العالمي في انصياع تجلياته ! .. هل لأن أُقليدس أهم ؟ إن ابن سينا لا يقل أهمية ، وقد يزيد ! .. المسألة ، إذن ، أننا تابعنا الغرب في تصنيعه الخاص للعقول ، ولم نتخذ موقفًا نقديًا بصدد هذه المسألة .

وتمتـد عملية (تصنيع المعـرفة) إلى خطـوة أخـرى هي (تحـديد تـاريخ العلم) ولـذا حرصت أوروبـا على إصدار متـون التراث العلمي ، وفقًـا لرؤيتهـا ، فأصدرت المجمـوعات الكاملة لكتب أبقـراط ، وجالينوس ؛ وغيرهمـا (في عدة طبعات محققـة) .. فلماذا لـم تصدر عنـدنا تلك المجمـوعات الكاملـة لأعمال علمائنا نحن .. ومن الغريب أننا قد نفعل العكس ، فنجد هيئة الكتاب في مصر ، تحـرص على إخـراج المجمـوعـة الضخمـة ، المهمـة ، المسمـاة « منتخبـات الإسكندرانيين » لجـالينوس ، ولا تخـرج مجموعـة ، كاملـة ، لنقد الأطبـاء العرب لجـالينوس ! إن هـذا الطرح لتـاريخ العلم ، يسهـم مباشـرةً في تشكيل المنظومـة المعرفيـة ، ويؤدي إلى مـا ندعوه تصنيع المعـرفة وصياغـة العقول وتـرسيم حدود العلـم البشري ، فهلا شارك معهد المخطوطات في ذلك ؟ !

وتمتـد المسألـة إلى خطـوة أخـرى هي (طرح المشكـلات المعـرفيـة) .. والسؤال الموجـز هنا : ما الذي طـرحناه على الذهن من مشكلات معـرفية تتصل بثقافتنا ؟ إننا نتأثر بطبيعة الطرح الغربي ، ثم نتأثر بالأسئلة النابعة من هذا الطرح ، ثم نتأثر بالإجابات التي يقدمها الغرب .. لنصير في النهاية أمةً متأثرة ، لا أثر لها ! فهلا شارك معهـد المخطوطات العربيـة في صياغة (سؤال المعـرفة) في محيط الثقافة العربية ، أولاً ، ثم في محيط الفكر الإنساني ؟!

وبعد ؛ فما هـذه إلا تساؤلات ، وتطلعات مستقبلية ، ورؤى . كلهـا مطروحة للنقاش على الطـريق الممتد بنـا نحو المستقبل . وكلِّي أمل في أن يكـون لمعهد المخطوطات العربية دوره في طريق هذا المستقبل .

* * *

علاقات المعهد مع مراكز التراث
ودوائر الاستشراق : واقع وآفاق

د. أيمن فؤاد سيد(*)

كان تأسيس معهد المخطوطات العربية من أجرأ المشروعات التي حققتها جامعة الدول العربية ، وكانت أهداف إنشائه التي حددها قرار مجلس جامعة الدول العربية المؤرخ في ٤/ ٤/ ١٩٤٦ هو :

(أ) جمع فهارس المخطوطات العربية الموجودة في دور الكتب العامة والخاصة وفهارس المخطوطات التي يمتلكها الأفراد لتوحيدها في فهرس عام .

(ب) تصوير أكبر عدد ممكن من المخطوطات العربية القيمة .

(جـ) وضع هذه المصورات تحت تصرف العلماء أولاً بعرضها لمن يطلبها للاطلاع عليها بواسطة الآلات العارضة المكبرة ، أو بإعطاء صورة مكبرة منها بأسعار مناسبة ، أو بإعارة نسخة ثانية منها للعلماء الذين يطلبونها من البلدان الأخرى عن طريق المؤسسات العلمية ، أو بإرسالها رأسًا إليهم بأسعار مناسبة .

(د) طبع صور المخطوطات القيِّمة التي نصها صريح وخطها مقروء ، ونشر نصوص المخطوطات ذات الأهمية الكبرى .

(*) مستشار بالهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية - مصر .

(هـ) تنظيم التعاون بين العلماء والمؤسسات العلمية في سبيل نشر المخطوطات ، وتزويد الناشرين بالمعلومات اللازمة عن المخطوطات التي يعنون بها و إعلامهم بأسماء من يعنى بمخطوطات مماثلة لمخطوطهم أو مشابهة له .

(و) إصدار نشرة دورية عما طُبع من المخطوطات العربية والإشارة إلى ما هو معد منها للطبع .

و إذا كان المعهد قد قام بتنفيذ هذه البنود بطريقة نسبية فإن البند (هـ) الذي ينص على : « أن يكون المعهد مركزًا علميًا للتعاون العلمي بين العلماء والمؤسسات العلمية في العالم في سبيل خدمة المخطوطات العربية والتعريف بها وتبادل المعلومات عنها » . لم يوضع موضع التنفيذ الدائم . حقيقة إن المعهد عند إنشائه كانت له علاقات واسعة مع المراكز العلمية العربية والإسلامية وجمعيات الاستشراق ومؤسساته ، ولكنها كانت تعتمد في الأساس على مكانة واتصالات القائمين على المعهد من أمثال : يوسف العُش وصلاح الدين المنجد ومحمد رشاد عبد المطلب وفؤاد سيد والمجلس الأعلى للمعهد الذي كان يرأسه الدكتور طه حسين .

شهدت هذه الفترة الممتدة بين سنتي ١٩٤٦ و ١٩٧٠ - وهي الفترة التي كان المعهد يتبع فيها الأمانة العامة لجامعة الدول العربية - البعثات الأولى للمعهد التي توجهت إلى : تركيا والهند ومصر وفلسطين والسعودية وتونس و إيطاليا ، وصدرت فيها فهارس المعهد التي تُعَرِّف بمقتنياته والتي قام بوضعها الأساتذة : فؤاد سيد (تسعة مجلدات) ولطفي عبد البديع و إبراهيم شبوح وبول كونتس (ثلاثة مجلدات) وكلهم من خبراء المخطوطات الذين استعان بهم المعهد .

كما ظهر العدد الأول من « مجلة معهد المخطوطات العربية » سنة ١٩٥٥

كأول مجلة في البلاد العربي تُخَصَّص للبحث في المخطوطات وتاريخها واستقبلها المتخصصون من عرب ومستشرقين استقبالاً حافلاً باعتبارها مجلة غير مسبوقة في موضوعها ، ولم تظهر في أوربا دورية مماثلة إلا في عام ١٩٨٦ عندما أصدر المستشرق الهولندي Jun Just Witkam مجلة Manuscripts of The Middle East والتي ظهر منها حتى الآن ستة أعداد وإن تميزت هذه الأخيرة بإخراج مُتَمَيِّز وطباعة فاخرة يجب أن تسعى إليه مجلة المعهد واهتمت على الأخص بالتعريف بالمخطوطات ومواد الكتابة وفهارس المخطوطات أكثر من النشر ونقد الكتب .

وفي مجال نشر التراث ، بدأ المعهد في إعداد خطة لنشر مجموعة من أمهات الكتب الكبيرة التي لا يقوى على نشرها الناشر الخاص وذلك بعد أن أجاز المعهد « قواعد لتحقيق النصوص » وضعها مدير المعهد في ذلك الوقت الدكتور صلاح الدين المنجد والذي تعد الفترة الأولى التي تولى فيها إدارة المعهد (١٩٥٥ - ١٩٦١) هي الفترة الذهبية للمعهد . فبدأ بإخراج الجزء الأول من « أنساب الأشراف » للبلاذُري ، وثلاثة أجزاء من « سيَر أعلام النبلاء » للذهبي ، وثلاثة أجزاء من « شرح السِّيَر الكبير » للسَّرَخْسي ، وثمانية أجزاء من « مختار الأغاني في الأخبار والتهاني » لابن منظور ، وسبعة أجزاء من « المُحْكَم والمحيط الأعظم » لابن سيده .

وشهدت الفترة التي ضُمَّ فيها المعهد إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (١٩٧٠ - ١٩٩٦) بعض التراجع في سياسة المعهد وإصداراته ، حقيقة لقد أرسل المعهد في هذه الفترة العديد من البعثات إلى تركيا وإسبانيا والمغرب واليمن والسعودية وإيران والاتحاد السوفيتي ، إلا أن نتاج هذه البعثات الهام غير متاح لجمهور الباحثين ، فلم يُصْدر المعهد طوال هذه الفترة إلا عددًا محدودًا من الفهارس لأنه أوْقَف الاعتماد على الخبراء الذين سبق أن أخرجوا له فهارسه المطبوعة ولم يسع إلى تكوين جيل من المفهرسين يعهد إليهم بإصدار فهارس

جديدة تحمل أسماءهم باعتبارهم أمناء مخطوطات المعهد مثلما هو معمول به في المكتبات العالمية ، كما أن نَشْر التراث لم يتم بناء على منهج أو خطة واضحة ، بل كان استجابةً لأي محقق يُقَدِّم إلى المعهد كتابًا معدًّا للطبع ، وعلى الأخص في الفترة التي أعقبت خروج المعهد من القاهرة ثم عودته إليها ، وتخلى المعهد عن فكرة إصدار الموسوعات الضخمة المتخصصة ، وتَوَقُّف عن استكمال ما بدأه مما سمح لبعض الدور الخاصة باستكمال وإعادة نشر « سير أعلام النبلاء » للذهبي في خمسة وعشرين جزءًا ، وأن تَحل جمعية المستشرقين الألمان محل المعهد في استكمال إصدار « أنساب الأشراف » للبلاذُري ، وتوقف إصدار « المُحَكَم والمحيط الأعظم » لابن سيده .

وفي الفترة التي انتقل فيها المعهد إلى الكويت (١٩٨١ - ١٩٩٠) بدأ المعهد يُصدر بانتظام - نتيجة توافر الإمكانات المادية - « نَشْرَة أخبار التراث » ويستكمل إصدار « مجلة المعهد » ولكن دون أن تُغَطِّى الأبواب الأساسية التي حُدِّدَت للمجلة واهتمت في الأساس بالدراسات العامة التي نجدها في أية مجلة جامعية بغرض الترقية ، ونشر لرسائل صغيرة . وكان أهم عمل أُنجز في هذه الفترة وصدر بعد عودة المعهد المرحلية إلى القاهرة ، هو « المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع » الذي أعده الدكتور محمد عيسى صالحية ، وهو تحقيق لما جاء في البند (و) من المادة الثانية من قرار تأسيس المعهد وحل محل « معجم ما نشر من المخطوطات » والذي كان يصدر في المجلة .

مؤسسات التراث العربية ودوائر الاستشراق

في العقدين الأخيرين بدأت بعض المؤسسات والمراكز العلمية الأخرى في العالم العربي تزاحم المعهد في مهمته : في مصر والسعودية والكويت والإمارات والأردن وتونس ، كما أن بعض مراكز الاستشراق ومؤسساته تقوم بدور مماثل منذ فترات بعيدة .

ففي مصر يقوم مركـز تحقيق التراث الذي حَلّ محل القيم الأدبي ، بإصدار العـديـد من المخطوطـات المحققـة ، كمـا يقـوم مركـز الملك فيصل للبحـوث والدراسات الإسلامية بالرياض بالمملكة العربية السعودية وبإمكانات تكنولوجية بـالغـة التطور بنشــاط ممـاثل للمعهـد وعلى الأخص فيمـا يتعلق ببنـاء قـواعـد البيانات . وقد قام بالفعل بإعداد العديد من هذه القواعد المتعلقة بالمخطوطات المحققة والمنشـورة ، وبالمخطوطـات الإسـلامية ، وبالرسـائل الجامعية وغيـرها كثير .

ويقوم المجمع الملكي لبحـوث الحضارة الإسـلامية (مـؤسسة آل البيت) بعَمّان بالأردن بمشروع غير واضح المعالم يُعْرَف « بالفهرس الشامل للمخطوطات العـربية » اطلعت على أجـزاء منه فـوجدتـه لا يقوم على أسـاس علمي صحيح ، لافتقاره إلى الخبـراء في هذا المجـال ، كما يقوم « مـركز جمعة المـاجد للثقـافة والتراث » بدُبَيّ بـالإمارات ، بتكوين مكتبة ضخمة متخصصـة في التراث العربي الإسـلامي ، ويسعى إلى عقــد النـدوات العلميـة المتخصصـة ويُصـدر دوريـة متخصصة في التراث والمكتبات بعنوان « آفاق الثقافة والتراث » .

وذلك بالإضافة إلى النشاط المشابه الذي يقوم به « المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب » بالكويت و « مركز المخطوطـات والتراث والوثائق » بالكويت أيضًـا وهو مـركـز خاص ، و « معهـد التـراث العلمي العـربي » بجامعـة حلب ، ويمتاز هـــذا المعهد بإصــداراته المتخصصـــة في تـاريخ العـلم العربي والتي لا يشاركه فيهـا مركز آخر لاحتياج هذه النـوعية من الإصدارات إلى المتخصصين في مجال المخطوطات وتاريخ العلوم ، وذلك بالإضافة إلى مراكز النشر الجامعية التي تنشـر عـددًا من النصـوص القديمـة مثل: « مـركـز البحث العلمى وإحيـاء التراث الإسلامي » بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، والمجامع العلمية في دمشق والقاهرة وبغداد وتونس والرباط .

دوائر الاستشراق

وفي أوربا والولايات المتحدة قامت جمعيات الاستشراق وبعض مراكز البحوث الشرقية بنشاط واضح في مجال التعريف بالمخطوطات الشرقية ونشر كتب التراث العربي والإسلامي . فبالإضافة إلى جهود « جمعية المستشرقين الألمان » Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft التي تُصدر سلسلة لنشر التراث العربي بعنوان « النَّشرات الإسلامية » Bibliotheca Islamica صدر منها حتى الآن أكثر من أربعين عنوانًا بينها موسوعات ضخمة مثل : « الوافي بالوفيات » للصَّفَدي و « بدائع الزهور في وقائع الدهور » لابن إياس الحنفي ، يتولى الإشراف على طبعها المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت ، تقوم المعاهد العلمية الموجودة في المنطقة العربية بنشر العديد من النصوص الهامة في تحقيق وإخراج متميز مثل المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية في دمشق IFEAD والمعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة IFAO .

وتقوم سلسلة جب التذكارية Gibb Memorial Series منذ نهاية القرن الماضي بإصدار مجموعة من كتب التراث العربي والشرقي في سلسلتين ، السلسلة القديمة والسلسلة الحديثة . كما تقوم مطبعة بريل بليدن بهولندا منذ إنشائها في عام ١٨١٢ بإصدار العديد من كتب التراث العربي والدراسات الشرقية ، وتوَّجَت ذلك بإصدار « دائرة المعارف الإسلامية » Encyclopaedia of Islam وهي أهم عمل للاستشراق المعاصر .

أما في مجال استخدام التكنولوجيا الحديثة ، فإن النشاط الذي يقوم به معهد الأبحاث وتاريخ النصوص Institut de Recherche et d'Histoire des Textes في باريس يستحق التسجيل ، فهذا المعهد التابع للمركز الوطني للبحث العلمي CNRS في فرنسا يقوم منذ أكثر من عشرين عامًا بمشروع ضخم بعنوان -Onomasti

con Arabicum يُعْنى بإدخال جميع كتب التراجم والطبقات على الحاسب الآلي ومقارنة معطيات هذه الكتب بعضها مع البعض الآخر ، ويقوم بهذا العمل الضخم ثلاثة من الباحثات الفرنسيات بالتعاون مع بعض الباحثين في البلاد العربية الفرانكفونية .

وفي إنجلترا أنشأ رجل العلم والأدب السعودي الشيخ أحمد زكي يماني منذ عام ١٩٩٠ ، مؤسسة في ويمبلدون من ضواحي لندن تعرف « بمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي » يأتي في مقدمة اهتماماتها مشروع رَصْد المخطوطات الإسلامية في العالم أجمع ، ويرمى المشروع إلى تغطية العالم كله وكذلك اللغات الإسلامية كلها ويشمل مجموعات المخطوطات غير المفهرسة ويعطى معلومات مفصلة عن محتوياتها . وقد أصدرت المؤسسة نتائج هذا المسح الشامل في أربعة مجلدات بعنوان World Survey of Islamic Manuscripts صدرت فيما بين عامي ١٩٩٢ و ١٩٩٥ . كما يقوم بفهرسة المخطوطات الإسلامية التي لم يسبق فهرستها والمعرضة لخطر التلف والضياع وخاصة في أفريقيا وأوربا الشرقية وآسيا .

كذلك حَدَّدَت المؤسسة أربعة ميادين أكاديمية لنشاط النشر العلمي هي : القرآن الكريم وعلومه ، والفقه ومذاهبه ، والعلوم ، والتاريخ الإسلامي .

وكانت باكورة منشوراتها في هذا المجال « مسَوَّدَة كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار » للمقريزي التي قمت بتحقيقها ودراستها وإعدادها للنشر وصدرت في مطلع هذا العام .

وفي ألمانيا يقوم العالم التركي المسلم فؤاد سزجين صاحب كتاب « تاريخ التراث العربي » من خلال « معهد تاريخ العلوم » في إطار جامعة فرانكفورت الذي أسسه عام ١٩٨١ بإصدار سلسلة من الطبعات طبق الأصل (الفاكسميلي)

لأهم المخطوطات العربية في مكتبات العالم بالإضافة إلى نشر أهم ماصدر في الجغرافيا الإسلامية منذ مطلع القرن التاسع عشر من نصوص ودراسات ، وصدر عن المعهد حتى الآن أكثر من خمسمائة مجلد .

أما تركيا فلها خصوصية متميزة في هذا المجال حيث تشتمل مكتباتها على أكثر من ٢٥٠ ألف مخطوطة عربية ، والتعاون معها أمرٌ ضروريٌ لاستكمال المعلومات عن المخطوطات العربية . وقد قامت تركيا منذ عام ١٩٧٠ بمشروع لإنجاز الفهرس الموحد للمخطوطات في تركيا .

Birmbaum, E., Turkish manuscripts: Cataloguing since 1960 and Manuscripts Still uncatalogued Part 5: "Turkey and Cyprus", JAOS 104 (1984), pp. 468-472.

Barbara Flemming: The Union Catalogue of Manuscripts in Turky, *MME* 1 (1986), pp. 109-110.

وقد ظهر منه عدة مجلدات . كما تقوم ببناء قاعدة بيانات بالأبجدية التركية لمخطوطاتها ولكن على أساس مخالف لقاعدة البيانات التي نقوم بها في مصر والتي وجدت استحسانًا كبيرًا من المتخصصين . وقد سبق للدكتور يحيى الخشاب الذي تولى الإشراف على معهد المخطوطات عام ١٩٦١ في أعقاب الدكتور صلاح الدين المنجد أن دعا إلى « إنشاء معهد عربي للدراسات العربية باستانبول تكون مهمته تمكين الباحثين العرب من مساعدته لتكملة فهارس المخطوطات العربية وتصويرها بجانب أعماله الثقافية الأخرى ويكون له حق إيفاد بعثات طويلة المدى لدراسة أحوال المخطوطات في الهند وإيران وتصويرها »[1].

(١) يحيى الخشاب : « ملاحظات على فكرة تصوير المخطوطات العربية » ، مجلة معهد المخطوطات العربية ٧ (١٩٦١)، ١٥٦ .

والملاحظ أن المؤسسات والمراكز الموجودة في البلاد العربية على الأخص تعمل دون تنسيق بينها ودون خطة واضحة ، وتقتني أشياء مكررة ، الأمر الذي أدّي إلى تكرار الجهود وإنفاق الأموال بدلاً من توحيدها في سبيل جمع مصورات المخطوطات العربية ونَشْر النصوص الهامة ووضع الفهرس الشامل للتراث العربي المخطوط .

ومعهد المخطوطات العربية هو الجهة الوحيدة المؤهَّلة للتنسيق بين هذه المراكز المختلفة باعتباره المركز القومي للمخطوطات في الوطن العربي وأحد أجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وهو بهذه الصفة وبما سبق أن وضعه من قواعد لتحقيق ونشر النصوص ، يعد الجهة القادرة على القيام بهذا الدور . وهذا لا يعني وصاية من المعهد على هذه المراكز أو على جهود المحققين ، إنما دعوة لتنسيق المشروعات وتنظيم للعمل وتوفير للإمكانات . والمعهد كذلك هو المؤهل ليكون حلقة الوصل بين المؤسسات العربية ودوائر الاستشراق سواء في مجال التعاون أو تبادل المعلومات .

ومع ذلك فإن هذا لن يتم إلا إذا توافرت للمعهد الإمكانات والأدوات اللازمة عن طريق استكمال هيكله العلمي والإداري ، وتحديث أجهزته وأدواته الفنية واستخدام التكنولوجيا المتطورة في بناء قواعد البيانات لمقتنياته ، وتشكيل مجلس أعلى يشرف على نشاطه ويضع السياسات التي تقوم الإدارة التنفيذية للمعهد ممثلة في مديره ومعاونيه بتنفيذها ، وتوفير ميزانية مناسبة له .

وتعيين مقر المعهد أمرٌ هام ، فقد بدأ المعهد نشاطه في القاهرة ، وتمكن بفضل هذا الموقع المتوسط وكبار المحققين الذين كانت تزخر بهم مصر ، والعلماء العرب والمستشرقين الذين كانوا يتوافدون عليه ، وبفضل مجلته العلمية التي ظهر عددها الأول عام ١٩٥٥ وفهارسه العلمية التي وضعها كبار المشتغلين

بالمخطوطات وأمهات الكتب التي نشرها ، تمكن من تكوين مكانة علمية بارزة في أوساط المشتغلين بالمخطوطات ونشر التراث .

وعلى ذلك فإن أنسب مكان لاستضافة هذا المعهد هو القاهرة ، لكل ما سبق ، ولموقعها المتوسط وسهولة الدخول إليها ويسر الإقامة فيها ولتزايد عدد الطلبة العرب في جامعاتها ولوجود أكثر من أربع عشرة جامعة بها والعديد من المراكز والمؤسسات العلمية ذات الصلة بالمخطوطات والتراث العربي وكثرة البدائل المتاحة للباحثين بها .

وهذا لا يمنع من وجود فروع أخرى في الطرف الأيمن للعالم العربي والطرف الأيسر له حماية لهذه المقتنيات وحفظًا لها وتيسيرًا للاستفادة منها .

ولاشك أن استخدام الحاسب الآلي في تسجيل مقتنيات المعهد وتوحيد المداخل الخاصة بالمؤلفين العرب وفتح نهايات طرفية بين هذه المراكز والمكتبات بعضها وبعض وبينها وبين معهد المخطوطات سيساعد على تبادل المعلومات حول المخطوطات وكذلك تبادل صورها بعد تسجيلها على وسائط MEDIA متطورة مثل CD ROM والفيديو تيب بالإضافة إلى الميكروفلم والميكروفش[١] .

وهكذا ، إذا تمكنا من تحقيق هذه الأهداف نستشرف بالمعهد آفاق المستقبل ويقتحم أبواب القرن الحادي والعشرين على قدم المساواة مع سائر المراكز والمؤسسات العالمية المماثلة .

* * *

(١) انظر مقالي « نحو الفهرس الشامل للمخطوطات العربية في العالم » ، مجلة الهلال عدد مايو ١٩٩٦ .

مداخلات وتعقيبات

□ **د. محمود محمد الطناحي :**

يتضح في بحث د. زيدان ولاؤه للفلسفة ، تخصصه الأول . فقد جاء الحديث عن المخطوطات خافتًا وتابعًا لا أصلاً . وشاع فيه مصطلحات لها بريق ولمعان ، مثل البعد المستقبلي ، والمعلوماتية ، والعَوْلمة ، والطرح ، والمنظومة ، والتحولية ، وتصنيع المعرفة ، والمثاقفة ، وغيرها .

ولكن أين هذه المصطلحات من مصطلحات شيوخ المخطوطات ؟ النسخ النفيسة ، والنادرة ، والسماعات ، والتملكات ، والبلاغات ، وسائر المصطلحات المشيخية .

وعندي بعض الوقفات على البحث :

أولاً : القول بأن معهد المخطوطات حريص على تحديد الأطر العامة في تحقيق التراث ، غير صحيح ، فالمعهد مهمته الأساسية هي تصوير المخطوطات المبعثرة في شتى أنحاء العالم ، وهذه مهمة صعبة . صحيح أن د. صلاح الدين المنجد وضع منهجًا في أسس تحقيق التراث ، نشره في مجلة المعهد ، لكن تحقيق المخطوطات ليس من مهمة المعهد . وهناك من سبق المعهد في وضع أسس تحقيق التراث ، مثل برجستراسر الذي سبق إنشاء المعهد ، ثم عبد السلام هارون ، ومصطفى جواد ، وسامى مكي العاني ، ونوري حمودي القيسي في العراق ، وعبد الله عسيلان في السعودية ، ورمضان عبد التواب ومحمود محمد الطناحي في مصر . أما تحديد أطر التحقيق فليست من مهام المعهد الأساسية ، ولا صلة لها بالمعهد ، وإن قام بنشر بعض النصوص .

ثانيًا : قول بعضهم إن المخطوطة المعتبرة هي ما كُتبت قبل الألف هجرية ، هذا غير صحيح ، فمسألة ما قبل الألف ، وما بعد الألف ، مسألةاعتبارية . نفرض أني وجدت مخطوطة للأصمعي كُتبت بعد الألف ، وهي نسخة وحيدة في العالم ، فلا ينبغي ذلك أن يصرفني عنها . الأستاذ السيد صقر حقق كتاب « مقاتل الطالبيين » عن نسخة وحيدة في ذلك الوقت كتبت سنة ١٠٤٧هـ ، ولم يصرفه هذا عن تحقيقها . صحيح أنه لم يتبنَّ هذا الرأي ، ولكن كان لا ينبغي عرضه أصلاً ، وأن يرفضه تمامًا .

ثالثًا : ذكر د. يوسف أن مناهج تحقيق التراث لا ينبغي أن تبقىٰ على حالها ، وأن تتوقف عند أطرها القديمة منذ أن وضعها المستشرقون .

مَن قال هذا ؟ إن المستشرقين ليسوا هم أول من وضعوا أسس تحقيق التراث . إنها كتبت عندنا منذ منتصف القرن الثاني الهجري ، مواكِبة للتأليف في علم الحديث . فالحافظ اليونيني المتوفىٰ ٧٠١هـ جمع روايات صحيح البخاري في منهجية دقيقة ، واستعمل رموزًا لهذه الروايات موجودة على هامش طبعة بولاق .

إن علم تحقيق النصوص الصحيح عندنا بدأ في أواخر عام ١٩٣٩ بتحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر لكتاب « الرسالة » للإمام الشافعي . وقد اُعتُبر هذا النشر أول نشر علمي صحيح . ثم تبعه نشر عبد السلام هارون ومحمود شاكر والسيد صقر . ومع فضل المستشرقين في نشر نصوص تراثنا ، فقد سبقناهم في وضع أسس تحقيق التراث .

رابعًا : استخدام الكمبيوتر في فهرسة المخطوطات وتحقيقها . أنا موافق على جدوىٰ الكمبيوتر في الفهرسة . أما في التحقيق ، فإن استخدام الكمبيوتر له فيه عُسر وصعوبة . فهناك استثناءات وشواذ كثيرة في النصوص العربية ، من الصعب تفريغها في الكمبيوتر . فأنت حين تفرغ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم صنعة عبد الباقي ، في الكمبيوتر ، تجد فيه الآيات علىٰ قراءة حفص ،

أما القراءات الأخرى فلا تجدها فيه . وهناك أمثلة كثيرة مما يحتاج تفريغها في الكمبيوتر إلى سنوات طويلة ، ولابد من تغذية الكمبيوتر من قِبَل علماء حَفَظَة مشهورين كابن سِيْدَه والشافعي والأصمعي وابن تيمية وغيرهم . والاعتماد على العلماء الحفظة ضروري ، وتغذية الكمبيوتر بالنصوص لغرض التحقيق فيه صعوبات ، ويحتاج إلى زمن بعيد . ويحضرني فيما يتعلق بأهمية الحفظ ، قول محمد بن يسير الشافعي :

أأُشهر بالجهلِ في مجلسٍ وعلميَ في البيت مستودَعُ

إن لم تكنْ حافظًا واعيًا فجمعُك للكتْبِ لا ينفعُ

□ د. يوسف زيدان :

من ناحية استعمالي لغة فلسفية ، فهذا صحيح وأقصده ، لأن الفلسفة هي الرؤية . ونحن نعمل الآن لرؤية خمسين سنة مقبلة ، فلابد من استخدام اللغة الفلسفية . والألفاظ والتعبيرات التي وردت في بحثي هي لغة عربية فصيحة لم تخالف نحوًا ولا صرفًا . وأنا بهذا أُجدِّد هذه اللغة ، لأن العصر اختلف وتجدد .

مسألة الأطر العامة لتحقيق النصوص ، فإن المعهد بالتأكيد حريص جدًا على تحديد قواعد التحقيق ، وحريص أيضًا على قيادة هذا العمل . وقد نشر المعهد بالفعل كتيبًا فيه أسس تحقيق نصوص التراث العربي ، كنموذج يُحتذىٰ . وأنا متفائل بهذا الدور ، بل أدعو المعهد إلى أن يستمرفيه إلى الأمام . وأنا بنيت كلامي في البحث على قيادة المعهد لهذا العمل المهم .

مسألة المستشرقين ، فأنا تتلمذت في جامعة الإسكندرية على د. أحمد محمود صبحي ، ودرسني ما وضعه برجستراسر وغيره .

أما إذا أتينا إلى أصل التحقيق ، فالذي وضع أصول التحقيق العلمي الصحيح هو كليماخوس ، وهو سكندري أصلاً . أراد هذا الرجل ، في مكتبة الإسكندرية القديمة ، أن يُخرج أول نص محقق للإلياذة والأوديسا ، فجمع

النسخ الخطية ، ورمز لكل منها ، وقارن بينها . وساعدته معرفته ببلاغة اللغة اليونانية القديمة ، فرجَّح رواية على رواية ، وأخرج لنا هذه النصوص محققةً على نحو ما وصلتنا .

فلا علينا أن نبحث دائمًا من أين بدأت المسألة ، وأنا أنقد المستشرقين أصلاً ، فهم يقعون في أخطاء ، لأن اللغة العربية ليست لغتهم . لذلك أدعو إلى تطوير منهج تحقيق النصوص ، ليصبح لنا منهج تحقيق خاص .

أما الحافظة والحفظ ، فلاشك أنها مسألة مهمة ، وهي في رأيي تضعف مع الزمن بوجود الآلات والأجهزة الحديثة . وهذا يدعونا إلى التعجيل بتفريغ ما لدىٰ بقية الحَفَظَة ، وما في الكتب ، من معلومات . ودار الكتب بدأت منذ زمن تضع قاعدة للمعلومات ، وهي ناجحة . ولتكن البداية بالفهرسة أولاً ، ثم نعقب بمداخلة التراث والتحقيق ، وليأخذ هذا وقتًا طويلاً كما يقول السيد المعقِّب . وإذاعَزّ انتفاع جيلنا بذلك ، فلتنتفع به الأجيال القادمة .

□ د. عادل سليمان جمال :

أُبدأ بعرض سريع لما قاله د. أيمن ، ثم عندي بعض التكملة فيما يتعلق بمراكز الاستشراق في أمريكا ، بحكم عملى هناك منذ مدة طويلة .

د. أيمن ذكر لنا المراكز التي تشابه المعهد في تحقيق التراث في الدول العربية ، كحلب والسعودية ودبي .. إلخ . وفي مصر ذكر مركز تحقيق التراث في دار الكتب ، ولكن فاته أن يذكر لجنة تحقيق التراث في المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية ، الذي هو عضو فيه . وهو سهو منه بسيط .

أما فيما يتعلق بمراكز الاستشراق ، فقد وفّاها حقها من الكلام ، في ألمانيا وإنجلترا وهولندا وفرنسا ، لكنه لم يذكر شيئًا عن هذه المراكز في أمريكا ، وبحكم صلتي ، عندى بعض المعلومات أُضيفها لما قال .

هناك بعض المجلات المتخصصة ، منها :

Journal of Middleast Studies.

وهي مجلة تنشـر عمومًا أبحاثًـا تتصل بالشرق الأوسط ، وغالبًـا في اللغة والأدب فقط، وقليـلاً مـا تتطـرق إلى التـاريخ . وتنشـر أيضًـا بعض النصـوص المحققـة الصغيرة ، كالكتب الصغيرة التي أخرجها د. رمضان عبد التواب .

وهناك مجلة أخرىٰ :

Journal American Association of Teaching Arabic.

ويعطونهـا في عنوانهـا كلمة العربيـة ؛ لأنها تهتم باللغـة العربيـة ، والأبحاث في اللغة العـربية والأدب العـربي . وتنشر نصـوصًا من الأدب القـديم ، ومن الثقـافة العربية ، سواء كان في الأدب أو اللغة أو الفلسفة ، وأيضًا تراجم لهذا النصوص .

وهناك مجلتان ، الأولى :

Journal of sosio Linguistic

وهي لدراسة اللغـة من الناحية الاجتماعية ، وفيها كثير جـدًا من الدراسات عن اللغويين العرب .

والثانية :

Journal of social Linguistic

وهناك مجلة ثالثة :

Journal of Historical Linguistic

وهي للدراسـات اللغوية التاريخية ، وفيهـا دراسات قيمة جدًا عن الـرُّمَّاني وسيبويه وغيرهما .

هذه بعض الجهود في المجلات الأمـريكية التي ينبغي أن تضاف إلى بحث د. أيمن .

وقد قامت في أمـريكا مطابع شبيهة بمطبعة بريل الشهيـرة في هولندا ، أذكر منها :

Free Continental Press

وبعض المطـابع الأخـرى التي لا تطبـع إلا مـا يختص بـالتـراث العـربي ، ودراسات عنه .

وهناك أيضًا مطبعة جامعة أكسفورد في أمريكا ، أصدرت الآن نسخة مختصرة من :

Encyclopedia of Islam

في أربعة مجلدات .

وأُؤكد على ما قاله د. أيمن من ضرورة إعداد مجموعة من الباحثين للتدرب على المخطوطات . وكذلك إنشاء معهد عربي في استانبول بتركيا ، على نحو ما دعا إليه د. يحيى الخشاب ، منذ مدة طويلة .

بقى تعليق على د. زيدان ود. الطناحي .

فالدكتور زيدان خلط في حديثه عن الكمبيوتر بين التحقيق وإدخال معلومات فيه . فالمعجم المفهرَس لألفاظ القرآن مثلاً ليس من التحقيق في شيء ، بل هو إدخال مادة كتاب في الكمبيوتر للاستفادة منها .

أما فيما يتعلق بالذاكرة الفذة ، فيما قاله د. الطناحي ، فأعتقد أن استعمال الكمبيوتر مفيد جدًا ، في حالات كثيرة جدًا ، بلا جدال . ولا نستطيع أن نستغني عنه . أما ما أثاره من الشواذ ، فهو شيء نادر لا يُعتَدُّ به .

□ **د. عبد اللطيف إبراهيم** - أستاذ الوثائق سابقًا بجامعة القاهرة :

هناك تراث ثقافي : مخطوطات ووثائق ، صنوان لا يفترقان . وعملتُ بالمخطوطات قليلاً ، وبالوثائق أكثر . ويتبعها التراث الأثري أو المعماري ، وهو مرتبط بهما ارتباطًا قويًا . فالمنمنمات والتحف ، والمخطوطات والوثائق ، هذه الأربعة مرتبطة ببعضها ، ثم يتخصص الفرد في واحدة منها .

د. زيدان أتي لنا بألفاظ جديدة ، ومعلومات كثيرة تتعلق بالكمبيوتر ، وهذا علم ينبغي أن نستفيد منه في التراث ، مادام يوفر الجهد والوقت .

ينبغي أن يهتم المعهد بالـوثائق ، وأن يسمىٰ معهد المخطوطـات والوثائق . أقول ذلك لأهمية الوثائق إلى جانب المخطوطات .

وأُلاحظ أن العـاملين بالمخطـوطات ، غـالبًا مـا يكونـون من أسـاتذة اللغـة العـربية . ولابـد أن يكونـوا من كافـة التخصصات في العلـوم المختلفة كـالطب والفلك والجغرافيا والكيمياء وغيرها .

وأُلاحظ أيضًـا أن فهـارس المخطوطـــات لم تكتمل ، وينبغي الاهتمـــام بإكمالها . أما الوثائق فإنها لم تفهرَس إطلاقًا ، ومن الضروري فهرستها .

□ أ. **أحمد محمد عيسى** – خبير الفنون الإسلامية :

ذهبت إلى تنـزانيا ، ولاحظت أن المخطـوطـات في غرب إفـريقيـا وشرقهـا مفهرســـة بالحـرف الـلاتيني ، وهـذا شيء غـريب ، فهي مخطـوطات عـربيـة وإسلامية .

□ **تغريد داود** - من المنظمة العربية للتنميةالإدارية :

أود من المعهـد – وهو المعهـد القومي التـابع لجامعـة الدول العـربية – أن يَخرجَ من خـدمته للقلة المتخصصـة ، إلى الشبـاب العـرب ، لتوعيتهم وتعليمهم وتدريبهم على الاهتمام بالتراث والمخطوطات والوثائق .

وأود أيضًـا أن يُنتفع – إلى أقصى حـد – بالتكنـولـوجيـا والأجهزة الحـديثـة لخدمة التراث .

□ **د. حامد عبد الرحيم** - أستاذ بكلية العلوم بجامعة القاهرة :

أثير نقطتين :

أولاهما : تـدريس تاريخ العلـوم على مستوى الجـامعات . والحق أن كليـة العلوم كـانت تُدرِّس هـذا العلم ، يدرِّسـه د. عبد الحـليم منتصر وغـيره ، ولكنه توقف . ونحن الآن بصـدد الإعلان عن إنشـاء مـركز لإحيـاء التراث العلمي باسم (مركـز بحوث ودراسات التراث في العلـوم الطبيعية) . سيبحث هذا المـركز في العلوم المختلفة كالفلك والطبيعة والكيمياء والجيولوجيا وغيرها .

وثانيتهما : تأتي على هيئة تساؤل : ما هو دور المعهد في المعاونة والمشاركة في هذا المجال ؟ هذا مع ضرورة مشاركة دار الكتب المصرية ، وجامعة القاهرة ، التي تحتوى على أربعَ عشرة ألف مخطوطة غير مفهرسة . إننا نأمل أن يُقدَّم لهذا المركز العون، خاصة أن الاهتمام بالتراث متوجه أساسًا ، نحو علوم اللغة والدين .

* * *

الختــام

كلمة ختامية

د. أحمد يوسف أحمد محمد
المشرف على المعهد

لديّ ملاحظات ختامية بعد هذين اليومين من الفكر الرفيع ، والذي لن يضيع سدى .

أول عمل سيتم في المعهد ، هو أن أعمال هذه الندوة وتعقيباتها ومناقشاتها ، ستصدر في عدد خاص من مجلة المعهد ، بهذه المناسبة . ونرجو أن تكون منيرة للطريق لغيرنا ، كما كانت منيرة لنا .

أشكركم جميعًا على كل الأفكار الناقدة ، وكل التمنيات الطيبة ، وكل الآمال الطموحة المرجوة من المعهد . إنني أشعر بالسعادة بالنيابة عن أسرة المعهد ، لأن هذه الندوة قد حققت أهدافها .

لقد قُصد بهذه الندوة أن تكون أولاً تنويهًا بمناسبة غالية علينا جميعًا . وثانيًا أن تكون مصدرًا لأفكار ممتازة تبيِّن أوجه القصور والتقصير التي يمكن تلافيها في المستقبل .

وأريد أن أنزل بمستوىٰ الفكر الرفيع إلى بعض علامات الواقع السيئ . ولا أقول هذا كتبرير لتقصير أو قصور ، بل أقوله لأشرككم معي ، ومع أسرة المعهد ، أمام تحدٍّ خطير حقيقي .

المعهد كغيره من مؤسسات العمل العربي المشترك ، يعمل الآن في ظل ظروف خانقة ، لا نقصد بها « تهويمات » سياسية عامة ، لكن نقصد قضايا محددة . فظروف العمل المشترك اتسمت في السنوات الأخيرة الماضية بارتباك واضح ، مثل تنقل المعهد من مكان إلى مكان ، وهذا أثَّر في أدائه. لا أقول إن

أداءه في الكـويت كان سيئًـا ، أو في تونـس ، لكنه قـد تأثر - دون شك - بهـذا النقل، وألحق بالمعهـد ارتباكًا واضحًا ، فمثـلاً نقل مقر المنظمة من القـاهرة إلى تـونس ، وهي مسألة سيـاسيـة ، ترتب عليـه أن يعيش المعهـد منذ تلك اللحظـة وحتى الآن في المحـاكم بشكل مستمر ، لأن هناك قضيـة مرفـوعة من مـلاّك مقر المعهد تقول : مادامت المنظمة قد نقلت إلى تونس ، فلماذا أنتم باقون ؟

أخطر من هـذا قضية التمويل ، فهـو ثابت عند سقف معين ، ومجـرد ثبات هذا السقف معناه تقليص للنشاط . بل إن أغلب الظن أنه إذا ظلت ظروف العمل العربي على ما هي عليه ، فإن هذا السقف يأخذ في الهبوط تدريجيًا ، ويتبع ذلك مزيد من تقليص النشاط . فقضية التمـويل ليست قضية وهمية ، وإنما هي قضية حقيقيـة . وأقولهـا ليس لتبريـر القصور أو التقصيـر ، ولكن لأنني أعتقد أن هـذا يُلقي على عاتق جميع المهتمين بالتراث مسؤولية واضحة ومحددة .

وليست المسألـة مسألة تمـويل فقط ، فهنـاك مناخ أو نـوع من الأفكار بـدأ يشيع في بعض الأوسـاط الرسميـة للعمل العربي المشتـرك ، فهم يتحدثـون عن المؤسسات المشابهة ، فمعهد البحوث والدرا سات العربية له مؤسسات مشابهة، ومعهد المخطوطات العربية له مؤسسات مشـابهة ، وبالتالى ما الحاجة إلى تكرار الجهود ، طالما أن هناك من ينهض بهذا العمـل . وهذه فكرة من أخطر ما يكون ، لأنها تقـوّض أساس العمل العربي المشترك ذاتـه . فالمهمة التي يقوم بهـا معهد البحوث والدراسـات العربية ، تختلف عن المهمـة التي تقوم بها جامعـة قُطرية . والمهمة التي يقوم بها معهد المخطوطات العربية ، تختلف عن المهمة التي يقوم بهـا أي مركـز خـاص أو قُطْري ، لإحيـاء التراث أو الاهتمـام بـه . القضية جـادة وخطيرة ، وتحتـاج أن نشترك جميعًا في المسؤولـيـة . وسوف أقـول بعض الأفكار بهذا الصـــدد .

أُثير أيضًا كلام حقيقي عن عدم وجـود خطة متكاملة لعمل المعهد . والحق أن الخطة موجودة ، ولكن المشكلة في عدم التكامل في التنفيذ ، فالتخطيط يتمّ ،

لكن عند التنفيذ يكون هناك بعض العقبات الخارجة عن إرادة المعهد ، هذه قضية .

بل نلحظ - للأسف - جوًا مُحبطًا ، فقد شهدتُ بعينى أستاذًا جليلاً في التراث ، مغربي الجنسية ، يكاد يموت كمدًا ، لأنه شاهد في أحد أسواق العاصمة العربية ، التي كنا فيها ، مخطوطات أصلية استخدمت حِلْيَة لمصابيح إضاءة . وكان في الجلسة شخص آخر ، رفيع المستوى ، سمع ما قاله هذا الأستاذ ، ولم يلحظ أنه غاضب ، فقال : إنها فكرة ممتازة ، وعندي في البيت واحدة منها .

إن أحد الأهداف وراء هذه الندوة ، أن تكون بداية لصلة أمتن وأوثق بجميع المهتمين بموضوع التراث والمخطوطات من كافة الأجيال .

لقد آن ، بعد هذه الندوة الناجحة ، أوان إحياء مجلس استشاري لهذا المعهد ، وهذه مسؤوليتكم ، لأنه سيقوم على أساس تطوعي . مجلس يضم خيرة المهتمين بالتراث ، يقدم للمعهد المشورة العلمية الواجبة للانطلاق بمسيرته . ولقلة الإمكانيات ، فلن يضم هذا المجلس أحدًا من خارج دولة المقر ، اللهم إلا إذا كان مقيمًا معنا بحكم ظروفه الشخصية. وسوف يعيننا المجلس فى أمرين اثنين :

الأول : في كيفية التنفيذ الأمثل لخطة ٩٧/ ١٩٩٨ ، لأن خطوطها العريضة قد وضعت حقًا .

والثاني : كيف نفكر للمستقبل في ظل هذه الطموحات الكبيرة ، والأفكار الرَّحبة ، التي ذكرت في هذه الندوة . وأرجو ألاّ يتأخر اجتماع هذا المجلس عن النصف الثاني من هذا العام .

كما آن أوان تدعيم دور المعهد في مجال التعليم والتدريب ، وهذا يرد على اقتراح ابنتنا تغريد داود . وهذا الدور مكلف جدًا ، فربما نلجأ إلى فرض رسوم معينة للالتحاق، أو تمويل ذاتي وهذه قضية - على كل حال - شديدة الأهمية .

لقد طرحت في هـذه الندوة قضايا في منتهى الأهمية ، وأتصور أننـا مطالبون في المعهد أن نعقـد بشأنها ندوات أخرىٰ ، وأن ننشـر إنتاجها وثمرتهـا في مجلة المعهـد ، وسنكـون مطالـبين أن نـعقد ندوة أخـرىٰ في النصف الثاني مـن هذا العام . فإذا اجتمـع المجلس الاســتشاري ، فسوف يكون موضـوع النـدوة اقتراحًا أو اختيارًا له .

وأود أن أشيـر مطمئنًا د. يـوسف إلى أن المعهـد قـد ضمَّـن خطتـه لعـام ١٩٩٨/٩٧ أن يلج في تـواضع عصر المعلـوماتيـة ، وأن تكون عمليـة الفهرسـة معتمِدة على هذه الإمكانات التكنولوجية المتقدمة .

كما أؤكـد ضرورة تـدعيم صلات المعهـد الخارجية . ولن أفيـض في هذا ، لأنه بات واضحًا أن هذه القضية شديدة الأهمية .

وأشكـر جميع البـاحثين ورؤساء الجلسـات والمعقبين والمنـاقشين الـذين قدَّموا لنا هذه المجموعة من الأفكـار الممتازة الناقدة ، التي تسعىٰ إلى التطوير . وكذلك الشكر واجب – مـرة أخرى – للأمين العام لجامعة الـدول العربية ، وإلى جهاز الأمانة العامة الذي قدَّم لنا هذا المكان الرحب ، وما تبعه من تسهيلات .

* * *

اِتجاهات الندوة

أ. عصام محمد الشَّنْطِي

منذ نحو عام والمسؤولون في معهد المخطوطات العربية ، يحلمون بإقامة احتفال عالمي يليق بعيده الذهبي ، يُدعىٰ إليه شخصياتٌ تراثية عربية وإسلامية وأجنبية ، للمحاضرة والمشاركة .

ولم يلبث هذا الحلم أن تقلّص - لتحديات يتعرض لها - إلىٰ ندوة عربية ، حضرها شخصيات مرموقة متخصصة في التراث ، وفي ميادين المعهد التي جالَ فيها ، خلال خمسين عامًا مضت ، وما يمكن أن يجول فيه ، في المقبل من السنين . ويُذكر أن هذه أول مرة يُحتفَل بعيد للمعهد بمناسبة مرور زمنٍ ما علىٰ تأسيسه ، وهذا - دون شك - تفكير متقدم ، وعمل واعٍ من إدارته .

وتعود أهمية هذا الاحتفال بالعيد ، لا لعرض مظاهر الحبور والفرح ، ولا لتقبل التهاني بهذه المناسبة السعيدة ، ولا للفخر بإنجازات المعهد ، قلّت أو كثرت ، وإنما الهدف الأساسي منه هو الانتفاع من تجربة الماضي ، والتطلع إلى المستقبل ، في ضوء منجزات سلفت ، ومنجزات علمية حديثة وفدت ، خاصةً ونحن على مشارف قرن زمني جديد .

إن حفل الافتتاح ، ومستوى الكلمات التي أُلقيت فيه ، ومستوى مَن تمثله هذه الكلمات من علوِّ شأن ، وكذلك رتب رؤساء الجلسات . ومكانة المعقِّبين ، وكثرة المشاركين ، من البداية إلى النهاية ، شبابًا وكهولاً وشيوخًا ، إصغاءً وحوارًا ومناقشة ، ليدل على ما قرَّ في نفوس هؤلاء جميعًا من ارتياح لنشأة المعهد ، وأهمية دوره في تحديد معالم الفكر العربي ، وبيان جذور ثقافة العرب السالفة ، وهو - كمعهد قومي - مُنسِّق ورائد ، ليس له في الوطن العربي شبيه .

وإن الناظر إلى برنامج الندوة يرى أنها بنيت على محورين أساسيين . الأول: هو العمل التراثي العربي المشترك (وقائع الماضي) . وقد انطوت تحته تفصيلتان ، الأولى : عرض هام لجهود نصف قرن ، وتقويم لإنجازات إنفاذ المخطوطات ؛ والثانية : تقويم جهود التعريف بالمخطوطات وإحيائها .

أما المحور الثاني : فهو « رؤىٰ المستقبل » . وتندرج تحته تفصيلتان ، الأولى : العمل التراثي العربي المشترك وسط أزمة الثقافة العربية ، والثانية : المعهد على مشارف القرن الحادي والعشرين . وواضح من هذين المحورين أن حديث الندوة له شقان كبيران : إنجازات الماضي ، وطريق المستقبل .

على أن المعهد لم يشأ أن يتقدم في هذين الشقين ، قبل أن يطمئن إلى أساس وجوده ، وصواب نشاطه ، وشرعية الاهتمام بالتراث ، إحياءً ، وتصفية من الخرافات ، والتحامًا بالعلوم الحديثة . فمن البحوث ما استعرض نشأة الثقافة العربية وتشكّلها ، وكيف أصبحت تراثًا مكونًا للمجتمع العربي قبل الإسلام وبعده . وكيف تعرضت هذه الثقافة إلى عناصر مضادة مثل « الإسرائيليات » فاستوعبتها الحضارة القوية هذه .

وواجهت هذه الثقافة ثقافات سابقة كالهلينية والسريانية ، فأفادت – بسعة نظرتها ورحابة أفقها – منها ، وأدخلت في دائرتها عناصر تراثهم العقلي والفكري والفني .

ولا ننسى تراث ثقافات الشعوب الإسلامية غير العربية ، وكيف أصبحت جزءًا منها ، وأصبح علماء كسيبويه وابن سينا وعبد القاهر وغيرهم جزءًا رئيسيًا من الثقافة العربية .

ولمّا بلغت الثقافة العربية الإسلامية أقصى درجات نضجها ، وكان العالَم الأوروبي على مشارف عصر النهضة ، استطاعت أن تؤثر في نهضته وتشكيل

يقظة العقل عنده وإبعاد الخرافات . ونُظر إلى هذه الثقافة آنذاك على أنها جزء رئيسي من مناطق إشعاع تراث الإنسانية .

ثم تعرضت هذه الثقافة في مواطنها الأساسية إلى ألوان من التجمد والانكماش وضيق الدائرة والاجترار . وتفرّق الوطن العربي إلى تجمعات سياسية مختلفة . وحاول العرب التجمع سنة ١٩٤٥ تحت مظلة «جامعة الدول العربية». وكان من أوائل قرارات هذه الجامعة إنشاء معهد المخطوطات العربية عام ١٩٤٦ لإحساسهم العميق بالانتماء إلى تراث واحد مشترك بينهم جميعًا .

واستطاع هذا المعهد خلال خمسين عامًا من عمره أن يقوم بدور رئيسي وهام في المحافظة على « فكرة التراث المشترك » حيّة نابضة ، ومحاولة إنعاشها دائمًا من خلال أعماله المختلفة ، وإنجازاته المتنوعة .

ويتعرض التراث الآن لموجة قاسية من الهجوم المخطَّط له بعناية . واتُّفق على أن يكون « التراث العربي الإسلامي » هو العدو المُعلَن ، والذي ينبغي أن يتوحَّد العالم ضده ، وأن ينفر أبناؤه منه منتمين إلى دائرة « المواطن العالمي المتحضر » ، في الوقت الذي يُشجَّع فيه التراث اليهودي المجاور .

وتمثل هذه الحرب ضد التراث أزمة حقيقية للعمل التراثي ، ينبغي أن تُواجَه بتخطيط ثقافي واعٍ يُوجَّه إلى الداخل قبل أن يوجه إلى الخارج . وذلك بالتفريق بين الأصالة والجمود ، واستصفاء العناصر التي يمكن أن تواجه عقل المثقف اليوم ، والنهوض بفكرة التحقيق وقيمتها العلمية التي تغطي جوانب الآداب والعلوم الدينية والاجتماعية والتراث العلمي والفني . كما ينبغي وضع طريقة نقرِّب بها التراث والمخطوطة القديمة إلى التلميذ الصغير كيلا تفلت من روح الأمة قيمة التراث الرئيسية في تشكيل ثقافتها .

وهكذا بعد أن اتضح في الندوة ظروف العرب التي أدت إلى ضرورة إنشاء

المعهد ، وأن إشكـاليات التـراث الخطيرة المحيطة بـه ، تدعـو إلى أن دور هذا المعهد ومجـالات تحرّكه مازالت واسعـة وممتدة ؛ جاء دور عرض إشكـاليات التراث بشيء من البَسْط .

ومُهِّد لهذه الإشكاليات بقضية الأصالة والمعاصرة . هذا التعبير الذي شاع في حياتنا الثقـافية في الثلث الأخير من هذا القرن ، وعُـرض في أكثر الأحيان ، على أنه قضيـة مؤلفة من نصفين متعارضيـن ومتناقضين ، فإمَّا قديم نغـرق فيه ، وإمَّا حديث نأخذ به ، ضاربين القديم بعرض الحائط .

لقد كـانت هـذه الندوة بنجوة مـن هذه البلبلة وهـذا المفهوم الخـاطيء . وتمسكت بطـرفي هـذه العبارة . الأول منهـا تـراثنا الـذي ينبغي أن ننفض عنـه الغبار، ونصفِّيه من الخرافات والشـوائب التي دخلته - في الغالـب - في عصور الـركود والتجمـد والتعصب ، ونبـرز الجـانب العقــلي العلمي والعملي فيـه ، ونصله - بمـا فيه من حوافـز مشجعة - بـالمعاصرة والتقـدم العلمي الحديث ، بمناهجه الجديدة ، وتطبيقاته المتقدمة المذهلة .

واتفق في الندوة على المحافظة على المخطوطات وصيانتها وحمايتها من التلف بـاستخـدام الـوسائل الفنيـة الحـديثـة ، ثم تصـويـرها واستخـدام هـذه المصورات بـدلاً من المخطـوطات لنحميها مـن سوء التنـاول والاطلاع . وألاّ يقتصر التصويـر على ميكروفيلم فحسب ، بل ينبغي الدخول في أسلـوب جديد من التصـويـر وهـو وسيلـة الأقراص المُلَيْـزَرَة ، ومـا يتبعهـا من استخـدامـات تكنـولوجيـة حديثـة . وأن نسارع بـالتعريف بـه بتسجيله وفهـرسته ، لا لانتفـاع العلماء والبـاحثين فحسب ، وإنما لحمايتـه من النهب وانتقاله من أصحـابه إلى بيئات جديدة غريبة عنه ، فأصحـابه أولى به ، ويقع عبء حفظه وإبرازه ودراسته عليهم . فالهيئات الدوليـة كاليونسكو مثلاً لا تنظر في أمـر إعادة تراث منهوب ،

قلّ أو كثر ، إلاّ إذا ثبت أن مـدعيه وصـاحبه قد سجّلـه في سجلات لـه رسمية ، وفصّل في توصيفه .

وقرّ في النـدوة أن الهدف من كل هـذه الجهود ، ليس حفظ المخطـوطات في متاحف أو مخازن ، تُحبَس فيهـا ، وإنما الهدف هو الوصـول إلى ثمرة شهية تُجنى منها بمـا فيها من علم وفكر ، بتحقيقهـا ودراستها . ومن ثمَّ جـاءت مسألة تدريـب أجيال متلاحقـة على هذا التحقيق ، وفـق أسس منهجية علميـة مقررة ، على أن يقود المعهد هـذه العملية باعتبـاره معهدًا قوميًا ، وأن يتخذ لنفسه منهجًا خاصًـا به. وأن يعمِّم ذلك على المعنيين ، يلتزمون بـه التزامًا يسهِّل فيـه خـدمة هـذه النصوص ، وكشـف ما فيها من فوائد تعطي أكلها في كلِّ حين .

على أن ينال المعهـد من المؤسسـات العربيـة الرسمية والشعبيـة ، في كلِّ مكان ، مـا في وسعها من دعم ، بمختلف الـوسائل الماديـة والمعنويـة ، ليقوى على التطـوير ، ويحلّ هـذه الإشكاليـات ، ويقدم خدمـاته بأسلـوب تقني يـوفر الـوقت والجهد ، ويقـوي روابط التنسيق والتعـاون في الوطن العـربي المتسع ، والعالم الإسلامي والأجنبي المُقتني لمخطوطات عربية كثيرة .

وجـاء دور الحـديث المجمل عن إنجـازات المعهـد على مـراحل ، عبـر نصف قرن . وقد عُرضت بواقعية وأمانة وصدق ، دون تهويل ولا تزويق ، ودون تقليل أو إغضـاء . وذُكـرت تجليـات الإنجـازات ، كمـا ذكـرت العثـرات التي تعـرَّض المعهد لهـا ، وبهـذا عُـرضت حكايـة المعهـد منذ تـأسيسه ، وأطـواره التاريخية ، وعدم استقراره ، وتنقلاته في أكثر من عاصمة عربية .

وأول هـــذه الإنجازات الفذَّة جمع التـراث المخطوط المبعثـر في مناطق شتيٌ ، ومكتبات عـامة وخاصة ، داخل الـوطن العربي وخارجه . فـأرسل البعثةَ تلو البعثة للاختيار والتصوير ، حتى تجمّع له قدر صالح منه .

وبدأ بإصدار فهارس المخطوطات المصورة التي ضمتها خزائنه ، إلى جانب إعداد قوائم بما صورته البعثات الداخلية والخارجية . وكذلك العناية بإصدار فهارس مكتبات لم تفهرس من قبل .

وتوجه إلى إصدار أمهات كتب التراث ، ونصوص قيمة متنوعة في كل علم ، ووفرها المعهد محققة كمصادر ومراجع مبذولة لكّل عالمٍ متخصص وباحث .

ثم أصدر مجلته المتخصصة المحكَّمة ، بمعدل جزأين في العام الواحد . كما أصدر ، في وقت لاحق ، نشرة « أخبار التراث العربي » التي قامت بدور كبير في تنسيق الجهود القائمة حول تحقيق التراث ونشره ، وغدت قناة رئيسية يحرص كل المشتغلين في ميدان التراث على الاطلاع عليها .

واهتم بتكوين مكتبة تضم فهارس المخطوطات العربية في العالم ، وأندر المصادر الأساسية والمراجع للتراث العربي ، وكتب الطبقات والرجال والنصوص المحققة التي تعين على أعمال المعهدوإنجازاته.

واتجه في مرحلة أخرى إلى ميدان التعاون والتنسيق القومي من خلال اللقاءات والتشريعات والاتفاقات ودعم المؤسسات التراثية والدورات التدريبية العلمية والفنية والحلقات الدراسية والندوات والنشر المشترك ، والتبادل في مجالَيْ المخطوطات والمطبوعات . كما نشط في الآونةالأخيرة في تجديد مصوراته على ميكروفيلم وصيانتها فنيًا ، واستخراج نسخة احتياطية ثانية .

وذُكر في الندوة أن المعهد أعدَّ خطة طموحة مستقبلية ، ركّز فيها على ضرورة « توظيف » التكنولوجيا في خدمة التراث، وزيادة عدد بعثات التصوير ، وتنمية القدرات العربية من خلال الدورات التدريبية المتخصصة ، وتبني

جوائز لتشجيع الأجيال الجديدة على العمل التـراثي ، ورسم خطة خاصة بإنقاذ المكتبات العـربيـة المعـرضـة للتلف ، والاستمـرار في نشـر الكتب التـراثيـة الأصيلةوالكبيرة ، بالإضافة إلى الاتجاه نحو إصدار سلسلة من الفهارس لكتب التراث المطبـوعة بـدون فهارس ، أو بفهارس غيـر وافية ، وذلك محـاولة لحلّ مشكلة عويصة من مشكلات التراث .

وفُصِّـل في بحـوث النـدوة في بعض قضايـا إنجازات المعهد الأسـاسية الهامة ، من مثل إنقـاذ المخطوطات ببعثات الاختيار والتصـوير . وقُسِّمت هذه البعثات على مدى الخمسين عامًا إلى مراحل وَفْق نشاطها أو خمولها ، وذُكرت جميع البعثات مـرتبة ترتيبًـا تاريخيًا ، تنطـوي على تفصيلات وافية ، منهـا بيان بعض نوادر هذه البعثات التي عُدَّت من صيد المعهد الثمين .

وكانـت بعثات المعهد بـإزاء وقتها المحدد لهـا ، وهو قليل ، وبـإزاء كثرة المخطوطـات عددا وتنوعًـا ، تختار وفق معاييـر النفاسة التي اكتسب معـرفتها المتخصصون في المعهـد بطول الخبرة واتساع الـدراية بعلوم التـراث العربي . وكان توجه الندوة عمومًا إلى تفضيل تصوير المخطوطات العربية كلها ، دون أن تخضع إلى عمليـة الاختيار ، وإلى تخصص الـذي يختار وثقـافته ، مع استبعـاد المخطوطات غير المهمة بطبيعة الحال ككـراسات الطلبة المبتدئين الخالية من الأصالة والإبداع .

هذا جانب الاختيـار والنفاسة ، أما جانب المكان ، فقـد أُخذ على المعهد أنه مال إلى السهـولة وقرب المسـافة ، حـين بدأ بتصوير مخطـوطات من مصر وسورية ، فهي بين الأيدي وسهلة التنـاول في كل حين . وطولب المعهد بتوجيه عنايتـه ، بشكل مكثف ، إلى البلـدان التي يكثر فيها المخطـوطات كمًا ونـوعًا ، وأن يعقد بهذه الأمـاكن صلات قوية بمختلف الوسـائل ، وذُكر منها على سبيل المثال: تركيا وإيران والهند وجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية .

وثاني قضايا المخطوطات الهامة والتي استدعى الأمر بحثها بشيء من التفصيل، قضية التعريف بالمخطوطات في ميدانين: الأول إعداد التقارير التي تكشف عن أماكن وجودها في العالم، وأعدادها وموضوعاتها وحالتها ومدى نفاستها، وتميّز بعض نسخها، وفهارسها المطبوعة، تمهيدًا للقيام ببعثات التصوير وفقًا لخطة مرسومة.

والميدان الثاني الكشف - أولاً بأول - عن محصول هذا الحصاد الذي يجمعه المعهد لاطلاع العلماء والباحثين عليه، بإصدار الفهارس المناسبة.

وصُنع للندوة قائمة رُصدت فيها جميعُ التقارير التي نشرت في أجزاء المجلة منذ صدورها حتى نهاية عام ١٩٩٥؛ وقائمة ثانية للتقارير التي نشرها المعهد منفردة في كُتيّبات. وكشفت القوائم عن اهتمام المعهد بهذا الميدان، ولكنها لم تشمل جميع مناطق العالم، كما أنها تحتاج إلى تجديد، لأن حركة ظهور المخطوطات دائبة، وتزويد المكتبات العامة بها مستمر، وظهور المكتبات الخاصة المجهولة كثير جدًا.

أما الحديث عن فهارس المعهد المطبوعة، وعددها تسعة عشر، فقد كشف عن أنها لم تصف من محصول المعهد إلا ثلثه، فضلاً عن أنها لم تخضع إلى منهج للفهرسة موحَّد ومستقر. ولم يكوِّن المعهد رعيلاً من المفهرسين في داخله، ولا جيلاً عربيًا من خلال دوراته التدريبية التي عقدها لشبابهم للفهرسة وشؤون المخطوطات الأخرى.

وامتدت يد المعهد إلى الإعانة على صدور فهارس مكتبات لم تُفهرس، فأعانت المفهرس بمكافأة، وتولت تمويل الطباعة والنشر، فكان أن أصدرت تسعة فهارس لمكتبات عربية وأجنبية. ويعود اضطلاع المعهد بهذا إلى إحساسه بأنه المسؤول الأول عن قضية التعريف بالمخطوطات العربية، لإخراجها إلى النور والاستفادة منها.

والقضـية الهـامة الثـالثة ، هـي قضية إحيـاء المخطوطـات ونشرهـا ، بعد تحقيقها تحقيقًا منهجيًا . وقد استُقصيَ هـذا الباب ، واستُعرضت جهود المعهد فيه ، وصُنِّفت موضوعات الكتب المحققة ، سواء كانت نصوصًا في المجلة ، أو كتبًا مستقلـة ، وصُنع لهما قوائم دقيقـة ، ووُجد أن تنوّع هذه المنشـورات كثير ، وأن المعهـد جـالَ في مطبـوعـاتــه المحققـة في كل علم وميــدان . وبلغ من تفصيلات هـذا الموضـوع أن صُنِّفت جنسيات المحققين ، فوُجـد أنها متنـوعة على كثير من الأقطار العربية ، وبعض الأقطار الإسلامية والأجنبية .

وأُخـذ على التحقيق بعض المآخـذ ، خاصـة فيما نشـره المعهد في سنينـه الأولى ، كمـا أُخذ على منهج التحقيق فـي تلك الآونة . ولكن المعهـد تخلّص من كثير من هذه المآخذ حين أخضع التحقيق إلى التحـكيم والمراجعة من قبل الأسـاتذة العلماء ذوي الاختصاص ، وحين شـدّد على ضرورة استقصاء النسخ المخطوطـة الهامـة للكتاب ، وتخريـج النصوص النثريـة والشعريـة ، واستيفاء الفهارس الكشّافة لكنوز النص المحقَّق .

ومن إشكاليات تحقيـق التراث الكبرى ، الحاجة إلى تنسيـق وتعاون أكثر إحكامًا في هذا المجال ، فالكل يعلم أن الكتاب يصدر محققًا أكثر من مرة ، في عام واحد ، وفي بلد واحد ، وهذا تكرار للجهد والوقت ، ومضيعة للمال .

ولم يفلت من الندوة ميـدان حساس ، وهـو اهتمام المعهد بقضيـة التعاون والتنسيق مع المراكـز والمؤسسات التـي اهتمت بمجال التراث . وذُكـرت هنا جميع المـراكز العـربية والإسـلامية والأجنبيـة في أوروبـا وأمريكـا ، مما أقـام المعهـد ، أو يمكن أن يقيم ، معها عـلاقات طيبـة ، وصوراً مشـرّفة من التعـاون والتنسيق .

ولا شك أن تأسيس هيئة موسَّعة من المسؤولين عن المخطوطات العربية ، وأصحاب القرار في المخطوطات التي بحوزتهم ، واجتماعهم في ظلال المعهد بين الحين والحين ، يحلّ كثيرًا من مشكلات المخطوطات ، ويكثف التعاون والتنسيق لصالح التراث العربي ؛ وخاصة أن كثيرًا من المراكز والمؤسسات تعمل دون خطة واضحة ، وتقتني مخطوطات ومصورات مكررة ، وجهودها من أجل وضع فهرس شامل للتراث العربي المخطوط جهود متعثرة .

كما أن توسيع العلاقات مع الدول الإسلامية ، ودوائر الاستشراق وتقويتها ، يفتح الأمل أمام المعهد لتصوير هذه المخطوطات التي في حوزة بلدانهم ، ويخدم هذه المخطوطات التي تتعرض للتلف يومًا بعد يوم .

وما إن انتهى الحديث عن شِقِّ الندوة الأول ، لخمسين سنة مضت ، حتى أزف تناول الشِّقِّ الثاني ، وهو الحديث عن خمسين سنة قادمة . وكان هذا خاتمة المطاف ، فلابد من ولوج المعهد عصر « المعلوماتية » وأجهزته الجديدة ، واستخدام التقنية الحديثة بإزاء ضخامة هذه المخطوطات ، وهذا التراث الفكري . والحق إن المعهد مازال حتى يومنا هذا يعمل بطريقة تقليدية قديمة ، يأنف منها تراثنا الذي قاد العلوم في عصور مضت ، وأفاد منه الغرب أيّما فائدة ، وكان عندهم بمثابة النواة الأولى ، والشعلة المضيئة التى أنارت سبيلَ نهضتهم وتقدمهم .

إن الأجهزة التقنية الحديثة ، وقاعدة المعلومات المتعلقة بما يقتني المعهد من مخطوطات مصورة ، وتوصيفها التوصيف الكافي ، ليرفع العبء الثقيل الملقى على عاتق المعهد من إشكالية فهرسة مصوراته . كما أن الأجهزة الحديثة لقادرة على البدء في استيعاب الفهرس الشامل الموحَّد للمخطوطات العربية في العالم .

واتفق على أنه ينبغي للمعهـد أن يتعجّل اقتناء الأجهزة الضروريـة لتخزين كثير من المعلـومات المتعلقـة بالتـراث العربي ، لـلاستفادة من هـذا المخزون المنسّق في عملية تحقيق النصـوص وفق الأصول والمناهج العلميـة . وكذلك يمكن أن تغـذّى بمـواد من شـأنهـا أن تنظّم العمـل بين المحققين والمشتغلين بالتراث .

* ويمكننـا بعـد هـذا التطـواف السريـع لأعمال النــدوة ، أن نـوجـز اتجاهاتها بما يلي :

١ - مهمة معهـد المخطوطـات العربيـة مهمة قـومية حضـارية ممتـدة . وينبغي له أن يَنعم بـالاستقرار في مكان متوسط ونشط من الـوطن العربي ، وأن يكون له فرعان في الجناحين الشرقي والغربي .

٢ - من حقه أن ينال من الـدعم الرسمي ومن أثرياء العرب مـا يجعله قبلة هـذه القاعـدة الحضاريـة ، وقادرًا على تطـوير نفسـه ، وتوسيع اختصـاصاتـه ، واستحداث مشروعات جديدة تلائم القرن الزمني القادم ، وقيادة عملية التراث العـربي قيادة واعيـة ، تجعلـه قابـلاً للعلـوم الحديثـة ، مشـاركًا في الحضـارة العالمية بنصيب وافر .

٣ - يتحمل المعهـد عبء فكرة « التـراث العربي المشتـرك » وإنعاشهـا ، والتفريق بين الأصـالة والجمود ، ويكون في نشـاطه ومشروعاته مـا يجعل هذا التراث مقبـولاً لدى الأطفـال العرب والشبـاب ، فضلاً عن الكهـول والشيوخ ، متعرّفين عليه بطريقة مناسبة ، ومحبّين له ؛ وذلك بالتعاون مع الجامعات العربية والمؤسسات المتخصصة .

٤ - التـوسع في تعليم الشبـاب العـرب وتـدريبهم على أهم قضـايـا المخطـوطات العـربيـة ومسائلهـا ، وهي الصيانـة الفنيـة ، والتصـوير المتقـدم المُلَيْزَر ، والفهـرسة ، والتحقيق والـدرس ، لخلق أجيال عربيـة متلاحقـة تؤمن بتراثها حفظًا وتصويرًا وفهرسة وتحقيقًا ودرسًا .

٥ - يوجه المعهد اهتمامه إلى إنجاز خريطة مفصَّلة شاملة متجددة لأماكن المخطوطات العربية ، وأعدادها ، وذلك بمسح هذه الأماكن جميعها . ونشر تقارير عنها ، وقوائم لمحتوياتها . وجمع أسماء هذه المكتبات وعناوينها ، وعدد مخطوطاتها ، وذكر فهارسها المطبوعة ، على أن يطبع هذا الإنجاز في معجم متجدد كل عامين .

٦ - يكون للمعهد دور متميز في تحقيق النصوص ، بمنهجية علمية خاصة ورائدة ، وأن يُطبَّق هذا المنهج على منشوراته ، وأن يبذل العون والجوائز والمكافآت السخية لمن هم في أول الطريق لتحقيق الكتب في موضوعات علمية ذات أصالة ؛ وأن يقود عملية تنسيق تحقيق الكتب حتى يُتخلَّص من التضارب والتكرار ، والابتعاد عن تحقيق كتب لا قيمة لها .

٧ - تدعيم المعهد بمؤسسات خبيرة كمجلس استشاري ، وهيئة مشتركة تجمع المسؤولين عن المخطوطات العربية في العالم ، من أصحاب القرار ، وذلك لضمان أداء جيد ، والوصول إلى صورة مثلى لأعمال المعهد ومشروعاته ، وتقوية سبل التنسيق والتعاون ، لخدمة هذا التراث ، بسرعة تصويره ، وحمايته ، وحفظه ، وصيانته ، وإتاحته للعلماء والباحثين . مع الاعتناء بأماكن لها خصوصية في اقتناء المخطوطات الكثيرة والنفيسة ، مثل تركيا وإيران والهند وجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية .

٨ - لا يتوانى المعهد في الدخول في عالم التقنية الحديثة التي تخدم التراث العربي ، مهما كلَّف الأمر ، لأنه الطريق الوحيد الذي يوفر الجهد والوقت ، ويحلّ مشكلات هذا التراث العويصة ، من فهرسة موحَّدة الأسلوب ، وصنع الفهرس الشامل الموحَّد ، وبناء قاعدة معلومات تخدم تحقيق النصوص ، وتنسيق العمل بين المحققين ، وغير ذلك من فوائد جمّة .

* * *

قواعد النشر

* تنشر المجلـة المواد المتعلقـة بالتعريـف بالمخطوطـات العربيـة، والنصوص المحققة ، والدراسات المباشرة حولها ، والمتابعات النقدية الموضوعية لها .

* ألّا تكون المادة منشورة فى كتاب أو مجلة ، أو غيرهما من صور النشر .

* أن تكون أصيلـة فكرةً ومـوضوعًا ، وتنـاولاً وعرضًـا ، تضيف جديـدًا إلى مجال المعرفة التى تنتمي إليها .

* تستهل المـادة بمقدمـة في سطور تبيـن قيمتها العلميـة وهدفهـا . وتقسم إلى فقرات ، يلتـزم فيها بعـلامات التـرقيم التزامًـا دقيقًا ، وتضبـط الآيات القـرآنية والأحاديث النبـوية والأشعـار والأمثال المـأثورة والنصـوص المنقولـة ضـبطًا كاملاً ، وكذلك ما يشكل من الكلمات .

* يلتزم في تحـرير الهوامش التـركيز الـدقيق ، حتى لا يكون هناك فضـول كلام ، وترقم هوامش كل صفحة على حدة ، ويراعى توحيد منهج الصياغة .

* تُذَيَّلُ المادة بخاتمة تبين النتائج ، وفهارس عند الحاجة .

* في ثَبَتِ المصـادر والمـراجع يكتب اسم المصـدر أو المـرجع أولا ، فـاسم المؤلف ، يليه اسم المحقق أو المراجع أو المتـرجم في حال وجوده ، ثم اسم البلد التي نشر فيها ، فَدَارُ النشر ، وأخيرًا تاريخ الصدور .

* ألّا تـزيـد المادة عـن ٣٥ صفحة كبيـرة (١٠ آلاف كلمـة) . وتـدخل في ذلك الهوامش والملاحق والفهارس والمصادر والمـراجع والرسوم والأشكال وصور المخطوطات .

* أن تكون مكتـوبة بخط واضـح ، أو مرقونـة على الآلـة الكاتبة ، علـى أن تكون الكتـابة أو الـرَّقْنُ على وجـه واحد مـن الورقـة . وتـرسل النسخة الأصليـة إلى المجلة .

* يرفق المحقق أو البـاحث كتابًا مفاده أن مـادته غير منشورة في كتـاب أو مجلة أخرى ، وأنه لم يرسلها للنشر في مكان آخر .

* تراعي المجلة في أولـوية النشر عدة اعتبارات ، هي : تـاريخ التسلم وصلاحية المـادة للنشـر دون إجراء تعديلات ، وتنوع مادة العـدد ، وأسمـاء الباحثـين - ما أمكن.

* يُبَلَّغُ أصحاب المـواد الواردة خلال شهر مـن تاريخ تسلمها ، ويفادون بـالقرار النهائي بالنشر أو عدمه ، خلال فترة أقصاها ستة أشهر .

* تعرض المـواد عـلى مُـحَكَّمٍ أو أكثـر على نحو سِـرِّيّ ، وللمجلة أن تـأخذ بالتقـرير الوارد إليها ، أو تعـرض المادة مرة أخـرى على محكم آخر ، أو تتبنى قرارًا بالنشر إذا رأت خلاف ما رآه المحكَّم ، وليس عليها أن تبدي أسباب عدم النشر .

* إذا رأت المجلـة أو المُحَكَّمُ إجراء تعـديلات أسـاسيـة ، أو تحتاج إلى جهـد ووقت على المادة ، فإنهـا تقوم بإرسالهـا إلى صاحبها ، وتنتظر وصـولها ، فإن تأخرت تأجل نشرها .

* تَمْنَحُ المجلة مكافأةً مادية بعد النشر .

صدر حديثاً

— المستدرك (١) على المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع - الجزء الأول (أ - ث)

— صنعه وقَدَّم لـه : هـلال ناجي ، راجعـه وصنع أثبـاته : عصـام محمد الشَّنْطِي .

— الكتاب في ١٣٣ صفحة من القطع المتوسط .

— ثمن النسخـة : ٥ جنيهات داخل مصـر ، ٣ دولارات أمريكيـة ، شاملة نفقات البريد خارج مصر .



المعجم الشامل
للتراث العربي المطبوع

الجزء الأول
(أ - ث)

المستدرك « ١ »

صنعه وقدم له :
هـلال ناجـي

راجعه وصنع أثباته :
عصام محمد الشنطي

القاهرة ١٩٩٦

ثمن النسخة :

* **داخل مصر :** عشرة جنيهات .
* **خارج مصر :** خمسة دولارات أمريكية

(شاملة نفقات البريد)

المراسلات : ص . ب ٨٧ – الدقي – القاهرة – ج . م . ع .

الهـواتـف : ٣٦١٦٤٠٢ - ٣٦١٦٤٠٣ - ٣٦١٦٤٠٥ .

الفـاكس : ٣٦١٦٤٠١

المقــــر : ٢١ ش المدينة المنورة (نهاية محيي الدين أبو العز–المهندسين).

رقم الإيداع
١٣٠٩٨ / ١٩٩٦م

مطابع سجل العرب
١٠ ش بستان الدكة من ش الألفى
ص.ب ١٣١٥ العتبة ١١٥١١
☎ ٥٩٣٢٧٠٦

ALECSO

JOURNAL OF THE INSTITUTE OF ARABIC MANUSCRIPTS

Vol. 40 Part 1, May 1996

The Institute of Arabic Manuscripts
Cairo - Egypt

JOURNAL
OF THE
INSTITUTE OF ARABIC
MANUSCRIPTS